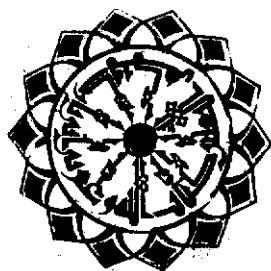


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام

# رسالة الثقلين

مجلة اسلامية جامعة

العدد الاول / السنة الاولى / محرم - ربيع الاول ١٤١٣ هـ - ق (١٩٩٢ م)

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:

\* الجمهورية الاسلامية في ايران / قم هاتف: ٣٧٢٩٠ فاكس: ٢٥١٧٩ ص. ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) قم.

● تعنى باحياء المحارف الاسلامية  
من منع الثقلين والدفاع عن حريم  
القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة  
وخطط أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

● تستجيب لتأجبات العلماء والمفكرين  
والكتاب الاسلاميين التي تصب في  
رسالة الثقلين لتكريس وحدة الأمة  
الاسلامية وتثبيت ثبوتها في أرجاء  
العالم.

● الآراء الواردة في الموضوعات  
لا تعتبر بالضرورة من رأي المجمع أو  
المجلة.

● تسلسل الموضوعات يخضع  
لاعتبارات فنية.

● يرجح ممن يرفد المجلة  
بتأجباته الاحتفاظ بصورة منها،  
فإنها لا تعاد نشرت أم لم تنشر.

### ثمن النسخة

- الجمهورية الاسلامية في ايران ١٠٠٠ ريال □ العراق ٤ دنائير □ لبنان ١٥٠٠ ليرة  
□ سوريا ٢٥ ليرة □ الاردن ١٤٠٠ فلس □ الكويت ١٦٠٠ فلس □ البحرين ١٨٠٠ فلس  
□ الامارات ٢٥ درهما □ قطر ٢٥ ريالا □ عمان ٩٠٠ ريالان □ السعودية ٢٥ ريالا  
□ اليمن ١٥ ريالا □ مصر ١٥٠٠ مليم □ ليبيا ١٩٠٠ درهم □ السودان ١٢٠٠ مليم  
□ تونس ١٥٠٠ مليم □ المغرب ١٦ درهما □ الجزائر ١٤ دينارا.  
□ وفي باقي دول آسيا وافريقيا وامريكا واستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها.

## محتويات العدد

### كلمة التحرير

- رسالة الثقلين ..... ٧

### دراسات

- أهل البيت في القرآن الكريم : (١)  
السيد جعفر مرتضى العاملي ..... ١٠
- كتاب في مقال «آية التطهير»  
الشيخ محمد مهدي الأصفي ..... ٤١
- دور أهل البيت في تفسير القرآن الكريم  
الشيخ محمد هادي معرفة ..... ٦١
- الوحدة الاسلامية في خط أهل البيت عليهم السلام  
السيد محمد حسين فضل الله ..... ٨٢
- علم الاخلاق  
السيد كاظم الحائري ..... ١٣٥
- خطان قياديان في حياة الامام الصادق عليه السلام  
الشيخ محمد علي التسخيري ..... ١٥٠

- من نداء التوحيد
- رسالة الامام ندرس سره الى غورباتشوف
- ١١٩ ..... مقدمة شرح الرسالة
- الاستشراق والاسلام (١)
- هوية الاستشراق
- ١٧٢ ..... الشيخ فؤاد كاظم المقدادي
- المجتمع الاسلامي من وجهة نظر الامام الخميني ندرس سره (١)
- بناء الانسان أساس بناء المجتمع
- ٢٣٤ ..... الاستاذ عبد اللطيف عبادة

### تحقيقات

- الثقلان في وصية الامام الراحل السيد الخميني ندرس سره
- ٧١ ..... تحقيق الدكتور محمد علي آذر شب

### من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

- بيع الوفاء عند الامامية
- ٢١٣ ..... ممثل الجمهورية الاسلامية الايرانية في مجمع الفقه الاسلامي الدولي

### نقد

- نقد وتقويم من زاوية أدب الثقلين
- ٢٠٢ ..... لكتاب تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي

## تقريب

- المؤتمر العالمي لأهل البيت عليهم السلام  
«العكرة والكيفية»  
الشيخ محمد واعظ زاده ..... ٧٧
- حضور وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية  
في مجمع الفقه الدولي ..... ٢٣٠

## شبهة ورد

- الاحكام الشرعية ثابتة لا تتغير ..... ١٨٩

## ندوة

- أساس ومنهج التقريب بين المذاهب الإسلامية  
\* السيد محمد باقر الحكيم ..... ١٠٦
- \* الشيخ محمد مهدي الاصفي ..... ١١٤

## فنون وآداب

- في رحاب سيّد الشهداء عليه السلام  
شعر: الشيخ نبيل حلباوي ..... ١٤٤
- لا يطيب المديح الآفك  
شعر: عبد القادر الجيلاني «اندونيسيا» ..... ٢١٠
- دعوة خاصة لأصحاب الأقلام والفنون  
قسم دراسات الفنون الجميلة في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ..... ٢٥٦

□ عَبَق الثقلين

خاطرة : ابو فراس ..... ٢٦٠

تعريف

□ كتاب «المناقب» للخوارزمي ..... ٢٥٠

استطلاع

□ المستقبل الاسلامي لشعوب دول آسيا الوسطى ..... ٢٤٦

استكتاب

□ من سيرة الامام الصادق عليه السلام ..... ١٦٦

سؤال وجواب

..... ٢٥٤

من حديث أهل البيت عليهم السلام


□ التكافل الاجتماعي بين المسلمين ..... ٢٤٨

لراءة في العدد الماضي

..... ٢٥٨

كلمة التحرير

# رسالة الثقلين

باسم الله الذي اليه يصعد الكلم الطيب وعلى حب حبيبه الكلمة الطيبة ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين إذاذن ربها﴾.. 

وتحت ظلال الثقلين تركة الحبيب وأمانته في أمة محبة متبعة..  
ينطلق أتباع أهل البيت، لا ليستجدوا رسالة، فرسالتهم هي الإسلام تحت رايتها  
استشهد أهل البيت، وما كان قدرهم وقدر أتباعهم الأوائل إلا أن يذوبوا في الإسلام رسالة،  
ويعيشوه قضية، ويحفظوه كياناً ويجذروه عقيدة ويتمثلوه خلقاً، ويجسدوه سلوكاً.  
وما كانت كربلاء إلا خلاصة مركزة لما قبلها من تاريخ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم  
وعذاباتهم، ولما بعدها من تاريخ الأئمة عليهم السلام ومعاناتهم.  
ودفاعاً عن الاسلام كله، والمسلمين جميعاً - كما هو خط أهل البيت - تجزّع أتباعهم  
الغصص فنوناً وألواناً:

فمن الارهاب الفكري، لأنهم حملوا فكر أهل البيت،  
إلى الحرمان الاقتصادي، لأنهم عاشوا قيم أهل البيت،  
إلى الاضطهاد السياسي، لأنهم اتبعوا منهج أهل البيت،  
ودفعوا الثمن بصدر رحب وقلب منفتح، لأنهم على يقين وبصيرة أن أهل البيت، فكراً

وقيماً ومنهجاً، مدرسة الإسلام، حيث ينطق القرآن وتتألق السنة.

وبددهم ريح عاتية في كل ألق، وشردهم في كل صقع، فاذا هم كمنثور اللؤلؤ يصبو إلى سلك ينتظمه، ومتى ما لاح لهم طالب حق وبارقة أمل لإقامته انشدت إليه قلوبهم، ولكنهم لم ينسوا هموم الرسالة ولم يتكروا لأعبائها بل جاهدوا وجاهدوا في ابلاغها إلى كل متطلع إلى الحق متقبل له.

وعاش في أعماقهم شوق وفي أشواقهم أمل أن يتاح لهم ذلك المحور شاملاً مستوعباً يستقطب حركتهم ويلعلم طاقاتهم ويجمع قياداتهم، لتكون المسيرة واحدة رائدة في خدمة الإسلام والمسلمين، تتناسق فيها الخطى وتتعاقد الهمم ﴿كززع أخرج شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾.

وغدا الأمل حقيقة والأمنية واقعا حين تفتقت بقعة من بقاعهم عن ثورة إسلامية، وقامت فيها بنداء - الله اكبر وتحت راية لا إله إلا الله - دولة إسلامية هي دولة الإسلام المحمدي الأصيل، دولة الولاية لأهل البيت عليهم السلام تقودها حكومة تنبثق من عمق مفاهيم الإسلام وشموليتها هي حكومة الولي الفقيه، التي أرشد أهل البيت إليها وألزمهم باتباعها.

وإذا النور يشع فتهلل قلوب المسلمين، وإذا الخيرات والبركات في بقاع شتى: انتصاراً على المستعمر، وطرداً للمحتل، وانتفاضة على الدخيل.

لقد آن الأوان ليعرف العالم كله: من أهل البيت عليهم السلام؟ وما نهجهم؟ وليجد عندهم الدواء الشافي لدائه، وليستنير بهداهم في ظلماته.

آن الأوان ليعتصم المسلمون جميعاً بحبل الله ويتمسكوا بالثقلين: وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي...».

لهذا كله صدق ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي عليه الله بهذا الأمر الخطير، وأمر بإقامة مؤتمر عالمي باسم مؤتمر أهل بيت عليهم السلام ضم صفوة من أتباعهم علماء ومفكرين وقادة ليناغموا آفاقهم الفكرية وينسقوا جهودهم العملية ويضطلعوا بمهامهم الرسالية في التعريف بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وتلاقت إرادة المجتمعين المخلصة وتعانقت هممهم لإعلان قيام المجمع العالمي لأهل البيت ليكون من أبرز مسؤولياته :



- إحياء المعارف الاسلامية الأصيلة من منبع الثقلين ونشرها، والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة وخط أهل بيته المعصومين.

- الدفاع عن كيان الاسلام وحقوق المسلمين وأتباع أهل البيت.

- تحقيق الوحدة والتكافل وتدعيمهما بين أتباع أهل البيت في ظل قيادة الولي الفقيه، لتكون ركيزة وأساساً في تحقيق الوحدة الشاملة بين المسلمين، وتدعيمها لمجابهة الاستكبار العالمي ومؤامراته المتعاقبة.

فيا أتباع أهل البيت بخاصة، ويا أيها المسلمون بعامة..

لنتعباً ولتناهب لوفادة علي معين مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهو المنهل الصافي والصراط المستقيم إلى الله ورسوله، إلى الكتاب والسنة.

ولنقدّم عطاءاتها الثرة لنروي بها ظمأ الأجيال في آفاق الأرض، ونستنقذها من غياهب الحيرة والضلال.

لنعيشوا مع أهل البيت منهم السلام وافدين لمسيرتهم، أوفياء لخطهم، متمسكين بالثقلين، لا تفصلون بينهما ولا تفصلون عنهما، لتهدوا وتهتدوا «ولن تغفلوا أبداً».

# اهل البيت في القرآن الكريم

(١)

السيد جعفر مرتضى العاملي

بداية:

لقد وردت عبارة «أهل البيت» في موارد كثيرة جداً، في كلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، تعبيراً عن جماعة خاصة ينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكرت لهم أوصاف، وجعلت لهم منزلة ولزمت الأمة تجاههم حقوق، ومسؤوليات كثيرة ومتنوعة، كما أنها هامة وخطيرة.

وقد ورد الحديث عن هذه الجماعة بالذات في القرآن الكريم أيضاً، في أكثر من مورد، وفي أكثر من تعبير، وكان التعبير عنهم بـ: «أهل البيت» واحداً منها أيضاً. وحيث إن البعض قد ذهب عن عمد، أو غير عمد، يميناً وشمالاً، في تحديد مراد القرآن من خصوص كلمة «أهل البيت»، فقد رأينا أن نبادر إلى بحث هذا الامر بالذات، ومن الله نستمد العون وعليه نتوكل.

المدخل إلى البحث:

لقد وردت كلمة «أهل البيت» في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:  
الأول: في قصة موسى عليه السلام، حينما كان طفلاً صغيراً، والتقطه آل فرعون، ليكون لهم

عدواً وحزنًا، فلم يقبل الرضاعة من أية امرأة، وتحير آل فرعون في أمره، فجاءت أخته، فقالت لهم:

﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، وهم له ناصحون، فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن﴾<sup>١</sup>.

وليس في الآية ما يوضح ما قصده أخت موسى من تعبيرها هذا، وهل أرادت كل من له قرابة بذلك البيت أم بعضهم، وهل أرادت خصوص القرابة النسبية، أم ما يعم النسبية والسببية، أو ما يعمهما مع من ينسب إلى البيت بالولاء، أو بالتربية، أو ما هو أعم من ذلك أيضاً؟!

هذا بالإضافة إلى أن التعبير قد جاء بصيغة التنكير «أهل بيت» لا بصيغة التعريف «أهل البيت».

الثاني: في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حينما عجبت زوجته من بشارة الملائكة لها، بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال الملائكة لها:

﴿أتعجبين من أمر الله. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾<sup>٢</sup>.

وفي الآية الشريفة دلالة على أن زوجة إبراهيم، قد اعتبرت من جملة أهل البيت، حيث إنها كانت مورداً للخطاب فيها.

ولكن ذلك لا يصلح دليلاً على أن الزوجة تكون من أهل البيت في كل مورد أطلقت فيه هذه الكلمة، حتى فيما لا يكون هناك قرينة صالحة لتعيين المقصود...

وذلك لأن توجيه الخطاب في الآية الآتية الذكر لزوجة إبراهيم يصلح قرينة على دخولها في المراد من كلمة «أهل البيت» ولكنه لا يصلح دليلاً على أن كلمة «أهل البيت» موضوعة لما يعم الزوجة، بحيث لا بد وأن تتبادر إلى الذهن بمجرد سماع هذه الكلمة ومن دون أية قرينة. وسيأتي المزيد من الحديث حول هذه الآية إن شاء الله تعالى.

الثالث: قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا

(١) سورة القصص / الآية (١٢).

(٢) سورة هود / الآية (١٢).

تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً<sup>١</sup>.

ف نجد أن قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ قد وقع بين الآيات التي تخاطب زوجات النبي لآكرم من الله عليه وآله وسلم، فأوجب ذلك الشبهة لدى البعض في من المراد بآية التطهير، واتخذ البعض الآخر مبرراً لاثارة بعض الشكوك حول المفاد الحقيقي للآية الشريفة كما سنرى.

### الأقوال والاجتهادات:

إن مراجعة كلمات المفسرين وغيرهم تعطينا: ان هناك أقوالاً عديدة حول المراد بأهل البيت في الآية الكريمة وهي التالية:

- ١- ما ادعاه عكرمة<sup>٢</sup> وكان يتادي به في الاسواق، ويدعى الناس إلى المباهلة ويقول: ان المراد بـ «أهل البيت» في آية التطهير خصوص نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يشمل غيرهن، ونسب هذا القول إلى ابن عباس، برواية عكرمة، وعبيد بن جبير عنه<sup>٣</sup>، ونسب أيضاً

(١) سورة الاحزاب / الآيات (٣٢ - ٣٤).

(٢) راجع: جامع البيان ٢٢ / (٧) والدر المنثور ٥ / (٩٨) وعنه وعن ابن مردويه، وفتح القدير ٤ / (٢٧٨ و ٢٧٩) والتهذيب ٨ / (٣٠٨) وسير اعلام النبلاء ٨ / ٢٠٨ وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٣) والتفسير الحديث ٨ / (٢٦٨، ٢٦٣) عنه وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٩)، والميزان ١٦ / (٣١٠) ومجمع البيان ٨ / (٢٥٦)، وأسباب النزول ٤ / (٢٠٤) والمواهب اللدنية ٢ / (١٢٢) ونور الأبصار ١١٠ / (١١٠) والصواعق المحرقة ١٤١ / (١٤١) ولباب التأويل للخازن ٣ / (٣٦٦) وإسعاف الراغبين، بهامش نور الابصار ١٠٨ / (١٠٨) وأحكام القرآن للجصاص ٥ / (٢٣٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد معاوية) ١٣٣ / (١٣٣) ومرواة الوصول ١٠٦ / (١٠٦) والجامع لأحكام القرآن ١٤ / (١٨٢، ١٤٤).

(٣) الدر المنثور ٥ / (١٩٨) عن ابن أبي حاتم، وابن عساکر، وابن مردويه، وفتح القدير ٤ / (٢٧٨ و ٢٧٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد معاوية) ١٣٣ / (١٣٣) وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٨٣) وسير اعلام النبلاء ٢ / (٢٠٨، ٢٢١) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨) والمواهب اللدنية ٢ / (١٢٢) وأسباب لنزول ٢ / (٢٠٣) ونور الأبصار ١١٠ / (١١٠) والصواعق المحرقة ١٤١ / (١٤١) ولباب التأويل ٣ / (٤٦٦) وإسعاف الراغبين مطبوع بهامش نور الابصار ١٠٨ / (١٠٨) ومرواة الوصول ١٠٦ / (١٠٦) والجامع لأحكام القرآن ١٤ / (١٨٢).

- إلى مقاتل<sup>١</sup> وإلى عطاء، والكلبي، وسعيد بن جبير<sup>٢</sup>.
- وعروة بن الزبير الذي ادعى أيضاً: أن الآية نزلت في بيت عائشة<sup>٣</sup>.
- ٢ - وقال آخرون: المراد أصحاب الكساء، وهم: النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي وفاطمة، والحسنان عليهم السلام بالإضافة إلى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وبعضهم ذكر الزوجات، وأصحاب الكساء، باستثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما عن الفخر الرازي، والخطيب، كما ذكره القسطلاني على البخاري<sup>٤</sup>.
- ٣ - وقيل: المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده<sup>٥</sup>.
- ٤ - وقيل: المراد بنو هاشم، ولا يشمل النساء<sup>٦</sup>.
- وقيل: المراد بهم من ناسبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى جده الأدنى، وقيل: من اجتمع معه في رحم، وقيل: من اتصل بسبب أو نسب<sup>٧</sup>.
- ٥ - وقال أبو حيان: «لما كان أهل البيت يشملهن وآبائهن غلب المذكر على المؤنث»<sup>٨</sup>.
- ٦ - وقيل: المراد، النساء، وجميع بني هاشم الذين حرّموا الصدقة<sup>٩</sup>.
- ٧ - وقيل: هم علي وفاطمة، والحسنان عليهم السلام، ونصت بعض الروايات والاقوال على
- 
- (١) فتح القدير ٤ / (٢٧٨) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٦) ونور الأبصار، (١١٠) ولباب التأويل ٣ / (٤٦٦) وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / (١٠٨).
- (٢) فتح القدير ٤ / (٢٧٨) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٦) عن الكلبي، وابن جبير والجامع لأحكام القرآن ١٤ / (١٨٢) عن عطاء.
- (٣) الدر المنثور ٥ / (١٩٨) عن ابن سعد، وراجع: فتح القدير ٤ / (٢٧٩) ومرفقة الوصول / (١٠) وراجع: تفسير الميزان ١٦ / (٣١٠).
- (٤) راجع في ذلك كلاً أو بعضاً: السنن الكبرى ٢ / (١٥٠) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨ - ٢٠٩) والمواهب اللدنية ٢ / (١٢٣) وفتح القدير ٤ / (٢٨٠) وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) / (١٠٨) ومرفقة الوصول / (١٠٨ - ١٠٧) والجامع لأحكام القرآن ١٤ / (١٨٣) وكلام ابن روزبهان في دلائل الصدق ٢ / (٩٤) وراجع نظرية الإمامة / (١٨١ - ١٨٢) عن التحفة الانبياء عشرية (٢٠٢).
- (٥) الصواعق المحرقة (١٤١).
- (٦) راجع فتح القدير ٤ / (٢٨٠) والجامع لأحكام القرآن ٤ / (١٨٣) عن الثعلبي، وزيد بن أرقم وتفسير الميزان ١٦ / (٣١٠) ولباب التأويل للحازن ٣ / (٤٦٦) وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) / (١٠٨، ١٠٧) في من قال: «وفي رواية: أنه أدرج معهم بقية بناته وأقاربه وأزواجه».
- (٧) المواهب اللدنية ٢ / (١٢٧).
- (٨) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٩).
- (٩) راجع: تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٢٠٨ والتسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ١٣٧ وإسعاف الراغبين «مطبوع بهامش نور الأبصار» ١٠٨ والصواعق المحرقة / ١٤١.

دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم<sup>١</sup>، ونسب هذا القول الى: أنس بن مالك وائلة بن الاسقع<sup>٢</sup>، وإبي سعيد الخدري، وعائشة، وأم سلمة<sup>٣</sup> وأصر عليه الطحاوي، والكنجي الشافعي، والذهبي والقمي<sup>٤</sup> وهو قول مجاهد، وقتادة والكلبي<sup>٥</sup> بل هو قول الجمهور<sup>٦</sup>، واكثر المفسرين<sup>٧</sup>.  
بل قال البعض: اجمع المفسرون وروى الجمهور<sup>٨</sup> ان الآية نزلت في اهل الكساء وقالوا:  
ان مقصود مدعي إجماع المفسرين: أنهم أجمعوا على شمول الآية لآل البيت اصحاب الكساء،  
اما الزوجات فالخلاف في دخولهن موجود او المراد: إجماع من يُعتد بقوله في مقام النزول  
وشبهه، وليس عكرمة ومقاتل من هؤلاء لأن هذا يرجع الى الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم،  
أو عمن يُعتد بقوله من الصحابة. وعكرمة ومقاتل متهمان بالكذب<sup>٩</sup>.  
وقد أضافت بعض الروايات الائمة الاثني عشر عليهم السلام<sup>١٠</sup>، وقد ادعى البعض اجماع  
الامامية على شمول آية التطهير لجميع الائمة<sup>١١</sup>.

### الاقوال في مؤداها النهائي:

وإذا أمعنا النظر في الاقوال الآتفة الذكر نجد أنها تدور حول عناصر ثلاثة:

- (١) راجع: ينابيع المودة (٢٩٤) والصواعق المحرقة / (١٤١) والمواهب اللدنية ٢ / (١٢٣) وفتح القدير ٤ / (٢٧٩) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨)، وإسعاف الراغبين / (١٠٨) وتفسير القمي ٢ / (١٩٤، ١٩٣) والكشاف ٣ / (٥٣٨)، ومشكل الآثار ١ / (٣٣٩ - ٣٣٢) والمعنصر من المختصر ٢ / (٢٦٦، ٢٦٧) وغير ذلك مما سيأتي.
- (٢) مجمع البيان ٨ / (٣٥٦).
- (٣) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨) وراجع: مجمع البيان ٨ / (٣٥٦) وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) / (١٠٨) عن الخدري، وغير ذلك.
- (٤) راجع: مشکل الآثار ١ / (٣٣٩ - ٣٣٢) وكفاية الطالب / (٥٤) وخلاصة عباة الانوار ٢ / (٣٧١، ٣٧٢) وتاريخ الاسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) (٤٤) وتفسير القمي ٢ / (١٩٣ - ١٩٤).
- (٥) فتح القدير ٤ / (٢٧٩) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨) والجامع لاحكام القرآن ١٤ / (١٨٢) عن فرقة منهم الكلبي، وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) / (١٠٨) عن جماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة.
- (٦) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨) وفتح القدير ٤ / (٢٧٩) وراجع: المواهب اللدنية ٢ / (١٢٣).
- (٧) ينابيع المودة / (٢٩٤) والصواعق المحرقة / (١٤١).
- (٨) نهج الحق / (١٧٣) وراجع: المطبوع ضمن احقاق الحق ٢ / (٥٠٢).
- (٩) راجع: ما تقدم في احقاق الحق للتستري تعليقات آية الله المرعشي النجفي ٢ / هامش ٥٠٢ وراجع نفس احقاق الحق للتستري ٢ / (٥٦٥)، ودلائل الصدق ٢ / ٩٥.
- (١٠) راجع هذه الروايات في كتاب: آية التطهير في احاديث الفريقين للأبطحي ١ و٢ وكتاب سليم بن قيس / ١٥٠.
- (١١) راجع هامش كتاب جوامع الجامع / (٣٧٢).

**-الاول :** دخول الزوجات في المراد من كلمة اهل البيت إما باستقلا لهن. أو مع أصحاب الكساء، أو مع سائر بني هاشم أو مع ما هو أوسع، أو أضيق من ذلك.

**-الثاني :** دخول من عدا أصحاب الكساء، من أقارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني هاشم، الذين حرموا الصدقة ولهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابة نسبية. وقد يضيف البعض الزوجات، مع إصرار البعض على نفيهن.

**-الثالث :** الاختصاص باهل الكساء، ولا بدع إذا رأينا طائفة تضيف إليهم بقية الائمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام، استناداً الى روايات عديدة تصرح بذلك.

والأدلة كلها تعود في حقيقتها الى نفي أو اثبات هذه العناصر وإن اختلفت - جزئياً - في ما ترمي الى إثباته.

غاية الامر: أن ما ذكره البعض من أن المعني بآية التطهير هو خصوص النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يترأى للنظر انه زائد على العناصر الثلاثة المتقدمة ... لم تجد من تصدى للاستدلال له، ولم تتمكن - رغم تتبعنا لهذا الامر - من الوقوف على من التزم به وتبناه. ولذا، فلا نرى حاجة للتعرض له نفيًا، أو إثباتًا في بحثنا هذا.

ولسوف تقتصر هنا على ماله ارتباط مباشر بالعناصر الثلاثة الآتية الذكر، فنقول:

## التفسير النبوي لآية التطهير

### بداية ذات أهمية:

انه لا ريب في أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أعرف من كل أحد بالقرآن ومعانيه، وإشاراته، ومرامييه، وهو المرجع والملاذ، إذا اشتبهت الأمور، ومست الحاجة الى التوضيح والتصحيح.

لكن ما يلفت نظرنا في هذا المجال: أننا نرى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتصدى أحياناً - وبصورة طوعية - للتوضيح، ووضع النقاط على الحروف، حتى في أمور يُظنُّ لأول وهلة أنها من الواضحات.

لكن المفاجأة تواجهنا حين نجد: أن الأهواء السياسية، والعصبيات الجاهلية تحاول أن

تمدّد يد التحريف الى ذلك الشيء الذي تصدّى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتوضيحه وتوسيعه وتصحيحه، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ينظر الى الغيب من متر دقيق.

ولكن لما كان المساس بالنص القرآني - حذفاً أو زيادة، أو تحريفاً - يكاد يلحق بالمتنوعات، ودونه خراط القتاد، فانهم توصلاً الى تحقيق أهدافهم يعمدون الى تحريف معانيه، ودلالاته والتلاعب بها، بدلاً من تحريف مبانيه. وقد أشار الامام الباقر عليه السلام الى ذلك فيما كتبه الى سعد الخير، حيث يقول:-

«أقاموا حروفه، وحزفوا حدوده، فهم يروونه ولا يعرفونه. والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم بتركهم للرعاية»<sup>١</sup>.  
وهذا بالذات هو ما حصل بالنسبة الى آية التطهير لأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.

إذ رغم التأكيدات النبوية الكثيرة والمتواصلة، والتي استمرت أشهراً عديدة، وربما الى حين وفاته صلى الله عليه وآله وسلم أن المراد بأهل البيت في آية التطهير هم أهل الكساء، وأنهم استناداً الى هذه الآية مطهرون من الذنوب.

نعم ... رغم ذلك نجد حملة متواصلة تهدف الى حرف هذا الأمر عن مواضعه الحقيقية، وإثارة الشبهات حول دلالة الآية، حتى ولو كانت قيمة ذلك هي تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودفع قوله، ولو بصورة ذكية ومبطنّة.

ونحن نجد في هذا الفصل إلماحة الى تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآية التطهير، ثم يرى القارئ بنفسه من خلال سائر ما ذكرناه في هذا الكتاب بعض الذي جاء به الآخرون من خلال الشبهات التي اثاروها، والدعاوى الواهية التي اطلقوها...

### الرواية تفسّر القرآن:

لقد رويت روايات كثيرة جداً تؤكد على أن المقصود بأهل البيت في الآية الشريفة هم أهل الكساء. وقد رواها العلماء والمحدثون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم. وهي متواترة من

(١) راجع: الكافي ٨/ ٥٣، والبحار ٧٥/ ٣٥٩، والوافي ٥/ ٢٧٤، والممجة البيضاء ٢/ ٣٦٤، والبيان، لآية الله الخوئي / (٢٤٩).



طرق أهل السنة فضلاً عن تواترها من طرق الشيعة أيضاً.

وأهل الكساء هم: النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسنان عليهم السلام. وقد قال المحقق الكركي رحمه الله: «انه قد بلغ التواتر، وأفاد اليقين. دع عنك ما رواه الشيعة، فيما لا يبلغه الحصر والعَدَّ نهايته. وأي رواية في السنة أثبت من هذه الرواية، التي قد اتفق على نقلها رواية أهل السنة، ورجال الشيعة الامامية، أهل الحق، الذين هم خاصة أهل البيت، وخالصتهم. وإذا تطرق إليها منع السنة، لم يبق في السنة شيء إلا وتطرق إليه ذلك المنع»<sup>١</sup>.

وعلى حد تعبير الحسكاني: «قد كثرت الرواية فيه»<sup>٢</sup>، وعلى حد تعبير آخر: «لا تحصى كثرة»<sup>٣</sup> وقال بعض آخر: «أجمع المفسرون، وروى الجمهور»<sup>٤</sup>.

وفسروا ذلك بأنهم أجمعوا على شموله الآية لأهل الكساء، والخلاف إنما هو في دخول زوجاته، أو المراد إجماع من يُعتقد بقوله في أمر النزول وشبهه، وقد تقدم نقل ذلك.

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «وهي روايات جمّة، تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة، فقد رواها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وسعد، ووائل بن الاسقع، وأبي الحمراء، وابن عباس، وثوبان مولى النبي، وعبدالله بن جعفر، وعلي، والحسن بن علي عليهما السلام في قريب من أربعين طريقاً»<sup>٥</sup>.

وروتها الشيعة عن علي والسجاد، والباقر والصادق، والرضا عليهم السلام، وأم سلمة، وأبي ذر، وأبي ليلى، وأبي الأسود الدؤلي، وعمرو بن ميمون الأودي، وسعد بن أبي وقاص في بضع وثلاثين طريقاً»<sup>٥</sup>.

ولكن يتضح بالمراجعة لهذه الروايات وأسانيدها أن رواتها أكثر من ذلك بكثير، ويكفي أن نذكر: أن بعض العلماء قد ألف كتاباً حول آية التطهير، وقد خصص الجلد الأول منه الذي تربو صفحاته على أربعمائة لذكر نصوص الحديث، فرواه عن أكثر من خمسين صحابياً بالإضافة إلى ما روي بطرق كثيرة جداً عن أئمة أهل بيت العصمة الاثني عشر صلوات الله وسلامه

(١) نفحات اللاهوت / (٨٥). (٢) شواهد التنزيل / ٢ / (١٠).

(٤) نهج الحق / (١٧٣).

(٣) تاويل الآيات الظاهرة / ٢ / (٥٦).

(٥) الميزان (تفسير) / ١٦ / (٣١١).

عليهم، ثم ما روي عن التابعين، فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء.<sup>١</sup>  
والطريف في الأمر: أن الرجل المعروف بكثرة ما يبذله من جهد لانكار أكثر ما ورد فيهم  
عليهم السلام، لم يستطع، إلا الاعتراف بصحة حديث الكساء، فقال: «أما حديث الكساء، فهو  
صحيح».<sup>٢</sup>

ونحن هنا نشير إلى حديث الكساء ومصادره، بالمقدار الذي يتيسر لنا في هذه الفرصة  
المحدودة. ثم نبين المراد من آية التطهير، وأنها إنما تنطبق على خصوص هؤلاء، من دون  
انخرام لظهور السياق بل السياق يعضده ويؤيده بصورة قوية وظاهرة... ثم نشير إلى أدلة  
الآخرين للأقوال التي التزموا بها، وفقاً لما قدمناه في الفصل الاول، فنقول:

### حديث الكساء في مصادره:

إن لحديث الكساء نصوصاً كثيرة<sup>٣</sup>، عن كثير من الصحابة والتابعين وكلها يفيد: أن رسول

- (١) الكتاب هو باسم: آية التطهير في أحاديث الفريقين للسيد علي الموحّد الباطني.
- (٢) منهاج السنة لابن تيمية ٣ / ٤ و ٤ / (٢٠).
- (٣) راجع هذه الأحاديث الكثيرة جداً على اختلاف الفاظها في المصادر التالية: جامع البيان ٢٢ / ٥ - ٧ والدر المنثور ٥ / ١٩٨ - ١٩٩ عنه وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم وصحاحه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبه، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير ٤ / ٢٧٩ - ٢٨٠ وجوامع الجامع ٣٧٢ / ٢ والتسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ١٣٧ وتأويل الآيات الظاهرة ٢ / ٤٥٧ - ٤٥٩ والطوائف ١٢٢ / ١٣٠ والمناقب لابن المغازلي ٣٠١ - ٣٠٧ وشواهد التنزيل ٢ / ١١ - ٩٢ ومسند الطيالسي ٢٧٤ / ٢٧٤ والعمدة لابن بطريق ٤٦٣ / ٥٣١ ومجمع الزوائد ٧ / ٩١ - ٩٢ / ١١٩، ١٢١، ١٤٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢ وأسد الغابة ٤ / ٤٩، ١٢٨، ٢٠٣ / ٣ و ٥٤٦ / ١٧٤، ١٧٤، ٥٢١، ٥٨٩ وآية التطهير في أحاديث الفريقين المجلد الاول كله، واسباب النزول ٢٠٣ ومجمع البيان ٩ / ١٣٨ و ٨ / ٣٥٦، ٣٥٧ والبحار ٣٥ / (٢٢٣ - ٢٠٦)، و ٤٥ / (١٩٩) و ٣٧ / (٣٥، ٣٦)، ونهج الحق ١٧٣ / (١٧٥) والجامع لاحكام القرآن ١٤ / (١٨٢)، وصحيح مسلم ٧ / (١٣٠) وسعد السعدي ١٠٩، ١٠٧، ٢٠٤ / (٢٠٤) وذخائر المقبي ٢١ / (٢٥)، و ٨٧، وكشف اليقين في فضائل امير المؤمنين / (٤٠٥)، والايضاح لابن شاذان / (١٧٠)، ومسند احمد ٤ / (١٠٧)، و ٣ / (٢٨٥، ٢٥٩)، و ٦ / (٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٤)، و ١ / (٣٣١)، وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٣ - ٤٨٦) وكفاية الطالب / (٥٤)، ٢٤٢، ٣٧١ - ٣٧٧، وترجمة الامام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ١ / (١٨٣، ١٨٤)، والمعجم الصغير ١ / ٦٥ و ١٣٥ والجامع الصحيح ٥ / (٣٥١، ٣٥٢، ٦٦٣، ٦٩٩)، وخصائص الامام علي عليه السلام للنسائي / (٤٩، ٦٣)، المستدرک علی الصحيحين ٢ / (٤١٦)، و ٣ / (١٣٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٨، ١٧٢)، وتلخيصه للذهبي، مطبوع بهامشه، وتفسير القمي ٢ / (١٩٣)، والبيان ٨ / (٣٠٧، ٣٠٩)، والتفسير الحديث ٨ / (٣٦١، ٣٦٢)، ومختصر تاريخ دمشق ٧ / (١٣)، والبرهان (تفسير) ٣ / (٣٠٩ - ٣٢٥)، وتفسير فوات / (٣٢٢ - ٣٢٤)، وفاء الوفاء ١ / (٤٥٠)

الله صلى الله عليه وآله أخذ ثوباً فجعل فيه علياً، وفاطمة والحسين، وقال : إنما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس أهل البيت، ويظهركم تطهيراً، أو دعائهم بذلك.  
وأكثرها يصرح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد منع إحدى النساء عن الدخول مع أهل الكساء:  
عائشة، أو أم سلمة، أو زينب.

ولسوف يطلع القارئ على خصوصيات الروايات في المطالب والفصول التالية

وراجع نزهة المجالس ٢ / (٢٢٢)، ومنتخب ذيل المذيل (للطبري) (٨٣)، وحبيب السير ١ / (٤٠٧)، و ٢ / (١١)  
والشفاء لعياض ٢ / (٤٨)، وسير أعلام النبلاء ١٠ / (٣٤٦، ٣٤٧)، و ٣ / (٢٧٠ و ٢٥١ و ٣٨٥ و ٢٥٤) والغدير ١ / (٥٠ و ٣٠)  
١٩٦ وإحقاق الحق (الملحقات ١٩-٦٩ و ٣ / ٥١٣-٥٣١، و ٢ / ٥٠٢-٥٧٣)، و ١٤ / (١٠٥-٤٠)، و ١٨ / (٣٨٣-٣٥٩) عن  
مصادر كثيرة جداً وسليم بن قيس / (٥٢، ٥٣، ١٠٥)، وراجع / (١٠٠)، ونزل الأبرار / (١٠٢-١٠٤، ١٠٨) وكنز العمال  
١٣ / ٤٦٦ ونوادير الأصول ٦٩ و ٦٥ والصراط المستقيم ١ / ١٨٤-١٨٨ وقال في جملة ما قال : «وأُسند نزولها فيهم  
صاحب كتاب: الآيات المنزعة، وقد وقفه المستنصر بمدرسته، وشرط أن لا يخرج من خزائنه، وهربخط ابن  
البواب، وفيه سماع لعلي بن هلال الكاتب، وخطه لا يمكن أحد أن يزوره عليه»، ومراقبة الوصول / (١٠٥-١٠٧)  
وذكر أخبار أصبهان ٢ / (٢٥٣)، و ١ / (١٠٨)، وتهذيب التهذيب ٢ / (٢٩٧)، والرياض النضرة ٣ / (١٥٢، ١٥٣)، ونهج  
الحق المطبوع ضمن إحقاق الحق ٢ / (٥٠٢، ٥٦٣) ومصابيح السنة للبغوي ٤ / (١٨٣)، والكشاف ١ / (٣٩٩)  
والانفاق ٢ / (١٩٩، ٢٠٠)، وتذكرة الخواص / (٢٣٣)، وأحكام القرآن لابن عربي ٣ / (١٥٣٨) والفصول المهمة لابن  
الصباغ / (٨٠، ٧)، والاصابة ٢ / (٥٠٩)، و ٤ / (٣٧٨)، وترجمة الإمام الحسن عليه السلام لابن عساكر (بتحقيق  
المحمودي) / (٦٣-٧٠)، والصواعق المحرقة / (١٤١-١٤٣، ١٣٧)، ومتشابه القرآن ومختلفه ٢ / (٥٢)، وتفسير نور  
الثقلين ٤ / (٢٧٠-٢٧٧)، وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبيصار) / (١٠٦، ١٠٧)، ونور الأبيصار / (١١٠-  
١١٢)، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ١ / (٢٢٤، ٢٤٣) وراجع (٢٥٣)، والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة)  
٤ / (٤٦)، و ٣ / (٣٧)، وفرائد السمعين ١ / (٣٦٨، ٣٦٩)، و ٢ / (١٠، ١٩، ٢٢، ٢٣)، وبتأنيب المودة / (١٠٧، ١٠٨، ١٦٧،  
٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٠، ١٥٠، ١٧٤، ٢٩٤، ١٩٣)، والمقد الفريد ٤ / (٣١١)، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢ / (٦١، ٦٢)،  
وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ١ / قسم ٢ / (٦٩، ٧٠، ١١٠)، وراجع (١٩٧)، وكتاب الكنى للبخاري / (٢٥، ٢٦)،  
ونظم درر السمطين / (١٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩) وتهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٧-٢٠٩)، والنهاية في اللغة ١ / (٤٤٦)،  
ولياب التأويل ٣ / (٤٦٦)، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (ملحق بالفصول المهمة) / (٢٠٣، ٢١٧)، وأنساب  
الأشراف ٢ / (١٠٤، ١٠٦)، وترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٦٠-٧٦) والمعتمد  
من المختصر ٢ / (٢٦٧، ٢٦٦)، والمواهب اللدنية ٢ / (١٢٢)، المحاسن والمساوي ١ / (٤٨١)، ونفحات اللاهوت /  
(٨٤، ٨٥)، وتيسير الوصول ٢ / (١٦١)، والكافي ١ / (٢٨٧)، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / (٩٦) عن  
ابن أبي شيبه وكنز العمال ١٦ / (٢٥٧)، والهند والانحاف / (١٨)، وتاريخ الاسلام للذهبي (عهد الخلفاء  
الراشدين) / (٤٤)، وأحكام القرآن للجصاص ٥ / (٢٣٠)، وتاريخ بغداد ١٠ / (٢٧٨)، و ٩ / (١٢٦، ١٢٧)، والمناقب  
للخوارزمي / (٢٣، ٢٢٤)، والسيرة النبوية لدحلان ٢ / (٣٠٠)، ومشكل الآثار ١ / (٣٣٢-٣٣٩)، والسنن الكبرى ٢ /  
(١٤٦-١٥٢)، و ٧-٦٣)، والبداية والنهاية ٥ / (٣٢١)، و ٨ / (٢٠٥، ٢٠٥)، وعن ذخائر الموارث ٤ / (٢٩٣)، وعن ميزان  
الاعتدال ٢ / (١٧)، ومنهاج السنة ٣ / (٤)، و ٤ / (٢٠).

إن شاء الله تعالى.

### التأكيد والإصرار:

ونجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أصرّ إصراراً عظيماً على هذا الأمر، وحاول أن يزيد الأمر ثبوتاً، وتأكيداً، ورسوخاً، يزيل أية شبهة أوريب فيما يرتبط بالمراد من «أهل البيت». ويسلب أصحاب الأغراض السياسية، والأهواء والعصبيات الجاهلية أية فرصة للتحريف، أو للتزييف. وذلك من خلال أسلوب عمل انتهجه، وخطة رائعة اتبعها، حيث نجده عليه السلام قد بقي ستة أشهر<sup>١</sup> كلما خرج إلى الصلاة يأتي باب فاطمة ويقول: الصلاة يا أهل البيت، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً﴾.

وقد روي ذلك عن غير واحد.

وقيل: بقي تسعة أشهر<sup>٢</sup>. وقد يكون أحدهما: «تسعة وستة» تصحيحاً للآخر، بسبب عدم وجود النقط في السابق، وتقارب الرسم فيها. وقيل بقي سبعة أشهر<sup>٣</sup>. وقيل: ثمانية أشهر<sup>٤</sup>.

- (١) جامع البيان ٢٢ / (٥) وكنز العمال ١٦ / (٢٥٧) ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / (٩٦) عن ابن أبي شيبة ولباب التأويل ٣ / (٤٦٦) والتفسير الحديث ٨ / (٢٦٢) والدر المنثور ٥ / (١٩٩)، وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٣)، والفصول المهمة للمالكي / (٨)، ونبائع المودة / (١٠٨، ١٩٣، ٢٦٠)، ومجمع الزوائد / (١٢١، ١٦٨)، والبرهان (تفسير) ٣ / (٣٢٤)، والطرائف / (١٢٨)، ومسند أحمد ٣ / (٢٨٥، ٢٥٩)، وشواهد التنزيل ٢ / (١١-١٥، ٤٨، ٥٠، ٩٢) والبحار ٣٥ / (٢٢٧، ٢٣٣)، والجامع الصحيح ٥ / (٣٥٢) ومستدرک الحاكم ٣ / (١٥٨) وسير أعلام النبلاء ٢ / (١٣٤) وأحكام القرآن لابن عربي ٣ / (١٥٣٨)، وأسد الغابة ٥ / (٥٢١)، وتيسير الوصول ٢ / (١٦١) وأنساب الأشراف ٢ / (١٠٤) (بتحقيق المحمودي) وذخائر العقبى / (٢٤) والبداية والنهاية ٨ / (٢٠٥).
- (٢) راجع: الدر المنثور ٥ / (١٩٩) عن ابن مردويه والطرائف / (١٢٨) والمناقب للخوارزمي (٢٣) والبحار ٣٥ / (٢٢٣) وإحقاق الحق ٩ / (٦٣) عن تفسير الثعلبي ونهج الحق / (١٧٤) وفي المطبوع ضمن إحقاق الحق / (٥٦٣)، والبرهان (تفسير) ٣ / (٣٢٣) وتفسير فرات / (٣٣٩) ومشكل الآثار ١ / (٣٣٩، ٣٣٨)، ونبائع المودة / (١٧٤، ١٩٣)، والتاريخ الكبير للبخاري (كتاب الكنى) / (٢٥، ٢٦)، والمعدة لابن بطريق / (٤١، ٤٥)، وذخائر العقبى / (٢٤، ٢٥) عن عبد بن حميد وشواهد التنزيل ٤ / (٥٢، ٢٩)، وكفاية الطالب / (٣٧٦) وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين / (٤٠٥) والبحار ٣٥ / (٢١٤، ٢٢٣).
- (٣) جامع البيان ٢٢ / (٦) وفتح القدير ٤ / (٢٨٠) عنه وعن ابن مردويه، ووفاء الوفاء ٢ / (٤٥٠) وراجع (٤٦٧)، ومنتخب ذيل المذيل (للطبري) / (٣) وشواهد التنزيل ٢ / (٥٠، ٩١) ونور الأبصار / (١٢٢) وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) / (١٠٨) والبداية والنهاية ٥ / (٣٢١)، وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٣).
- (٤) الدر المنثور ٥ / (١٩٩) عن ابن جرير، وابن مردويه وشواهد التنزيل ٢ / (٢٨، ٥٠، ٥١، ٨٩، ٩١)، وكفاية الطالب

وقيل: بقي شهراً<sup>١</sup>. وقيل أربعين صباحاً<sup>٢</sup>. وقيل تسعة عشر شهراً<sup>٣</sup>. وقيل: سبعة عشر شهراً<sup>٤</sup>.  
وقيل: عشرة أشهر<sup>٥</sup>. وفي بعض المنقولات: لم يحدد وقتاً<sup>٦</sup>. وقيل بقي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر  
عمره الشريف<sup>٧</sup>.

وقال البعض: «يُروى هذا الخبر بأسانيد عن الثلاث مئة من أصحابه، منهم من قال: ثمانية  
أشهر، ومنهم من قال عشرة أشهر»<sup>٨</sup>.

### السر في هذا الاختلاف:

ومن الواضح: أن الاختلاف في المدة هنا لا يوجب وهنا في الرواية، ولا شكاً في أصل  
الواقعة، إذ من القريب للاعتبار أن يكون كل واحد من هؤلاء الناقلين قد نقل ما لاحظته بنفسه.  
ولعل بعضهم قد أقام على مراقبة فعله صلى الله عليه وآله وسلم هذا شهراً والبعض الآخر قد راقبه ستة،

- 
- (١) / (٣٧٨) وينايع المودة / (٢٦٠) ونور الابصار / (١١٢) واسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الابصار / (١٠٧).  
(١) مسند الطيالسي / (٢٧٤) وأسد الغابة / (٥) / (٦٦).  
(٢) الدر المنثور / (٥) / (١٩٩) عن ابن مردويه والمناقب للخوارزمي / (٢٣) ووفاء الوفاء / (٢) / (٤٥٠) وراجع (٤٦٧)  
وشواهد التنزيل / (٢) / (٢٧، ٢٨، ٥١) ومجمع الزوائد / (٩) / (١٦٩) والصراط المستقيم / (١) / (١٨٨) ونور الابصار / (١١٢)  
وتفسير فرائد / (٣٣٨ و ٣٣٩) والبرهان (تفسير) / (٣) / (٣١٣، ٣٢٤) وأمالي الطوسي / (١) / (٢٥٧) والبحار / (٣٥) / (٢٠٩، ٢١٣، ٢١٥).  
(٣) مجمع الزوائد / (٩) / (١٦٩) والصراط المستقيم / (١) / (١٨٨) عن ابن قرطبة في مراصد العرفان عن ابن عباس، قال:  
: ونحوه عن أنس، وأبي بردة، وأبي سعيد الخدري.  
(٤) مجمع الزوائد / (٩) / (١٦٩) وشواهد التنزيل / (٢) / (٥٠).  
(٥) شواهد التنزيل / (٢) / (٥٠) وينايع المودة / (٢٦٠) وراجع: تفسير فرائد / (٣٣٩)، نهج الحق (المطبوع ضمن  
احقاق الحق) / (٢) / (٥١٣) وراجع: نهج الحق المطبوع مستقلاً / (١٧٤) وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين /  
(٤٠٥) والبحار / (٣٥) / (٢١٤).  
(٦) راجع: الدر المنثور / (٥) / (١٩٩) عن ابن أبي شيبه، وابن جرير، والترمذي وحسنه، وأحمد وابن المنذر،  
والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن انس والبرهان (تفسير) / (٣) / (٣١٣) ونور الابصار / (١١٢) واسعاف  
الراغبين (مطبوع بهامش نور الابصار) / (١٠٨) وفتح القدير / (٤) / (٢٨٠) عن ذكرهم السيوطي آنفاً، وأمالي المفيد /  
(٣١٨) وأمالي الطوسي / (١) / (٨٨)، وأسد الغابة / (٥) / (١٧٤) وقال، أخرجه الثلاثة، ونزهة المجالس / (٢) / (١٧٩) وشواهد  
التنزيل / (٢) / (٤٧، ٥٠) ونظم در السمطين / (٢٣٩)، وينايع المودة / (٩) / (٩٠) والاستيعاب بهامش الاصابة / (٤) / (٤٦)  
ومشكل الآثار / (١) / (٣٣٨)، والمعتصر من المختصر / (٢) / (٢٦٧) والبحار / (٣٥) / (٢٠٨) و (٣٧) / (٣٦).  
(٧) البرهان (تفسير) / (٣) / (٣١٧) والبحار / (٣٥) / (٢٠٧)، وتفسير القمي / (٢) / (٦٧).  
(٨) وينايع المودة / (٢٦٠).

أو سبعة، أو ثمانية أشهر، أو إلى آخر حياته، إلى آخر ما تقدم. فيكون كل راي قد نقل خصوص مشاهداته، من دون تعرض لنفي مشاهدات الآخرين. ويمكن أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد عاود فصل ذلك في عدة فترات استمر فيها مدة يفعل ذلك وسيأتي في أول الفصل الخامس بيان وجه الجمع بنحو أتم، وأكثر وضوحاً، ومعقولة إن شاء الله تعالى.

الروايات تنفي شمول الآية لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وقد أفادت الروايات عدم شمول آية التطهير لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونفت كل شبهة وشك في ذلك،، حيث انها قد دلت صراحةً على منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة من الدخول معهم تحت الكساء وعدم كونها من أهل البيت، وكذا الحال بالنسبة لأم سلمة وغيرها. فلاحظ النصوص المختلفة التالية:

إن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة الكساء: أنا من أهلك، قال : تنحي، فإنك إلى خير<sup>١</sup>.

وفي نص آخر: انه صلى الله عليه وآله وسلم قد منع زينب من الدخول معهم، وقال لها: مكانك، فإنك إلى خير ان شاء الله تعالى<sup>٢</sup>.

وذكرت نصوص أخرى: أن أم سلمة قالت حينئذٍ: اللهم اجعلني منهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مكانك، وأنت على خير<sup>٣</sup>.

أو قالت: فانا معهم يا نبي الله ؟ قال: أنت على مكانك، وانك على خير<sup>٤</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٥) وشواهد التنزيل ٢ / (٣٧، ٣٨، ٣٩)، وفيه : ولم يدخلني معهم، وفرائد السمطين ١ / (٣٨٨) والصراط المستقيم ١ / (١٨٥، ١٨٧) وكفاية الطالب / (٣٢٣) والتفسير الحديث ٨ / (٢٦٢) عن الطبرسي وابن كثير، والعمدة لابن البطريق / (٤٠) ومجمع البيان ٨ / (٣٥٧)، والبحار ٣٥ / (٢٢٢) عنه.  
(٢) البحار ٣٥ / (٢٢٢، ٢٢٣) والطرائف / (١٢٨) وفرائد السمطين ٢ / (١٩) وتفسير القرآن العظيم ٣ / (٤٨٥)، وشواهد التنزيل ٢ / (٣٢) والصراط المستقيم ١ / (١٨٧) والعمدة لابن البطريق / (٤٠) وأشار إليه في تفحات اللاهوت / (٨٤) وإحفاق الحق (الملحقات) ٩ / (٥٢) عن تفسير الثعلبي.  
(٣) جامع البيان ٢٢ / (٧)، والدر المنثور ٥ / (١٩٨).

(٤) الدر المنثور ٥ / (١٩٨) عن ابن مردويه، والخطيب، وأسد الغابة ٢ / (١٢)، والجامع الصحيح للترمذي ٥ / (٤) والتميز الحديث ٨ / (٢٦١) عن التاج الجامع للأصول ٣ / (٣٠٨، ٣٠٩)، ونزل الأبرار / (١٠٣، ١٠٤)، (٣٥١، ٦٦٣).

أوقالت : فجئت أدخل معهم، فقال: مكانك، انك على خير<sup>١</sup>.  
 أوقالت : يا رسول الله، أدخلني معهم، قال: يا أم سلمة، إنك من صالحات أزواجي، ولا  
 يدخل الجنة في هذا المكان إلا مني<sup>٢</sup>.  
 أو قال لها : إنك على خير، أو إلى خير<sup>٣</sup>.  
 أوقالت : يا رسول الله، ألسنت من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير إنك من أزواج النبي<sup>٤</sup> أو

وبنايع المودة / (١٠٧، ٢٣٠)، وشواهد التنزيل / ٢ / (٦٩، ٧٠) وفيها: اجلسي مكانك، فانك على خير، والجامع  
 لأحكام القرآن / ١٤ / (١٨٣)، والبحار / ٣٥ / (٢٢٧) ومختصر التحفة الاثني عشرية / (١٥١).  
 (١) ذخائر العقبى / (٢١)، وترجمة الامام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) / (٦٤) وبنايع المودة /  
 (١٠٧، ٢٢٨) عن الدولابي والترمذي وفيه: قفي مكانك... الخ، والبحار / ٣٥ / (٢٢٣).  
 (٢) تفسير فرائد / (٣٣٥) - وراجع (٣٣٧) فثمة حديث آخر، فيه تفاصيل أخرى، ونقله في البحار / ٣٥ / (٢١٥)  
 مكتفياً بالفقرة الاولى.

(٣) هذا القول موجود في جل، إن لم يكن، كل المصادر التي تقدمت وستأتي، ولكننا مع ذلك نذكر القاري  
 بالمصادر التالية:

الدر المنثور / ٥ / (١٩٨) عن الطبراني، وابن مردويه وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب، وفتح  
 القدير / ٤ / (٢٧٩) وجامع البيان / ٢٢ / (٦) وجامع الجامع / (٣٧٢) والفصول المهمة للمالكي / (٨)، وتأويل  
 الآيات الظاهرة / ٢ / (٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩)، وكفاية الطالب / (١١٢، ٣٧٢)، واسعاف الراغبين مطبوع (بهاشم نور  
 الابصار) / (١٠٦)، وتفسير فرائد / (٣٢٢، ٣٤٠)، ومجمع البيان / ٨ / (٣٥٦، ٣٥٧)، وأسد الغابة / ٣ / (٤١٣)، و / ٢ / (١٢) و  
 / ٤ / (٢٩)، والجامع الصحيح / ٥ / (٣٥١، ٦٦٣، ٦٩٩)، ومشكل الآثار / ١ / (٣٣٣، ٣٣٦)، ونور الثقلين / ٤ / (٢٧٠، ٢٧٧)،  
 والبرهان (تفسير) / ٣ / (٣٠٩، ٣٢٥)، و ذخائر العقبى / (٢١ و ٢٢)، وشواهد التنزيل / ٢ / (٢٣، ٢٤، ٣١، ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٦٤  
 ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٩، ٩٠)، والعمدة لابن بطريق / (٣٢، ٣٩)، والطرائف / (١٢٤-١٢٦)، والبحار / ٣٥ / (٢٠٧، ٢٢٠، ٢٢٦،  
 ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩)، وتاريخ بغداد / ٩ / (١٢٦، ١٢٧)، و / ١٠ / (٢٧٨، ٢٧٩)، وحبیب السیر / (٣٠٤، ٣٠٥)، و / ٢ / (١١)، وبنايع المودة  
 / (١٠٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٩٤)، ومستدرک الحاکم / ٢ / (٤١٦)، وتفسير القرآن العظيم / ٣ / (٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥)، والمواهب  
 اللدنية / ٢ / (١٢٢)، وأسباب النزول / (٢٠٣)، والتفسير الحديث / ٨ / (٢٦١، ٢٦٢)، ونزل الابرار / (١٠٣، ١٠٤)،  
 ومختصر تاريخ دمشق ٧ / (١٣)، وتهذيب تاريخ دمشق / ٤ / (٢٠٧)، و مناقب الامام علي لابن المغازلي / (٣٠٣،  
 ٣٠٥)، والصواعق المحرقة / (٤١١، ٢٢٧)، ولباب التأويل للخانزاد / ٣ / (٤٦٦)، ومسنند أحمد / ٦ / (٢٩٢، ٣٠٤)، والسنن  
 الكبرى / ٢ / (١٥٠)، والكافي / ١ / (٢٨٧)، ونظم درر السمطين / (١٣٣، ١٣٨، ٢٣٩) وفرائد السمطين / ١ / (٣١٦)  
 وترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٣)، وترجمة الامام  
 الحسين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٦٦، ٦٨، ٧٠)، وسليم بن قيس / (٥٣، ١٥٠)، ونفحات اللاهوت /  
 (٨٤)، وتفسير القمي / ٢ / (١٩٣)، ومرقاة الوصول / (١٠٦)، والسيرة النبوية لدحلان / ٢ / (٣٠٠)، وإحقاق الحق / ٢ /  
 (٥٦٨)، ومجمع البيان / ٨ / (٣٥٧).

(٤) الدر المنثور / ٥ / (١٩٨) عن ابن مردويه، ومشكل الآثار / ١ / (٣٣٤) و حياة الامام الحسن عليه السلام من تاريخ  
 دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٧٠) وجامع البيان / ٢٢ / ٧ وشواهد التنزيل / ٢ / (٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٧١) والعمدة

قال: إنك إلى خير، وأنت من خير أزواجي<sup>١</sup>.  
 أوقالت: أأنت من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي<sup>٢</sup>.  
 أوقالت: ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك من أهلي خير، وهؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق<sup>٣</sup>.  
 أوقالت: أدخلني معهم، قال: إنك من أهلي<sup>٤</sup>.  
 أوقالت: أدخلني معك في الكساء، فقال لها: يا أم سلمة، أنت بخير وإلى خير، وإنما نزلت هذه الآية في وفي هؤلاء<sup>٥</sup>.  
 وفي نص آخر، وأنا من أهل بيتك؟ وجئت لأدخل معهم، فقال: كوني مكانك يا أم سلمة، إنك إلى خير، أنت من أزواج نبي الله<sup>٦</sup>.  
 أوقالت يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟ فقال: إن لك عند الله خيراً، فوددت أنه قال نعم، فكان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس وتغرب<sup>٧</sup> وفي نص آخر: فقال: أنت من صالح نسائي، يا عمرة، فلو كان قال: نعم، كان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس<sup>٨</sup>.  
 أو قال بعد منعه لها: إنك على خير<sup>٩</sup>.  
 أوقالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، فقال: إنك على خير<sup>١٠</sup>.  
 أوقالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم، وقال: إنك على خير<sup>١١</sup>.  
 أوقالت: يا رسول الله، أأنت من أهل البيت؟ قال: إنك على خير، إنك من أزواج النبي

لاين بطريق / (٤٤) ولباب التأويل للهازمي / (٤٦٦)، و تفسير القرآن العظيم / (٤٨٥) ونزل الأبرار / (١٠٣)،  
 وتيسير الوصول / (١٦١) ونفحات اللاهوت (٨٤) ومرواة الوصول / (١٠٦)، والبحار / (٣٥) (٢١٧، ٢١٨).  
 (١) إحقاق الحق / (٥٦٨).  
 (٢) الكافي / (٢٨٧)، وتاريخ بغداد / (٢٧٨) والسيرة النبوية لدحلان / (٣٠٠)، والبحار / (٢١١)، وتفسير  
 المياشي / (٢٥٠-٢٥٢). (٣) المستدرك على الصحيحين / (٤١٦)، وتلخيصه للذهبي بهامشه.  
 (٤) جامع البيان / (٧). (٥) كتاب سليم بن قيس / (٥٣).  
 (٦) أمالي الطوسي / (٣٨٧)، والبحار / (٢٠٨).  
 (٧) مشكل الآثار / (٣٣٦)، وشواهد التنزيل / (٨٨) وراجع: تفسير فوات / (٣٣٧).  
 (٨) البحار / (٣١٦). (٩) الصواعق المحرقة / (٢٢٧). (١٠) نفحات اللاهوت / (٨٤).  
 (١١) جامع البيان / (٧)، وتفسير القرآن العظيم / (٤٨٣).



صلّى الله عليه وآله وسلم، وما قال: إنك من أهل البيت<sup>١</sup>.  
 أو قالت: يا رسول الله، هل أنا من أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكنك إلى خير<sup>٢</sup>.  
 وفي نص آخر: أجاب صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: بلى، ولكنه أدخلها الكساء، بعد ما قضى  
 دعاءه لابن عمه، وإبنه، وإبنته<sup>٣</sup>.

### تكرار الحديث أكثر من مرة:

ومن الواضح: أنه حين يتعدد نقل الواقعة، فإن الاجمال والتفصيل، وذكر بعض  
 الخصوصيات أحيانا وحذفها أحيانا أخرى، والنقل بالنص الحرفي مرة، وبالمعنى مرة ثانية،  
 يكون أمراً عادياً وطبيعياً. ولا يوجب ذلك ضعفاً ولا وهناً في الرواية ويقول البعض: «والظاهر:  
 أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة يدل عليه اختلاف هيئة اجتماعهم،  
 وما جلّ لهم به، ودعاؤه لهم، وجواب أم سلمة»<sup>٤</sup>.  
 ولعله تكرر في غير بيت أم سلمة، كما تدل عليه الرواية التي تذكر: أن عائشة قد طلبت  
 الدخول في الكساء، فمنعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرها بالتنحي، وكذلك الحال بالنسبة  
 لرواية زينب أيضاً.

- (١) ترجمة الامام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) / (٦٩)، وشواهد التنزيل ٢ / (٨٢)،  
 ونظم درر السمطين / (٢٣٨)، وتفسير فرات / (٣٣٤)، والبرهان (تفسير) ٣ / (٣١٣)، وتأويل الآيات الظاهرة ٢ /  
 (٤٥٩)، وراجع: البحار ٣٥ / (٢٠٩)، والخصال ٢ / ٤٠٣.
  - (٢) النبيان ٨ / (٣٠٨) ومتشابه القرآن ومختلفه ٢ / (٥٢)، والبحار ٣٥ / (٢٣١).
  - (٣) مشكل الآثار ١ / (٣٣٥) وراجع (٣٣٣)، وتفسير فرات / (٣٣٥) والبرهان (تفسير) ٣ / (٣٢١)، وشواهد التنزيل:  
 ٢ / ٧٤، ٧٥ والطرائف: ١٢٦، وذخائر العقبين: ٢٢-٢٣، والعمدة لابن بطريق: ٣٤، ونبايع المودة: ٢٢٨، ٢٩٤، والبحار:  
 ٣٥ / ٢٢١، و ٤٥ / ١٩٩، والصواعق المحرقة: ١٤٢، و ترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي):  
 ٦٥، ومسنّد أحمد: ٦ / ٢٩٨.
  - (٤) ذخائر العقبين (٢٢) ونبايع المودة / (١٠٨، ١٠٩، ٢٩٤)، وراجع نور الأبصار / (١١٢)، وإسعاف الراغبين  
 بهامشه / (١٠٧)، والصواعق المحرقة / (١٤٢).
- ومن أراد الوقوف على خصوصيات الحديث المختلفة، فليراجع كتاب: آية التطهير في أحاديث الفريقين في  
 مجلديه الأول والثاني.

## التفسير المعقول والمقبول

### الروايات لاتخالف القرآن:

وقد ادعى البعض: أن قصر الآية على علي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام، «يخالف نص القرآن»<sup>١</sup>.

وقال اسماعيل حقي عن حديث الكساء: لو فرضت دلالة على عدم كون النساء من أهل البيت «لما اعتدبها، لكونها في مقابلة النص»<sup>٢</sup>. ونقول:

١- قد تقدم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح بقصر الآية على أصحاب الكساء، فإن كان ذلك يعتبر مخالفة لنص القرآن، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون أول من خالف هذا النص، والعياذ بالله.

٢- إننا خلافاً لهؤلاء وأتباعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نقول: إن ذلك ليس فقط ليس فيه مخالفة لنص القرآن، ولا حتى لظاهره، وإنما هو منسجم معه تمام الإنسجام. وهو مقتضى دلالة سياقه أيضاً. وأما إرادة الزوجات، فليس لها ما يبررها، لا على نحو الخصوص، كما ادعاه عكرمة وأمثاله، ولا على نحو الدخول في إطلاق الخطاب، ولو مجازاً. ويتضح ذلك بالتأمل فيما يلي من مطالب:

### أهل اللغة، ماذا يقولون:

قال الزبيدي: «ومن المجاز: الأهل للرجل: زوجته. ويدخل فيه الأولاد»<sup>٣</sup>.

وعند ابن منظور: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم صلى على محمد وآل محمد»، من آل محمد؟ قال قائل: أهله، وأزواجه.

كأنه ذهب إلى أن الرجل تقول له: ألك أهل؟ فيقول: لا. وإنما يعني أنه ليس له زوجة. قال: وهذا معنى يحتمله اللسان. ولكنه معنى كلام لا يعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه،

(٢) روح البيان ٧ / (١٧١).

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / (٢٠٨)، و روح البيان ٧ / (١٧١).

(٣) تاج العروس ١ / (٢١٧).

وذلك أن يقال للرجل: تزوجت؟ فيقول: ما تأملت، فيعرف بأول الكلام: أنه أراد ما تزوجت. أو يقول الرجل: أجنت من أهلي، فيعرف أن الجناة لا تكون إلا من الزوجة. فأما أن يبدء الرجل، فيقول: أهلي ببلد كذا ... الخ<sup>١</sup>.

والراغب الاصفهاني أيضا قد أشار إلى أن إرادة الزوجة من لفظ «الأهل» إنما هو من باب الاطلاق والإستعمال، الذي هو أهم من الحقيقة، فقد قال: «وعُبر بأهل الرجال عن امرأته»<sup>٢</sup>. وأخيراً... فقد قال البعض: (لكن، هل أزواجه من أهل بيته؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد، أحدهما: أنهم لسن من أهل البيت، ويروى هذا عن زيد بن أرقم<sup>٣</sup>. وأظهر كلام زيد: أنه ينكر صدق هذا العنوان على الزوجات بحسب اللغة والعرف كما سنرى.

وسياقي قول زيد بن أرقم، الذي أنكر فيه أن يكون نساء الرجل من أهل بيته. وسنذكر له مصادره الكثيرة حين الكلام على القول بأن المراد بأهل البيت هم جميع بني هاشم.

### السياق المنسجم:

قد يرى البعض: أن كون آية التطهير قد وردت بين آيات الخطاب مع النساء مبرراً، لدعوى اختصاص الآية بهن، أو شمولها لهن على أقل تقدير، كما سيأتي<sup>٤</sup>. ونقول: إننا نرجى الكلام حول الدلالة السياقية إلى موضع آخر سيأتي إن شاء الله ونكتفي هنا بالقول: إن سياق القرآن لا يأتى عن إرادة خصوص أصحاب الكساء. بل السياق يبقى على حاله، لا ينغرم ولا ينقصم، ولا يختلف ولا يتخلف، وذلك لما يلي:

الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا للنساء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ أَمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>٥</sup>. إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها، فتعالين أمتعنن، وأسرحكن سراحاً جميلاً.

(١) لسان العرب ١١ / (٣٨). (٢) مفردات الراغب / (٢٩). (٣) منهاج السنة ٤ / (٢١).

(٤) سنأتي مصادر هذا القول حين الكلام حول الاستدلال بالسياق على اختصاص الآية بالنساء، أو شمولها لهن.

## دراسات

وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً.

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً.

ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً.

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً.

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة، و أطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً. وتستمر الآيات إلى أن تقول: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾<sup>١</sup>.

ثم تستمر الآيات في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه، ومع المؤمنين في ما يخص شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ونقول:

أ- إن الظاهر الصريح المستفاد من هذه الآيات هو أن الله سبحانه:

١- قد أمر نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخير نساء بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.

٢- وأمره بأن يقول لهن: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾.

٣- وأمره أيضاً بأن يقول لهن: ﴿لا تخضعن بالقول. وقلن قولاً معروفاً. وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية، وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة، وأطعن الله

## ورسوله ﴿

٤- ويعد أن ينفذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما طلبه الله منه، ويبلغ هذه الأوامر للنساء، يواصل الله سبحانه خطابه لمقام النبوة، وبيت الرسالة، ليخبره: أن هذه الأوامر والنواهي التي أمره أن يبلغها لهن، إنما جاءت لأجل الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومهبط الوحي والتنزيل، ومختلف الملائكة.

هذا كله... لو كان قوله: ﴿يا نساء النبي لستن﴾... الخ إستمراراً لأمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾... الخ فهو مقول القول أيضاً، علاوة على ما سبق من تخيرهن بين الدنيا والآخرة.

ب - ولو صرفنا النظر عن ذلك، لأجل الإصرار على أن قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد﴾... الخ إنما هو خطاب منه تعالى للنساء مباشرة، فإنا نقول أيضاً: إنه قد جاء على سبيل الالتفات إليهن، وتكون النتيجة هي:

١ - أنه تعالى، قد أمر نبيّه بأن يخبر نساءه بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.  
٢ - ثم التفت الله سبحانه إليهن وخاطبهن مباشرة، بعنوان أنهن منسوبات إلى النبي، لا بعنوان كونهن مجرد نساء. فأمرهن وزجرهن، وقزر لمن تأتي منهن بفاحشة مبينة: «أن يضاعف لها العذاب ضعفين»، ولمن تطيع الله ورسوله، أن تؤتى أجرها مرتين. وقزر أيضاً: أنهن لسن كأحد من النساء، إن التزمن جانب التقوى والورع.

٣ - ثم عاد سبحانه وتعالى إلى خطاب مقام النبوة وبيت الرسالة من جديد، موضحاً أن سبب هذا الالتفات إلى الزوجات، وعلة ما أصدره إليهن من أوامر وزواجر هو إذهاب الرجز عن هذا البيت، وتطهيره، فإن الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، ضرورة لا بد منها، لحفظ الرسالة نفسها.

فالخطاب للنبي - كما ظهر من خلال الآيات الشريفة - إنما هو من حيث أنه نبي، وصاحب رسالة، لا بما هو شخص. ومن الواضح: أن حفظ بيت النبوة والرسالة، ما هو إلا حفظ للرسالة نفسها.

فالكلام مع النساء إذن قد جاء على طريق الالتفات إليهن، كالالتفات الذي في قوله تعالى:

﴿مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>١</sup>. فيلاحظ أن الحديث كان عن الله تعالى بصورة الحديث عن الغائب، ثم التفت وخاطب الله تعالى مباشرة على سبيل الحضور فقال: ﴿إياك نعبد﴾.

### الإرادة بماذا تعلق:

ويظهر من كلام العلماء الأبرار ورضوان الله تعالى عليهم: أن الإرادة الالهية المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم﴾... الخ. قد تعلقت أولاً وبالذات بإذهاب الرجس، وبالطهير<sup>٢</sup>.

ولكن الظاهر هو أنها قد تعلقت أولاً وبالذات بأمر آخر، وهو نفس الأوامر والزواجر التي توجهت لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بيان ذلك: انه تعالى قد قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾. ولم يقل: إنما يريد الله إذهاب الرجس. فكلمة (إنما) تفيد حصر المقصود والغاية من الأمر والنهي لنساء النبي في حفظ أهل البيت وتطهيرهم. واللام في «ليذهب» هي لام كي، وهي تفيد التعليل، أي أن ما بعدها يكون علّة لما قبلها، كقولك: «جئت لأكرمك»، فمدخول اللام، وهو الإكرام، علّة لما قبلها وهو المجيء.

فما ذكره البعض من أن متعلق الإرادة هو نفس إذهاب الرجس ليس على ما يرام، وهو ينتهي إلى القول: بأن إذهاب الرجس علّة لإرادة إذهاب الرجس. فمتعلق الإرادة ليس هو الإذهاب، وإنما هو شيء آخر. ويكون الإذهاب علّة لتعلق الإرادة بذلك الشيء والمتعلق للإرادة هنا هو نفس التكليف، والأوامر والنواهي الصادرة لزوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الله سبحانه قد أراد منهن ذلك لأجل إذهاب الرجس. ويتعبير آخر: إذهاب الرجس عن أهل البيت علّة لإرادة الله سبحانه من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بالإرادة التشريعية - أن يفعلن كذا، أو أن يتركن كذا. ويتضح ذلك بملاحظة النظائر التي استعملت فيها لام كي، بدل (أن) في القرآن الكريم،

(١) سورة الفاتحة / الآيات (٣ - ٥).

(٢) ستأتي المصادر لذلك إن شاء الله تعالى حين الحديث حول انحصار آية التطهير بأهل الكساء.

وفي غيره وذلك مثل قوله تعالى في ذيل آية الوضوء والتميم: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾<sup>١</sup>.  
أي أن أمره تعالى لكم بالتميم بدلاً عن الوضوء، إنما هو لأجل أن يطهركم. فالتطهير علة لإرادة هذا الأمر منهم بإرادة التشريعية.

وفي مورد آخر نجد أنه تعالى: بعد أن ذكر بعض التشريعات والأحكام، قال: ﴿يريد الله ليبين لكم، ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾<sup>٢</sup>.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾<sup>٣</sup>.  
وفي مورد آخر يقول تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾<sup>٤</sup>.

ومما يزيد الأمر وضوحاً: أننا نجد آيتين قد تعرضتا لأمر واحد، ولكن إحداهما قد جاءت به «أن» والأخرى بلام كي، التي تقدّر بعدها أن. فبعد أن ذكر الله سبحانه قول اليهود والنصارى في عزير، والمسيح، قال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً. لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ويأبى الله إلا أن يتم نوره. ولو كره الكافرون﴾<sup>٥</sup>.

وقال تعالى في مورد آخر: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام، والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره. ولو كره الكافرون﴾<sup>٦</sup>.

حيث إنه في المورد الأول (أي في سورة التوبة) قد تعلقت إرادتهم مباشرة في إطفاء نور الله، فاستعمل تعالى كلمة (أن) وقال: ﴿يريدون أن يطفئوا﴾.

أما في هذا المورد الأخير فقد تعلقت إرادتهم بالإفتراء على الله، لأجل أن يطفئوا، فالإطفاء كان داعياً لهم، وعلة وسبباً لتعلق إرادتهم بالإفتراء، والكذب، فاستعمل (اللام) وقال: ﴿يريدون ليطفئوا﴾.

(١) سورة المائدة / الآية (٦). (٢) سورة النساء / الآية (٢٦). (٣) سورة القيامة / الآية (٥).

(٤) سورة التوبة / الآية (٥٥). (٥) سورة التوبة / الآيتان (٣١ و٣٢).

(٦) سورة الصف / الآيتان (٧ و٨).

ثم رأيت أن الراغب الإصفهاني قد أشار إلى ذلك أيضاً، فقال: «يريدون أن يطفئوا نور الله - يريدون ليطفئوا نور الله - والفرق بين الموضعين: أن في قوله: يريدون أن يطفئوا، يقصدون إطفاء نور الله. وفي قوله: ليطفئوا، يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله»<sup>١</sup>. والأمر في آية التطهير كذلك أيضاً كما أوضحناه.

### الأولوية القطعية، ومفهوم الموافقة:

ومن الأمور التي لا يجهلها أحد: أن مفهوم الموافقة هو من الظهورات اللفظية التي جرى عليها القرآن كما جرى عليها أهل اللسان في محاوراتهم، وبيان مراداتهم. والأولوية القطعية، ومفهوم الموافقة هذا موجود هنا، ويدل على عصمة أهل البيت عليهم السلام بشكل قاطع ونهائي.

### وتوضيح ذلك بالمثال على النحو التالي:

إذا كان ثمة رجل يعزّ عليك، وتهتم بالحفاظ على مقامه، وترسيخ احترامه، فستنزعج كثيراً إذا رأيت ولده أو غيره ممن ينتسب إليه يرتكب بعض المخالفات التي تسبب إلى سمعة أبيه، وتدفع بالناس إلى توجيه النقد إلى ذلك الأب، وسوف تردع ذلك الولد عن فعله ذلك، بهدف الحفاظ على كرامة الأب، وسمعته. أما الولد نفسه، فقد لا يكون واقعاً في دائرة اهتماماتك أصلاً، بحيث لو لم يكن أبناً لذلك الرجل لما تعرضت له، ولما وجدت الدافع القوي في نفسك لأمره ولا لنهيهِ.

والحال في الآيات الشريفة من هذا القبيل، فالله إنما يأمر وينهى نساء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لأن مخالفاتهن لسوف تنعكس سلباً على أهل بيت الرسالة أنفسهم. فأهل البيت هم الأهم ولا يريد الله سبحانه أن ينالهم أدنى رجس أو هناة، ولو كان ذلك الرجس صادراً ممن ينسبون إلى ذلك البيت نسبة مجازية<sup>٢</sup>، وثانياً وبالعرض، وهذا هو غاية الإهتمام بأهل البيت، وهو يقع في سياق شمولهم بالعنايات والألطفات الإلهية، والتوفيقات الربانية. ومعنى ذلك كما قلنا، أن الإهتمام الإلهي بطهر أهل البيت، وعدم لحوق أي رجس بهم أولاً

(١) المفردات للراغب / (٣٠٥). (٢) قد تقدمت أقوال أهل اللغة وغيرهم في ذلك فلا نعيد.



وبالذات، لسوف يكون أشد وأعظم، وأكد وأتم.

ثم انه إذا كان الله تعالى يريد أن يُذهبَ حتى الرجس الذي ينسب إلى أهل البيت عليهم السلام، ولو ثانياً وبالعرض، فإنه يريد إذهاب ما يلحق بهم أولاً وبالذات بطريق أولى، فنستفيد، بمفهوم الموافقة والأولوية القطعية: أن الله سبحانه قد طهرهم ونزههم فعلاً عن الرجس. لا سيما وأن المقام مقام تعظيم لبيت النبوة، وهو يدخل في نطاق خطة إلهية، تعمل على إبعاد الرجس، حتى ما كان منه ليس لهم فيه اختيار، بأن كان صادراً عن أشخاص آخرين كالزوجات.

فإذا كان الله سبحانه يبادر للمنع من حصول هذا، حتى ليقرر للزوجات ضعفي العذاب، والثواب، فإن ذلك يكشف عن تصميم إلهي على أن لا يلحق أهل البيت أنفسهم رجس أصلاً، لا أولاً وبالذات ولا ثانياً وبالعرض.

ومما يشير إلى أن الأهمية إنما هي لأهل بيت النبوة - لا للزوجات - بل من كفيهن من بني الإنسان، ما ألمحت إليه الآيات التي سبقت، على الآيات التي هي مورد البحث. حيث نجد: أن الله تعالى قد أمر نبيه بأن يخبرهن بين الحياة الدنيا وزينتها، فيمتعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويسرحهن سراحاً جميلاً، وبين الله ورسوله، والدار الآخرة، فإن الله - والحالة هذه - أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً. فهذا التخيير يشير إلى أن الزوجات ليس لهن أهمية متميزة، ولا ترجيح خاص بهن وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن اللواتي يخترن الله ورسوله قد كنَّ على قسمين: محسنات، وغير محسنات .

أضف إلى ذلك: أن السورة نفسها قد ذكرت بعد ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخيار بين أن يرجي من يشاء منهن، وأن يؤوي إليه من يشاء.

فكل ذلك يشير بوضوح: إلى أن الأهمية الباعثة على تسجيل الموقف هنا إنما هي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما هو نبي ورسول. وأن الأمر والزجر للزوجات لا لخصوصيته وامتياز ذاتي لهن، فقد ظهر من الآيات أنه يعاملهن معاملةً عادية جداً.

واتضح أيضاً أن الخصوصية للنبي، بما هو نبي ورسول، تجعل الحفاظ عليه حفاظاً على الرسالة، ولأجل ذلك قرّر سبحانه أن يكون العذاب والثواب لزوجاته صلى الله عليه وآله وسلم

ضعفين في صورة المخالفة والموافقة.

حتى انهن اذا خرجن عن صفة الزوجية للنبي بما هو نبي، فانهن - كما دلت عليه آية التخيير - يصبحن كسائر النساء الأخريات.

ولأجل ما ذكرناه نجد: أن الله تعالى قد هدد اللتين تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطلاق، ثم ضرب لهن مثلاً بامرأتي نوح ولوط، وما كان لهما من المصير الذي انتهتا إليه. هذا.. ونلاحظ أخيراً: أن القرآن قد تحدث في موارد متعددة عن زوجات الرسول بطريقة تظهر أنهن لسن في منأى عن ارتكاب الذنب، فلتلاحظ سورة الاحزاب، والطلاق والتحريم، وقد حكى سبحانه وتعالى صدور مخالقات كبيرة عن بعضهن، ولم يمنع من صدور المزيد من ذلك في المستقبل.

ولكنه تعالى، قد تحدث عن أهل البيت في هذه الآية، وعلى لسان نبيه في عشرات المواقع والمواضع بطريقة مبينة تماماً، فأوضح أن الله سبحانه قد عصمهم وطهرهم، وجعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله عزلاً للقرآن، وسفينة للنجاة، والعروة الوثقى، إلى غير ذلك مما يظهر بملاحظة النصوص المشهورة والمتواترة. والتي تفوق حد الحصر والعد.

### الارادة التشريعية:

وقد اتضح مما تقدم: أن الارادة الملحوظة في الآية أولاً وبالذات هي الإرادة التشريعية، وقد تعلقت بأوامر وزواجر موجهة إلى زوجات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولكنها إرادة منبثقة عن إرادة أخرى تعلقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت، وتطهيرهم إلى درجة العصمة. وهذه الإرادة الثانية قد دُلَّ عليها بمفهوم الموافقة، والألوية القطعية ولا شك في أنها أشد وأكث، وأكثر رسوخاً وجديّة من تلك.

### الخبر الصادق، والشهادة الإلهية:

وبتعبير أصرح وأوضح: إن الآية تتضمن إخباراً عن أن الله سبحانه يرفع أهل البيت، ويعمل على تطهيرهم وعلى دفع كل رجس عنهم، حتى ولو كان ثانياً وبالعرض. ولولا أنه تعالى قد رأى فيهم أنهم قد حصلوا على الطهارة التامة بالفعل، لما خصهم بهذا المدح العظيم، ولا

سجل لهم هذا التكريم.

فمدحهم وتكريمهم هذا، واختصاصهم بهذه العناية الإلهية يتضمن إخباراً صادقاً وشهادةً إلهية<sup>١</sup> بأنهم حاصلون على مزية الطهر، ونفي الرجس، دون كل من عداهم، إلى درجة العصمة التي صرح بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، مستشهداً بهذه الآية (آية التطهير) بالذات، حيث قال: «فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»<sup>٢</sup>.

وفي دعاء عرفة يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بارادتك، وجعلتهم الوسيلة»<sup>٣</sup>.

وكلام الأئمة عليهم السلام في أن الله قد أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً فعلياً، كثير جداً، لا مجال لاستقصائه، فراجع أدعيتهم، ومجادلاتهم وغيرها<sup>٤</sup>.

### انحصار آية التطهير بأهل الكساء:

وبعد .. فإن آية التطهير لا تنطبق إلا على أهل الكساء، إذ أنها قد دلت على عصمة أهل البيت عليهم السلام من كل ذنب، والفقرات المتعلقة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد قررت إمكانية صدور الذنب منهن.

بيان ذلك: أن كلمة «إنما» تثبت مانفته «ليس» عند الزجاج وغيره، كقوله تعالى: إنما الصدقات، للفقراء، ومتعلق التطهير، وهو الرجس، مطلق، محلّ بـ «أهل الجنسية» فالآية تفيد نفي ماهية الجنس بنحو العام الاستيعابي المجموعي عن أهل البيت.

كما أن المقام مقام تشريف وتكريم، ويقصد فيه التأكيد التام، ولأجل ذلك نراه تعالى قد نص على التطهير بعد ذكره إذهاب الرجس، مصدراً بإداة الحصر، ثم أكد بالمصدر الذي هو مفعول مطلق، وهو كلمة «تطهيراً»، منوئاً بتنوين التعظيم، أو التنكير، ليذهب الذهن فيه كل

(١) وقد نص على أنها تضمنت شهادة إلهية بالطهارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه لأبي بكر في أمر فذك، فراجع: علل الشرائع ١ / (١٩٨)، والاحتجاج للطوسي ١ / (١٢٣)، وتفسير القمي ٢ / (١٥٦، ١٥٧).

(٢) سنأتي مصادر هذا الحديث في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٣) راجع الصحيفة السجادية، الدعاء رقم (٤٧).

(٤) راجع: آية التطهير في أحاديث الفريقين، المجلد الأول والثاني.

مذهب.

كل ذلك ليفيد - على حد تعبير السهمودي - أن إرادته تعالى، منحصرة على تطهيرهم، ثم أكدّه بما يدل على أن طهارتهم طهارة كاملة، وفي أعلى مراتب الطهارة.<sup>١</sup>

وكل ما ذكرناه لا يتناسب مع القول بأن الإرادة في الآية مجرد إرادة تشريعية لذهاب الرجس، إذ أن الله سبحانه وتعالى يريد للبشر جميعاً أن يعملوا بالتكاليف والأحكام، ولا يرضى منهم بالتخلف ولو في مورد واحد. ولا ينحصر ذلك في زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا في أهل البيت عليهم السلام، فلا يبقى مبرر لهذا الحصر، وذلك التأكيد، ولا للتشريف والتكريم، وإفادة امتيازهم عن كل أحد، بأمر من الأمور.

ولأجل ذلك نجد عدداً من العلماء، قد قال: إن الإرادة في آية التطهير هي إرادة تكوينية، يستحيل انفكاكها عن تحقق المراد، فيستحيل لحوق الرجس بهم، وانفكاك الطهارة عنهم.<sup>٢</sup>

بل لقد استفادوا من الآية عصمة أهل البيت حتى عن السهو والخطأ والنسيان وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

### توضيح حول اختيارية العصمة:

وبعد ما تقدم، فإن السؤال الذي يلح بالإجابة عليه هنا هو: إنه قد اتضح أن الإرادة الملحوظة في الآية أولاً وبالذات، هي إرادة التشريعية، ولكنها منبثقة عن إرادة أخرى متعلقة بنفس التطهير لأهل البيت عليهم السلام، والتي ينتج عنها حقيقة أنهم عليهم السلام معصومون من الذنوب بالفعل.

فهل هذه العصمة اختيارية أم أنها مخلوقة فيهم، بصورة جبرية؟! بحيث لا يمكنهم التخلف عن فعل الخير، ولا التصدي لفعل الشر تكوينياً؟! والجواب: أن مما لا شك فيه، هو أن الله تعالى هو الذي يفيض الوجود على الناس، وعلى

(١) راجع نص عبارة السهمودي في يتابع المودة / (١٠٩).

(٢) راجع في كون الإرادة تكوينية، وغير ذلك من خصوصيات ذكرناها: منشاها: القرآن ومختلفه ٢ / (٥٢)، والنبيا ٨ (٣٠٨)، ومجمع البيان ٨ / (٣٥٧)، والبحار ٣٥ / (٢٣٣)، وتأويل الآيات الظاهرة ٢ / (٤٥٦)، والأصول العامة للفقهاء المقارن / (١٤٩، ١٥٠).

كل ما هو موجود، فأفعال العباد لا يمكن أن تصدر عنهم إذا لم يفيض الله عليهم وعليها الوجود باستمرار.

ولكن العباد أنفسهم هم الذين يختارون ذلك الفعل ويبادرون إليه والله لا ييخل بإضافة الوجود عليهم وعليها.

فأية التطهير تفيد: أنه تعالى قد علم أن الأئمة لا يختارون إلا ما شرعه الله ويرضاه. وذلك بسبب ما زودهم الله تعالى به من استعدادات ذاتية، وملكات نفسانية، وتوفيقات إلهية، وإمدادات غيبية. على قاعدة:

﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾<sup>١</sup>.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾<sup>٢</sup>.

إذن، فالله سبحانه لن يفيض الوجود بالإرادة التكوينية إلا على هذا النوع من الأفعال المرضية، والمحبوبة له تعالى، فيصح أن يخبرنا تعالى عن أنه تعالى لن يريد بالإرادة التكوينية إلا إذهاب الرجس والتطهير لهم.

تماماً كما هو الحال في الأنبياء الذين هم معصومون أيضاً، فإن الله لا يريد بالإرادة التكوينية إلا ما يختارونه هم، وهم لا يختارون إلا ما فيه خير وصلاح، وفلاح، ونجاح.

وخلاصة الأمر، إن الإنسان حيث يكون على درجة من الخلوص والصفاء، لم تنجسه الجاهلية بانجاسها، ولم يرث عن سلفه إلا الخصال الحميدة، والمزايا الفريدة، وقد تهيمه أن يتربى خير تربية، وحصل على أفضل المزايا الأخلاقية والإنسانية، وكان على درجة عالية من التعقل والوعي، والمعرفة بالله وشرائعه وأحكامه وله من قوة الإرادة والسيطرة على نفسه ما يجعله لا يفكر في الإقدام على أي قبيح. بل هو ينفر من ذلك، ويتأذى منه، مع أن له تمام الاختيار والحرية والقدرة على أن يفعل أو لا يفعل.

ولكنه حيث يراء منافياً لإنسانيته، وموجباً للنقص والتلاشي لكمالاته ولشخصيته، فإنه بسبب هذه المنافرة لا يمكن أن يقدم على ارتكاب ذلك الأمر القبيح مهما كانت الظروف، وأياً كانت الأحوال. تماماً كما لا يظلم ربك أحداً<sup>٣</sup>، مع قدرته تعالى على ذلك، لمنافاة ذلك لمقام

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم / الآية (١٧).

(٢) سورة العنكبوت / الآية (٦٩).

(٣) سورة الكهف / الآية (٤٩).

ذاته الأقدس، ولكماله، وعدله، ولألوهيته سبحانه.

وكما لا يقدم الإنسان العاقل والمتوازن على شرب السم، وكما لا يقدم الطفل على وضع يده في النار، وكما لا تقدم الأم على ذبح ولدها. ولا على فعل كثير من الأشياء التي يرى الإنسان أن فعلها مخجل بكرامته، وبشخصيته.

وقد تكلمنا حول موضوع اختيارية العصمة في أواخر الجزء الثالث من كتابنا «الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم»، فليرجع إليه من يريد ذلك. فأتضح مما تقدم: أن مراد علمائنا من قولهم: إن الإرادة في آية التطهير تكوينية لا تشريعية هو ذلك، وليس المراد: أن العصمة مخلوقة فيهم بصورة اجبارية، بحيث يفقدون القدرة على المخالفة هنا، والموافقة هناك.

### خروج الآية عن موضع البحث:

ونحن وإن كنا لا نمنع من أن يكون ما أراده علمائنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم صحيحاً، ولكننا نرى: أن للآية الشريفة، التي هي مورد البحث منحنى آخر، لابد من بيانه ليتضح أنها بدالاتها اللفظية لا تتلاءم مع محذور الجبر ولا تلتقي معه، لا من قريب ولا من بعيد، إذ أن الإرادة فيها لم تتعلق بفعل الإنسان أصلاً، ونوضح ذلك فيما يلي:

إننا نستفيد من إسناد الإذهاب والتطهير إلى الله سبحانه في قوله يذهب، ويظهركم، ثم من العدول في الآية عن التعبير بـ «يريد أن يذهب» إلى التعبير بـ «يريد ليذهب عنكم الرجس»، أنه تعالى قد تعلقت إرادته أولاً وبالذات بإذهاب الرجس وإبعاده، لا بإجبار أهل البيت وقهر إرادتهم ومنعها من التحرك نحو الرجس.

فهو تعالى يريد أن يقذف بالرجس ويرمي به بعيداً عنهم عليهم السلام، فإن قربه منهم وقربهم منه مبغوض له تعالى، على حدّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ﴾<sup>١</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>٢</sup>، وثمة آيات عديدة أخرى تشير إلى ذلك.

(١) سورة الانعام / الآية (١٥١). (٢) سورة الاسراء / الآية (٣٢).

وهذا البعد وتلك الموانع من شأنها أن تزيد من درجة الحصانة تجاه ذلك الأمر المبغوض. وتقلل من احتمالات التلوث به بصورة كبيرة، بخلاف ما لو كان الإنسان ملاساً له، ومنغمساً في أجوائه. وذلك أمر واضح لا يخفى.

فالله سبحانه قد أراد أن يبعد الرجس عن أهل البيت كما أراد إبعاد كل عيب عنهم، ولو كان ذلك ثانياً وبالعرض كالذي يصدر من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، اللواتي لسن حقيقة من أهل البيت بالإضافة إلى زيادة درجة الحصانة فيهم عليهم السلام، عن طريق زيادة معرفتهم بالله سبحانه، وتقوية ملكاتهم، وتعريفهم على مساوي العمل، وآثاره.

وكل ذلك يوجب بُغْدَ الرجس عنهم، فلا يختارونه، ولا يفكرون فيه، بل ويتأذون منه، وينفرون عنه. رغم أن إرادتهم طليقة وحرّة، ولا يمارس أحد عليها أي ضغط أو إكراه، كما أوضحناه.

### خلاصة وتوضيح:

#### وخلاصة الكلام هنا:

أن هناك إرادة تشريعية في الآية، قد تعلقت بالأوامر والزواجر الموجهة إلى زوجات رسول الله تعالى، وهو ما تعلق به كلمة: «إنما يريد الله».

وهي منبعثة عن إرادة تكوينية تعلقت بإبعاد الرجس عنهم والتطهير لهم. ونستفيد هذه الثانية من نسبة إذهاب الرجس والتطهير في قوله تعالى: «يذهب عنكم» ويظهركم إلى الله سبحانه، لأن الفاعل لكلا الفعلين المذكورين إنما هو ضمير عائد للفظ الجلالة المتقدم في «إنما يريد الله».

ولكن هذه الإرادة التكوينية له تعالى، إنما تعلقت بإبعاد الرجس وبالتطهير. ولم تتعلق بنفس الفعل الصادر عن «أهل البيت»، حيث أنه تعالى لم يقل: يريد الله أن يجعلكم تفعلون هذا وتجتنبون ذاك مثلاً، لتكون إرادتهم مقهورة لإرادته تعالى التكوينية.

بل تعلقت بإبعاد الرجس عنهم «بغض النظر عن إرادتهم» وإيجاد الموانع بينهم وبين ذلك الرجس، مع إبقاء إرادتهم حرّة طليقة، ومن دون أدنى تعرض لها. وهي قد صرف النظر عنها هنا بالكلية، حسبما أسلفناه.

## دراسات

وأخر مانشير اليه هنا هو: أنه تعالى قد علق طهارة النساء على إرادتهن فقال: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها.. وقال: إن كنتن تردن الله ورسوله... الخ. ولكنه تعالى حين تحدث عن طهارة أهل البيت، فإنه قد جعل طهارتهم متعلقاً لإرادته هو سبحانه وتعالى سواء الإرادة التشريعية من خلال الأوامر الموجهة إلى النساء، أو التكوينية المتعلقة بالتطهير وإبعاد الرجس عن أهل البيت عليهم السلام.


«يتبع»



كتاب في مقال

## «آية التطهير»

الشيخ محمد مهدي الأصفي

بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر... لا يواجه المسلم أمراً يتعلق بدينه أهم من معرفة المصدر الذي يستقى منه دين الله في أصوله وأحكامه.   
فإن الله تعالى كلف عباده بامثال أحكامه، ووضع لهم أسساً وقوانين وتفصيل للحرام والحلال.

ولا يكتسب أي حكم من الأحكام الشرعية صفة الشرعية والانتساب إلى الله تعالى، ما لم يكن مستنداً إلى مصدر موثوق من مصادر الشريعة، قد عيّنه الله تعالى لعباده.

والمصدر الأول:

هو القرآن الكريم، فهو الهدى والنور في حياة البشرية، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>  
ومهما اختلف المسلمون في شيء فلا يختلفون في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لبيان أحكام الله وحدوده.

(١) سورة النساء / ١٠٥.

### والمصدر الثاني:

السنة النبوية، وهى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انقطع بوفاته الوحي، وانقطع هذا المصدر المهم من مصادر التشريع، وأصبح المسلمون يواجهون في حياتهم اليومية مسائل كثيرة يطلبون فيها حكم الله عز وجل في عباداتهم، وفي شؤون الدولة التي توسعت فيما بعد. ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بين في حياته تفصيل كل شيء مما يحتاجه المسلمون، ولم يكن ذلك أمراً ممكناً في الفترة القصيرة المباركة التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الدنيا بما حَفَّ حياته الشريفة من متاعب كثيرة كانت تشغله وتشغل المسلمين معه.

يقول الشهرستاني: «نعلم قطعاً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعدّ، ونعلم قطعاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك أيضاً والنصوص إذاً كانت متناهية، وما لا يتناهى لا يُضبط بما يتناهى»<sup>١</sup>.

ولكن ياترئ هل جعل الله تعالى للمسلمين «مصدراً حياً» لدينه بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتداداً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلجأوا إليه فيما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، أو تركهم للرأي والاجتهاد؟

وهل هناك من مورد مفتوح بعد كتاب الله، وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسنة النبوية يرجع إليه المسلمون متى شاؤوا؟ وهل خَلَفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده مورداً مفتوحاً لسنته يهتدي به المسلمون إلى شريعة الله؟ أو أن السنة النبوية قد انقطعت عن المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا سبيل لهم إليها إلا فيما رواه الصحابة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبما يحفّ هذه الروايات من مشكلات تاريخية<sup>٢</sup>

(١) سلّم الوصول / ٩٥.

(٢) فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير معينين بضبط الحديث وتدوينه، بالشكل الذي يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الضياع، ولم يتم تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في وقت متأخر جداً، أي في عصر عمر بن عبد العزيز، كما أن مشكلة الوضع والوضايع كان لها دور كبير في صعوبة

لاتجعل الرجوع إليها ميسوراً في كثير من الأحوال، ذلك ما نحاول الإجابة عنه فيما يأتي من هذا البحث إن شاء الله.

### إمامة أهل البيت عليهم السلام:

والذي يقرأ بإمعان وموضوعية سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطمئن إلى أنه كان مكلفاً من جانب الله تعالى بالإعداد لخلافة أهل بيته عليهم السلام من بعده في أمته لأموار دينهم ودنياهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسعى لتكريس هذا الأمر لإعداد الأمة للرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام من بعده، يأخذون عنهم سنته. وقد تكرر منه صلى الله عليه وآله وسلم توجيه الأمة للرجوع إلى أهل بيته عليهم السلام في أكثر من موقع وفي أكثر من مناسبة، وليس في الإمكان أن نستعرض كل الأحاديث والمواقف التي صدرت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الشأن، إلا أننا نستعرض نماذج في ذلك استعراضاً سريعاً، لننتقل منها إلى دراسة آية التطهير ودلالاتها الواسعة.

### من هذه النصوص :

١ - حديث الثقلين الشهير، الذي تضافرت على روايته مجاميع الحديث النبوي من السنة والشيعة.

«أيتها الناس إنما أنا بشر أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما - أو إن اعتصمتم بهما - لن تضلوا أبداً، وهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أحدهما أثقل من الآخر، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني - أو كيف تحفظوني - فيهما، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وتوشكون أن تردوا عليّ الحوض، وأسألكم حين تردون عليّ عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلي وأجاب دعوتي

---

الوصول إلى الحديث النبوي، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وليس كل أصحاب رسول الله كان بسأله - أي الرسول - عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أنهم كانوا يلحجون أن يعي - الأعرابي والطارىء فيسأل رسول الله حتى يسمعوا» أصول کافی ٦٢:١.

## دراسات

فليستوص بهم خيراً؛ وقد ورد هذا الحديث الشريف في صحيح مسلم<sup>١</sup> وسنن الترمذي<sup>٢</sup> وسنن الدارمي<sup>٣</sup> ومسند أحمد بن حنبل<sup>٤</sup> وخصائص النسائي<sup>٥</sup> ومستدرك الحاكم<sup>٦</sup> وغير هذه الكتب من عشرات المصادر الروائية.

### ٢- حديث السفينة :

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق؛

رواه الحاكم في «مستدرك الصحيحين»<sup>٧</sup> على شرط مسلم، وأخرجه المتقي «في كنز العمال»<sup>٨</sup> والهيثمي في «المجمع»<sup>٩</sup> وأبونعيم في «حلية الأولياء»<sup>١٠</sup> إلى عشرات من الأحاديث الأخرى التي رواها الثقات من الرواة من الأصحاب والتابعين لهم بإحسان، وشيوخ أصحاب الحديث في إمامة أهل البيت عليهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شؤون الدين، وكذا في شؤون القيادة والحكم.

### ٣- حديث الغدير:

الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده ولياً على المسلمين في مشهد حافل من المسلمين يقدره سبط بن الجوزي في «التذكرة» بمائة وعشرين ألفاً. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». وبإيعه يومئذ على الولاية كبار الصحابة ومنهم الشيخان أبوبكر وعمر. وقد روى هذا الحديث مسلم في الصحيح، والحاكم في المستدرك بشرط الشيخين، وقد جمع العلامة الفقيه السيد مير حامد حسين أسناد هذه الروايات وحقق في سندها ومتنها في عشرة مجلدات<sup>١١</sup>. كما حقق العلامة الأميني طرق هذه الرواية في موسوعته القيمة (الغدير) بصورة واسعة.

- 
- (١) صحيح مسلم ١٢٢ / ٧. (٢) سنن الترمذي ٦٢٠ / ٥ طبع دار الفكر.  
 (٣) سنن الدارمي ٤٣٢ / ٢. (٤) مسند أحمد بن حنبل ١٤ / ٣. (٥) خصائص النسائي ٣٠ / ٣٠.  
 (٦) مستدرك الحاكم ١٠٩ / ٣، ١٤٨، ٥٣٣.  
 (٧) مستدرك الحاكم على الصحيحين ٣٤٣ / ٣.  
 (٨) كنز العمال للمتقي الهندي ١٨٦ / ١ ط الرسالة بيروت.  
 (٩) المجمع للهيثمي ١٦٨ / ٩.  
 (١٠) حلية الأولياء ٣٠٦ / ٤. (١١) عبقات الأنوار.

## إعداد أهل البيت عليهم السلام للإمامة:

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على إعداد الأمة لقبول أهل بيته أئمة من بعده، يرجعون إليهم في معرفة حدود الله تعالى وأحكامه، ولمعرفة الحلال والحرام، وفي شؤون الحكم والإمامة والقيادة.. كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على إعداد علي عليه السلام من أهل بيته للقيام بهذه المهمة من بعده.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم يخصّ علياً بكثير من رعايته وعنايته، وبأه في بيته، وتولّى صلى الله عليه وآله وسلم تربيته بنفسه، فنشأ علي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ نعومة أظفاره، وكان أول من آمن به واقتدى به.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالقاصعة :

«وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضمني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمّني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به، وقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه يراه غيري، ولم يجتمع في بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة».

أذن، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعد الأمة لإمامة أهل البيت عليهم السلام من بعده، ويعدّ أهل بيته لإمامة المسلمين.

والذي يمعن في النصوص الواردة في هذا الشأن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتأكد له أنه لم يكن له شأن شخصي في ذلك، وإنما هو أمر من أمر الله تعالى، ينفذه ويبلغه، كما كان يبلغ سائر أوامر الله تعالى.

وقد نزل في ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا

## دراسات

أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس<sup>١</sup>.  
فقد صرح المحدثون أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم، في أمر نصب علي بن أبي طالب عليه السلام ولياً وإماماً على المسلمين.

روى ذلك الشيخ الأميني عن مجموعة من المصادر في التفسير والحديث<sup>٢</sup>.  
وإذا كان هذا الأمر من عند الله تعالى، ولم ينطق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشأن الخطير إلا من عند الله وبأمر من الله، فلا بد أن يكون الله تعالى قد خص أهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم والفقه والعصمة ما ليس في غيرهم، ليتمكنهم من أن ينهضوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر إمامة المسلمين في الدين والدنيا.

### عصمة أهل البيت عليهم السلام ونفي الاجتهاد عنهم:

و عليه فإن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ليس شأنهم شأن سائر المجتهدين والفقهاء، يخطئون حيناً ويصيبون حيناً، وإنما عيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده مصدراً لتبليغ حديثه وسنته، ومرجعاً في الدين، يبلّغون أحكام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير سهو أو خطأ أو شك أو تردد، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبلّغ أحكام هذا الدين، ولذلك فمن المسامحة في التعبير أن نقول عن فقههم «مذهب أهل البيت» كما يشيع التعبير عنه.

وليس القول بعصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام استنتاجاً لجملة من الأحاديث النبوية فقط - وإن كان على هذا المستوى أيضاً قولاً لا يعارض ولا يرقى إليه الشك وإنما نزلت في ذلك آية صريحة في محكم ذكر الله وقرآنه الكريم، وذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿إِنَّمَا يريد الله لِيذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>٣</sup>.

### آية التطهير

﴿إِنَّمَا يريد الله لِيذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

(١) المائدة / ٦٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالأمور ٢ / ٩٨، وفتح القدير ٢ / ٥٧ وكشف الغمّة ٩٤ / ٩٤ والعمدة لابن بطريق ٩٩.

(٣) سورة الأحزاب / ٣٣.

وسوف نستعرض الأبحاث المتعلقة بهذه الآية الكريمة من خلال مفرداتها المباركة واحدة بعد أخرى.

﴿إنما﴾..

الآية الكريمة مصدرة بكلمة «إنما» وهي من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية، وتفيد هذه الكلمة إثبات ما بعدها، ونفي ما عداها. كما يقول «إنما الفقيه علي» فيكون معناه إثبات الفقه لعلي ونفيه عن غيره.

فيكون معنى الآية الكريمة إذن في ضوء هذا التحديد إثبات التطهير لأهل البيت بإرادة الله تعالى، ونفي أن يكون الله تعالى قد أراد تطهير غيرهم وقت نزول هذه الآية.

﴿يريد الله﴾

من المعروف أن إرادة الله تعالى تأتي على نحوين (تكوينية) و(تشريعية) والتكوينية هي التي لا يمكن أن يحول شيء بين إرادته تعالى وبين ما يريد، ولا يمكن أن يختلف مراده عن إرادته تعالى، ولا يمكن أن يريد وجود شيء فلا يكون.. يقول عزّ شأنه: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾!

و«التشريعية» هي التي تتخلل إرادة المكلف واختياره بين إرادته تعالى، وما يريد من أعمال المكلفين.. وتتعلق هذه الإرادة دائماً بالأفعال التي شرعها الله تعالى للمكلفين. وتتعلق هذه الإرادة دائماً بالأفعال التي شرعها الله تعالى للمكلفين كما أن متعلق الإرادة التكوينية «الأمور التكوينية».

وبعد هذا التفصيل والتقسيم للإرادة، فمن أي قسم من الإرادة هذه الإرادة التي نحن بصدددها في الآية الكريمة: ﴿يريد الله﴾؟

فهل يجوز أن يكون من «الإرادة التشريعية»..؟ لا شك أنه لو كانت الإرادة في الآية الكريمة من الإرادة التشريعية، وكان معنى ﴿يريد الله﴾ أن الله تعالى يريد طهارة أهل البيت عليهم السلام وذهاب الرجس عنهم بأرادتهم واختيارهم، فلا تكون الآية الكريمة دالة على عصمتهم في شيء ما، فليس كل ما يريد الله تعالى لعباده من طهارة، وعدل، وحق - في تشريعه - بكائن، وما

## دراسات

أكثر ما يريد الله تعالى لعباده من خير، فلا يستجيب له عباده. فلا تكون في الآية الكريمة دلالة على عصمتهم بهذا الشكل القطعي الذي نستنتجه نحن من الآية الكريمة.

إلا أنَّ «الإرادة التشريعية» هذه لا تنسجم مع كلمة «إنما» السابقة لها، بما فيها من دلالة قوية على الحصر. فليس من ريب أنَّ إرادة التطهير بمعناها التشريعي لا يمكن أن تكون مقتصرة على أهل البيت خاصة، فإنَّ الله تعالى يريد هذا التطهير لكل عباده. يقول تعالى: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد الله ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾<sup>١</sup>.

ولا معنى لحصر إرادة التطهير بناء على ذلك في أهل البيت خاصة، ونفيها عن سواهم، بما ذكرنا - آنفاً - للحصر من مدلول إيجابي وسلبى.

إذن فلا يمكن تفسير الإرادة في الآية الكريمة بالتشريعية. ولم يبق إلا أن يكون المقصود من الإرادة هنا «الإرادة التكوينية» خاصة حتى تستقيم دلالة «إنما» على معناها وتنسجم مع ما بعدها.

### إستحالة تخلف المراد عن إرادته تعالى :

وإذا صحَّ أن المقصود من الإرادة في الآية الكريمة «الإرادة التكوينية» فلا يمكن أن يتخلف مراده عن إرادته تعالى. فيستحيل أن يصدر عنهم رجس، أو تفارقهم الطهارة كما ذكرنا.

وهذا المعنى من الإرادة ينسجم مع الحصر الذي تفيدته كلمة «إنما» ويصحَّ الإيجاب، كما يصحَّ السلب أيضاً. ولا يلزم من ذلك المحذور الذي ذكرناه فيما لو كانت الإرادة تشريعية. فتجب الطهارة لأهل البيت عليه السلام، ويمتنع عليهم الرجس بحكم هذه الآية الكريمة.

﴿ليذهب عنكم الرجس﴾

الرجس الشيء القذر،<sup>١</sup> وهي حالة توجب التنفّر، وهي قد تكون حالة مادية ظاهرية كما في لحم الخنزير.. يقول تعالى: ﴿أولحم خنزير فإنه رجس﴾<sup>٢</sup>. وقد تكون حالة نفسية كما في

(٣) سورة الأنعام / ١٤٥.

(٢) المفردات للراغب / ١٨٨.

(١) سورة المائدة / ٦.



قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>١</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>٢</sup>.

فآية الكريمة صريحة - إذن - في أن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس.. وواضح أن الذنوب والمعاصي من أوضح أفراد الرجس. وقد أذهبها الله تعالى عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد علمنا أن إذهاب الرجس هذا قد تم بمشيئة الله التكوينية. ولا يمكن أن يتخلف شيء عن إرادته سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>٣</sup>. وعليه فلا يمكن أن يصدر عنهم عليهم السلام ذنب أو معصية بحكم هذه الآية.

### \* أهل البيت \*

من هم أهل البيت عليهم السلام؟

١ - يبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان «أهل البيت» الذي نزل فيه قرآن من الله تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة في غير أهله، وإدخال من ليس منهم فيهم.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم يشخصهم بأسمائهم كما في رواية عبد الله بن جعفر: «فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: أدعوا لي أدعوا لي، فنقول صفية: من؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين»، ثم يؤكد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحصر والتشخيص بقوله: «اللهم هؤلاء آلِي، فصل على محمد وآل محمد» فينزل الله تعالى فيهم قرآناً محكماً: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>٤</sup>.

ولا يخفى ما في هذه الكلمة «اللهم هؤلاء آلِي» من الدلالة على حصر أهل البيت عليهم السلام فيهم، ونفيه عن غيرهم لكل من عرف أساليب العرب في الكلام.

(١) سورة التوبة / ١٢٥.

(٢) سورة الأنعام / ١٢٥ وراجع تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ١٦ / ٣٠٩ وما بعدها.

(٣) سورة يس / ٨٢ (٤) مستدرک الحاكم على الصحيحين ٣ / ١٤٧.

## دراسات

٢ - وإمعاناً في تشخيصهم وتحديددهم، يحصرهم صلى الله عليه وآله وسلم تحت كساء، كما في رواية أم سلمة رضيها الله: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>١</sup>.

٣ - وتتمنى أم المؤمنين أم سلمة رضيها الله التي نزلت الآية الكريمة في بيتها، أن تكون هي من أهل البيت. فنقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأنا معهم يا نبي الله»، فيقول لها: «أنتِ علي مكانك، وأنتِ علي خير»<sup>٢</sup>.

فلا ينفي صلى الله عليه وآله وسلم أنها رحمها الله على خير، ولكن ينفي أن تكون من «أهل البيت» وهي زوجته ومن أمتهات المؤمنين.

ولا يبقى بعد ذلك والرواية مصححة - مجال لإدخال أمتهات المؤمنين في عداد المقصودين بأهل البيت عليهم السلام، في هذه الآية الكريمة.

٤ - ثم يصرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك تصريحاً لا يترك لأحد شكاً بعده، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وحسن وحسين وفاطمة»<sup>٣</sup>.

٥ - وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء عليها السلام، حيث يجمع علياً والزهراء والحسين عليهما السلام، بمرأى وسماع من المسلمين.

عن أبي برزة قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: الصلاة عليكم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾»<sup>٤</sup>.

وهي خطة إعلامية عجيبة عمل بها رسول الله لإزالة الالتباس عن «أهل البيت» في الآية

(١) برواية الطبري، وابن كثير في تفسيريهما، والترمذي في صحيحه، والطحاوي في مشكل الآثار.

(٢) رواها السيوطي في الدر المنثور عن أبي سعيد.

(٣) رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبين، عن أبي سعيد رحمه الله، ورواها ابن كثير

في التفسير ٤٥٨ / ٣.

(٤) مجمع الزوائد ٢٠٦ / ٩.

الكريمة، وتحديده وحصره، بشكل لا يدع مجالاً لأحد في التلبس أو الالتباس، وإدخال من ليس منهم فيهم، وإخراج من كان منهم عنهم.

ولو أن الأمر في الآية الكريمة كان لا يتجاوز تكريم أهل البيت عليهم السلام لعلاقتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن الأمر يقتضي مثل هذا الاهتمام والتأكيد والتكريس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بإعلان أهل البيت بأسمائهم وحصرهم بهذه الأساليب المختلفة.

على أن آية التطهير الكريمة وحدها كافية لتحديد أهل البيت ﴿الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً﴾ فإنها صريحة في إثبات العصمة لأهل البيت عليهم السلام.

فإذا فرضنا شمول الآية الكريمة لكل من ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته وزوجاته، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وغيرهم فإننا نواجه سؤالين يطلبان الإجابة :

١- من كان يدعي من هؤلاء آل العصمة من كل رجس وذنب؟

٢- وإذا اتفق الادعاء من بعضهم، فهل يصدق عمله دعواه أم لا؟ فنراجع تاريخه وحياته لنجد هل كان في دعواه صادقا أم لا؟

وهذا التساؤل محك دقيق في تحديد وتشخيص المعنيين بالتطهير والعصمة في الآية الكريمة.

فلم يكن في زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآل عقيل، وآل عباس، وآل جعفر وغيرهم ممن ينتمون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنسب أو سبب من يدعي العصمة، وأن الله قد أذهب عنه كل رجس وطهره تطهيرا.

ولا يبقى غير الخمسة الطاهرة : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وهم داخلون في آية التطهير بالتأكيد، وباتفاق الروايات تقريباً، وينطبق عليهم الشرطان السابقان :

فهم يدعون لأنفسهم العصمة، كما سيمر علينا ذكر ذلك. بينما لم يتفق لأحد من غيرهم من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر ذويه مثل هذا الادعاء.

وقد كانت دعوى العصمة معروفة منهم، ومع ذلك لم يحص أحد مفارقة أو خلافاً في المراحل المختلفة من حياتهم، رغم أنهم كانوا يعيشون فيما بين الناس. وكانت أعمالهم ومواقفهم تحت الأضواء دائماً، وبمرأى ومسمع من الناس.

ولو كانت تصدر عنهم مخالفة أو مفارقة في كلام أو عمل أو موقف لنقل إلينا فيما نقل التاريخ من سلوكهم وكلماتهم.  
فينحصر أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس في عصر نزول الآية الكريمة - إذن - في الخمسة الطاهرة.

### نتائج البحث في آية التطهير

التنزيه من الكذب :

وأهم هذه النتائج أنهم صادقون لا يجوز التشكيك في صدقهم. فإذا صح عن هؤلاء الخمسة من أهل البيت عليهم السلام قول أو رواية فلا يجوز أن نشك في صدق كلامهم أو روايتهم فإنّ تكذيبهم في قول أو رواية تكذيب لآية محكمة من كتاب الله نزلت في تنزيههم من كل رجس. وتطهيرهم من كل ذنب وريب.

ومن هذا المنطلق الواضح القوي، ننطلق في استعراض مكانة أهل البيت عليهم السلام ومراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها، وأشخاصهم الذين اجتباهم الله تعالى في كل عصر أئمة لعباده وهداة إلى دينه.

وفيما يأتي نستعرض هذه النقاط بإيجاز :

١ - خلافة أمير المؤمنين وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وهو أمر لا يشك فيه من استعرض طرقاتاً من سيرة أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد كان يرى أنه هو صاحب الحق في إمامة الأمة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته، وقد علم الكل برأي الامام عليه السلام في حقه في الأمر، والإطالة فيه إطالة في الواضحات. وإنّما لم يسلك عليه السلام مسلك المعارضة في حياته مع الخلفاء الذين تولوا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحداً بعد آخر، ودافع عنهم، ونصح لهم وبذل أقصى ما يمكن من جهد في نصيحتهم والدفاع عنهم وحفظ شؤونهم.. إيماناً منه عليه السلام بأن مصلحة الاسلام الكبرى في وحدة صف المسلمين، ووحدة موقفهم وكلمتهم فوق أي اعتبار آخر. ولا يجوز التفريط في هذا الأمر لأحد من المسلمين.

ولذلك كله زجر أباسفيان عند ما عرض عليه أن يبايعه يوم السقيفة، ويملاّ الدار خيلاً ورجلاً،

وردة العباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما عرض عليه البيعة.

٢ - استمرار الإمامة في أهل البيت بعد علي عليه السلام :

وهذا المعنى وارد بصراحة في حديث الثقلين الذي نقله متواتراً، وصحح كثيراً من أسانيد أئمة الحديث من الفريقين :

«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»<sup>١</sup>.

وهذا الحديث صريح في استمرار أهل البيت الذين جعلهم الله أئمة على خلقه، وأدلة على صراطه إلى يوم القيامة «حتى يردا علي الحوض» باستمرار الثقل الأول وهو القرآن الكريم. يقول ابن حجر الهيتمي :

«وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة. كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي»<sup>٢</sup>. وقد ورد تسلسل أسماء أهل البيت الذين جعلهم الله تعالى أئمة للناس، واحداً بعد الآخر، وعصمهم الله من كل رجس وذنوب وريب في أحاديث أهل البيت أنفسهم، إجمالاً وتفصيلاً وتلميحاً وتصريحاً. وكثير من هذه الروايات وردت بطرق صحيحة.

ويكفينا ونحن نعرف خمسة منهم شملتهم آية التطهير في عصر نزولها، أن نتعرف إلى أسماء غيرهم ممن يخلفونهم في الإمامة، والعصمة عن طريقهم، ثم نعرف من يليهم من بعدهم في الإمامة والعصمة بواسطة، وهكذا بالتسلسل.

٣ - حجية أحاديث أهل البيت عليهم السلام :

وهذه هي أهم المسائل التي يواجهها الإنسان المسلم في الجانب العقائدي، وفي الجانب التشريعي أيضاً. ومن استعاض هذه النتيجة بعرض لماذا يقتصر علماء الشيعة الإمامية في معرفة أحكام الله تعالى على مذهب أهل البيت عليهم السلام ولا يأخذون بمذهب الجمهور في الاعتماد على اجتهاد الأئمة الأربعة.

(١) رسالة حديث الثقلين / إصدار دار التقريب في مصر.

(٢) الصواعق المحرقة / ١٤٩.

## دراسات

وفيما يلي نشرح هذه الحقيقة في مجموعة من النقاط التي تشكل أسس مذهب أهل البيت

عليهم السلام:-

### مذهب أهل البيت عليه السلام

١ - أهل البيت صادقون منزّهون عن الكذب :

وهي أدنى مراتب العصمة في حياتهم، ولا يجوز لمسلم أن يشك في صدق حديثهم، وروايتهم، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. والكذب من أفحش الرجس الذي برأهم الله تعالى منه.

والى حدّ ما يتطابق الفريقان السنيّة والشيعة في هذه الحقيقة، فلم أصادف فيما قرأت من كتب الجرح والتعديل والرجال من كتب أئمة السنة من لا ينزّه ساحة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من كل رجس وكذب وريب.

٢ - أهل البيت يروون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وليس شأنهم عليهم السلام شأن سائر المجتهدين وأئمة المذاهب الإسلامية في الاعتماد على الرأي والاجتهاد في دين الله، ولا يصحّ تسميتهم بالمجتهدين وأصحاب الرأي. والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، والحالات التي يخطئ فيها لا تقلّ عن الحالات التي يصيب فيها حكم الله تعالى.

وأهل البيت عليهم السلام لا يدخلون قطعاً في عداد هؤلاء المجتهدين وأصحاب الآراء، ولا مذهب لهم في الرأي والاجتهاد. وإنّما هم ينقلون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحملون إلينا ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويستندون في ذلك إلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهت علمها إليهم، ويرقونها عنهم، سواء رروها كما يروي عامة المحدثين الحديث مسلسلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم أرسلوها إرسالاً. وهم عليهم السلام قد بيّنوا هذا المعنى في أكثر من موضع.

١ - روى الثقة الكليني عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم، وحماد بن عثمان، وغيره، قالوا : سمعنا أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث

جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل<sup>١</sup>.

٢- قال في بصائر الدرجات: حدثنا عبد الله بن عامر، عن عبد الله بن محمد الحجال، عن داود بن أبي يزيد الأحول، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام، قال سمعته يقول: «إنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصل علم نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم»<sup>٢</sup>.

٣- النص قبل الاجتهاد:

وانطلاقاً مما تقدم فإن أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم ليست من الرأي والاجتهاد في شيء. وإنما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآثاره أودعها عند أهل بيته، وتوارثوها عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ونقلوها إلينا في الأصول والأحكام، وسجلها عنهم الثقات من المحدثين.

فاذا آمناً - بموجب آية التطهير - بأنهم مطهرون من كل كذب وريب، وصادقون فيما يقولون ويروون، فلا يجوز العدول عن أحاديثهم إلى الاجتهاد والرأي. وإن كان اجتهاداً ورأياً في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن من غير الجائز ممارسة الاجتهاد، والأخذ بالرأي مع وجود النص الصريح.

وترتب على ذلك أنه لا يمكن اعتبار اتجاه أهل البيت عليهم السلام في الأصول والأحكام الإسلامية مذهباً في عداد المذاهب الإسلامية الأخرى في الأصول والفروع. فإن المعنى الاصطلاحي للمذهب، الاتجاه القائم على الرأي والاجتهاد الخاص في فهم الإسلام أصولاً وأحكاماً. وإذا كان أهل البيت ينظرون عن أنفسهم واتجاههم أي رأي أو اجتهاد شخصي، وإنما ينقلون إلينا بأمانة وصدق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديثه، فاتجاههم لا يعتبر مذهباً في الإسلام، بالمعنى المصطلح المعروف من المذهب.

٤- كيف استقى أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

## دراسات

وهو سؤال لا شك يختلج في الانسان وهو يواجه هذا التراث الضخم الذي ورثه أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأصول والأحكام. وفي الكليات والجزئيات والتفريعات الدقيقة للأحكام، وفي التفسير والأخلاق والتاريخ.

والجواب: إننا بعد ما عرفنا في آية محكمة في كتاب الله أنهم صادقون، لا يقولون كذباً، ولا يدعون باطلاً... فإننا غير مسؤولين بعد ذلك أن نعرف كيف تلقوا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وفي أي فرصة طويلة كان علي عليه السلام يخلو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذ منه العلم؟ ليتسلسل هذا العلم بعد ذلك في أبنائه، إماماً بعد إمام.

فإذا ذكروا بأنهم قد ورثوا علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته في الأصول والفروع، وأن لديهم من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديثه وسنته، ما ليس عند غيرهم، فهم مصدقون في كلامهم ودعواهم. ونعلم أنهم لا يدعون جزافاً وباطلاً، فنأخذ عنهم العلم والحديث والفقه في الحلال والحرام، وفي الأصول والأحكام، وفي حدود الله تعالى وشريعته، وتتعبد بأحاديثهم ورواياتهم على أنها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواياته صحت عنه بطريق صادق سليم لا يرقى إليه الشك.

على أننا لا نعدم بعض الايضاحات في هذا الشأن من أهل البيت عليهم السلام بالذات، نشير الى طرف منها:

أ: يقول الامام علي عليه السلام: «وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخلىني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاني، وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني. وكنت إذا سأله أجنبي، وإذا سكنت عنه، وفنيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يعطيني فهماً وحفظاً، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى، كان أو يكون، ولا كتاب منزل علي أحد قبله



من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري، ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله: بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت، لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه، أفنتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل<sup>١</sup>.

ب: الكتاب الذي أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي عليه السلام في الاحكام، واسم هذا الكتاب «الجامعة»، وقد أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجالسه الخاصة علي عليه السلام، وخطه علي عليه السلام بيمنه، وهو كتاب يشمل كل ما يتعلق بالحلال والحرام وحدود الله تعالى. بل في بعض الروايات على القرآن والإنجيل والزبور، وقد ورد أنه كان بمقدار سبعين ذراعاً، وكان الأئمة من أهل البيت يحفظونه ويكنزونه جيلاً بعد جيل، كما يكنز الناس ذهبهم وفنّتهم أو أشدّ حفظاً، وكانوا يرجعون إليه كلما أحوجهم الأمر إليه.

١- روى في بصائر الدرجات عن علي بن الحسن بن الحسين السحاني عن محول بن

ابراهيم

عن أبي مريم، قال: قال لي أبو جعفر (الباقر):

«عندنا الجامعة، وهي سبعون ذراعاً، فيها كل شيء حتى أرش الخدش، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط علي عليه السلام<sup>٢</sup>.

٢- وفي بصائر الدرجات: عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن الحسين، عن

أبي مخلد، عن عبد الملك، قال: دعا أبو جعفر «الباقر» بكتاب علي فجاء به جعفر «الصادق» مثل فخذ الرجل مطوياً، فإذا فيه «إن النساء ليس لهن من عقار الرجل إذا هو توفي عنها شيء». فقال أبو جعفر: هذا والله إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه علي بيده<sup>٣</sup>.

أئمة أهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة:

وقد كان أهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة جيلاً بعد جيل، وواحداً بعد آخر،

ويروون عنه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديثه.

(١) أصول الكافي ١ / ٦٢ ط مكتبة الصدوق بطهران.

(٢) بصائر الدرجات / ١٨٠ ط الاعلمي بطهران.

(٣) بصائر الدرجات / ٥ باختلاف يسير.

## دراسات

١- في بصائر الدرجات : حدثنا الحسن بن علي عن أحمد بن هلال، عن أمية بن علي، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأُمير المؤمنين علي عليه السلام: اكتب ما أُملي عليك، قال علي عليه السلام: يا نبي الله وتخاف النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك فلا ينسيك، لكن اكتب لشركائك. قال: قلت ومن شركائي يا نبي الله؟ قال الأئمة من ولدك»<sup>١</sup>.

٢- وروى في بصائر الدرجات : عن أبي القاسم، عن محمد بن يحيى المطار، قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار، قال حدثنا محمد بن الحسين، عن صفوان، عن معلى بن أبي عثمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله «الصادق» عليه السلام، قال : «إن الكتب كانت عند علي عليه السلام، فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة، فلما مضى علي عليه السلام كانت عند الحسن عليه السلام فلما مضى الحسن عليه السلام كانت عند الحسين عليه السلام، فلما مضى الحسين عليه السلام كانت عند علي بن الحسين عليه السلام ثم كانت عند أبي»<sup>٢</sup>.

٥- أستاذ الشيعة إلى أهل البيت عليهم السلام :

وإذا تعيّن الأخذ بأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وعلمنا أنّ حديثهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمهم من ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا مساغ لأحد في الاجتهاد مع وجودهم، أو مع وجود أحاديث لهم في الأصول والاحكام... أقول : إذا تعيّن ذلك فثمة سؤال واحد نطرحه على إخواننا من أهل السنة وهو أنهم لم يعتمدوا أحاديث أهل البيت عليهم السلام؟

وقد يجاب على ذلك بأن حديث أهل البيت عليهم السلام لم يُروَ -في الغالب- إلا عن طريق الشيعة وأسانيدهم، وأهل السنة لا يعرفون هذه الطرق.

فنقول إن علماء السنة لا يشترطون في صحة الرواية غير الوثوق إلى صدق الراوي وحفظه، فإذا وثقوا بصدق الراوي وضبطه، وسلامة الطريق من حيث الأمانة والصدق، لم

(٢) بصائر الدرجات / ١٨٢.

(١) بصائر الدرجات / ١٨٧.

يترددوا في التمسك بالرواية، وإن كان الراوي على غير عقيدة أهل السنة ومذهبهم. وقد ورد كثير من رجال الشيعة في أسانيد الصحاح السنة وطرقهم، وأخذ كبار المحدثين من السنة من أمثال البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن مشايخ الشيعة - علماً بأنهم من الشيعة - وأنهم يختلفون معهم في المذاهب. ومع ذلك فلم يمنعهم ذلك من الأخذ برواياتهم والاعتماد عليها.

وقد ذكر الامام شرف الدين رحمه الله مائة من رجال الشيعة في أسانيد السنة وطرقهم، على سبيل المثال والاستشهاد، لا الاستقصاء.

فهذا أبان بن تغلب الكوفي، احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وأبوداود والترمذى والنسائي وابن ماجة، ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم، وكان شيعياً معروفاً. يقول الذهبي في «الميزان» في ترجمته :

«أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته». واسماعيل بن زكريا الأسدي الخلقاني، روى عنه البخاري ومسلم، وترجم له الذهبي فقال: «صدوق شيعي»، وعده ممن احتج به أصحاب الصحاح السنة.

وحبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي التابعي. عده من رجال الشيعة كل من ابن قتيبة في «المعارف» والشهرستاني في «الملل والنحل» واحتج به في الصحاح السنة جميعاً بلا تردد. والحسن بن حي، واسم حي «صالح» كان من أعلام الشيعة، ذكره ابن سعد في «الطبقات» فقال : «كان ثقة صحيح الحديث، كثيره، وكان متشيعاً، واحتج به مسلم وأصحاب السنن». وقد روى مسلم في الصحيح، عن كل من سماك بن حرب واسماعيل السدي وعاصم الأحول وهارون بن سعد.

ولو أن أهل السنة ألغوا روايات الشيعة وردوها رأساً لذهبت جملة من الآثار النبوية، كما يعترف بذلك الذهبي في «الميزان» في ترجمة أبان بن تغلب.

وهذا عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني منسوب إلى التشيع، ومع ذلك فقد وثقه الأئمة كلهم إلا أبو عباس بن عبد العظيم فتكلم بكلام وأفرط فيه ولم يوافق عليه أحد. وقال

## دراسات

عنه ابن عدي : رحل إليه ثقات المسلمين وكتبوا عنه، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع وهو أعظم ما ذمّوه به. وأما الصدق فأرجوا أنه لا بأس به، واحتج به الشيخان البخاري ومسلم.<sup>١</sup> فلا يشترط في صحة الرواية إذن أكثر من الوثوق بالراوي، وصدقه، وأمانته، وضبطه، فإذا تأكدوا من ذلك، فإن أصحاب السنن والصحاح والأصول لم يترددوا في الأخذ بروايته، وروايتها والعمل بها.

فلا مبرر إذن للتردد في التمسك بروايات أهل البيت عليه السلام في الحلال والحرام وفي الأصول والعقائد بحجة أن روايات أهل البيت عليه السلام وردت في الغالب عن طرق شيعية لا يعرفها أهل السنة.

ولاشك في أن هناك في أسانيد وطرق روايات أهل البيت طرقاً ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها.

غير أن الأساس السليم في مثل هذا الموقف أن ينتقي الفقيه السني منها ما تجتمع فيه شروط الرواية الصحيحة من حيث السند والمتن، ويترك غيره، كما يعمل علماء الشيعة، مادام أن الرواية عن الشيعة ليست بأمر محظور، ومادام أن كلمات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم لا تزيد أن تكون روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. فلا يبقى إلا التحري في أسانيد هذه الروايات وطرقها، والتأكد منها، وانتقاء الصحيح منها، كما يفعل إخواننا السنة بالأحاديث النبوية الواردة عن طرقهم. وكما يفعل الشيعة بالروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليه السلام عن طرقهم بالذات.

والحمد لله رب العالمين.



(١) فتح الباري المقدمة / ٤١٨.

## دور أهل البيت عليهم السلام

### في تفسير القرآن الكريم

الشيخ محمد هادي معرفة

#### العترة الطاهرة ورثة الكتاب وحملة علم الرسول

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض..» وقال: ما إن تمسكتما بهما لن تضلّوا بعدي أبداً..»<sup>(١)</sup>

حديث متواتر بين الفريقين، قاله خطاباً لجميع أئمة عبر العصور.. فقد هداهم إلى معالم الحياة التي إن ساروا على هديها اعتدوا وبلغوا السعادة.. وإن حادوا عنها هبوا وجلبوا لأنفسهم الشقاء.

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»<sup>(٢)</sup>. ومعنى عدم افتراق أحدهما عن الآخر: أن الأئمة بأحدهما وإغفال الآخر، مما لا يمكن لسالك سبيل الرشاد، فلئن كان موضع الكتاب من الدين موضع عرض اصول التشريع.. فإنّ البيان والتفصيل من وظيفة العترة الطاهرة من أهل بيت الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم. وكما كان موضع النبي من القرآن موضع بلاغ وبيان، فكذلك موضع أهل بيته الطاهرين موضع أداء وإيفاء، إنهم خلفاؤه في أداء رسالة الله في الأرضين، والإيفاء ببيان شريعته في الخافقين. فهم باب علمه ومستودع حكمته والمؤدّون عنه والشهداء على الخلق ليكون الرسول عليهم شهيداً.

(١) الفيروزآبادي في الفضائل الخمسة ٢: ٤٣ - ٥٦.

(٢) المصدر ٥٦ - ٥٩.

قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾: نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد شاهد علينا...<sup>١</sup>

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الله طهرنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحبته على من في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا يفارقه ولا يفارقنا...»<sup>٢</sup>. وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...» - «هم آل محمد...»<sup>٣</sup>.

قال الإمام الباقر عليه السلام لعمر بن عبيد: «فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فلا هتداء بنا وإلينا يا عمرو»<sup>٤</sup>. وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «نحن الذين اصطفانا الله. فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء»<sup>٥</sup>.

\*\*\*

وقال الإمام الصادق عليه السلام في موته تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾: كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد، الذين أمر الله بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجاهل.. وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾. والآية وإن كانت نزلت بشأن أهل الكتاب خطاباً لمشركي العرب، لكن تأويلها عام

(٢) بصائر الدرجات / ٨٣ / رقم ٦.

(١) الكافي / ١ / ١٩٠ والآية من سورة النساء ٤ / ٥٥.

(٣) المصدر / ٤٦ / رقم ١٢. والآية من سورة فاطر / ٣٢.

(٤) تفسير فخر: ٢٥٨ / رقم ٣٥١.

وعمر بن عبيد هذا من زعماء المعتزلة ومن العلماء الزهاد وهو كثير التردد على أئمة أهل البيت وله منهم مواقف مشرفة. قال حفص بن غياث: ما وصف لي أحد إلا وجدتة دون الصفة الأعمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وصف لي.. قال: وما لقيت أحداً أزهده منه. مات سنة ١٤٢. (تهذيب التهذيب ٨: ٧٠).

(٦) النحل: ٤٣ والانباء: ٧.

(٥) بصائر الدرجات / ١١٤ / رقم ٣. والكافي ١ / رقم ٧.

(٧) بصائر الدرجات رقم ١٩. والكافي ١: ٢٩٥ / رقم ٣. وشواهد التنزيل للحسكاني / ٣٢٤ والآية من سورة النحل: ١٦.

شامل<sup>١</sup>، ومن أظهر مصاديقها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ومن ثمّ لمّا سأل عبدة السلماني وعلقمة بن قيس والأسود بن يزيد النخعي، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من يسألون إذا أشكل عليهم شيء من القرآن؟ قال: «سلوا عن ذلك آل محمّد...»<sup>٢</sup>.

قال الامام الصادق عليه السلام: «أنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من أوّله الى آخره...»<sup>٣</sup>.

وقال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ العلم الذي نزل مع آدم، لم يُرفع، والعلم يُتوارث. وكان علي عالم هذه الامة.. قال: وانه لم يهلك منا عالم قطّ إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، او ما شاء الله...»<sup>٤</sup>.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»<sup>٥</sup>.

### أهل البيت عليهم السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

كان علي عليه السلام يشل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومثّله الظاهر المتمثل فيه شخصيته الكريمة.. والذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي...»<sup>٦</sup> يعني انه كان يحمل في طيّه ذلك الحسّ المرهف الذي كان النبي متعمّاً به، سوى أنه ليس بنبي..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لعليّ علماً بكتاب الله وسنتي ليس لأحد من أمتي. يعلم جميع علمي. إنّ الله علّمني علماً لا يعلمه غيري، وأمرني أن أعلمه عليّاً»<sup>٧</sup>.

(١) لأنّ لحن الكلام ارشاد إلى حكم العقل بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم أبناً كان إذا كان إنما ينطق عن صدق وعن علم. ومن ثمّ استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الآية في قوله: لا ينبغي للعالم ان يسكت على علمه، ولا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله. (الدر المنثور ٤: ١١٩).

(٢) المصدر ١٩٦ / رقم ٩. (٣) المصدر ١٩٦ / رقم ٦. (٤) الكافي ١: ٢٢٢ / رقم ٢.

(٥) إختيار معرفة الرجال: الكشي ٤: رقم ٥. والكبير: زق أو جلد غليظ ذو حافات ينفع به الحداد.

(٦) نهج البلاغة ١: ٣٠١ (صبحي الصالح) الخطبة القاصعة برقم ١٩٢.

ففعلتُ... قال: «وإن الله علمه الحكمة وفصل الخطاب...»<sup>١</sup>.

قال علي عليه السلام: «وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم.. وكنت أدخل عليه كل يوم دخلةً وكل ليلة دخلةً فيخليني فيها أدور معه حيث دار. وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري.. إذا سألتُه أجابني وإذا سكُتُ أو نفدت مسألي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني. فما نسيْتُ آية من كتاب الله منذ حفظتها. وعلمني تأويلها، فحفظته وأملا علي فكتبته...»

ثم وضع يده على صدره ودعا الله أن يملأ قلبه علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى...<sup>٢</sup>.

واختلف جماعة في قراءة أي من القرآن فجاء بهم ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عنده، فقرأ كل قراءة.. فأسر النبي إلى علي، فقال علي: رسول الله يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم...

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد...<sup>٣</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحفظ عليه ما نزل من الآيات إذا كان غائباً..

قال سليم بن قيس الهلالي -وقد عدّه النجاشي من الطبقة الأولى من زمرة السلف الصالح-<sup>٤</sup>: جلست إلى علي عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمني تأويلها...

فقال ابن الكوا - وهو عبدالله بن عمرو الشكري عالم نصابة ومسائل مع أمير المؤمنين معروفة -: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟

(١) في حديث طويل مع ابنته فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.. رواه سليم في كتابه: ٧١.

(٢) كتاب سليم: ١٠٦.

(٣) ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٤٢. وتفسير الطبري ١: ١٠. ومستدرک الحاكم ٢: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) توفي مختلفاً عن الحجّاج حدود سنة ٩٠.



قال: بلى، يحفظ علي ما غبث عنه، فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا، فيقرئنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه..<sup>١</sup>

نعم، لم يكن أحد أمس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي عليه السلام في سبيل اكتساب المعالي، كما لم يأل النبي جهداً في تربية علي وتعليمه وتهذيبه.. حتى أصبح مستودع علمه وينبوع حكمته.. الأمر الذي كان معروفاً في حياة النبي ومشهوداً للجميع.. ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «علي عيبة علمي».

وهذا العلم الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توارثه أولاده الأطيبون الأئمة من أهل بيته..

قال الامام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَعَلَمْنَا، وَاللَّهُ..»<sup>٢</sup>.

وهكذا امتد العلم واستمر في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقياً لا ينقطع..

### شهادات وإفادات

هناك شهادات ضافية من الصحابة، وإفادات وافية من التابعين لهم بإحسان، تُنبئك عن مدى فضيلة هذا البيت الرفيع، ومكانته السامية في افق العلم والمعرفة والكمال، بما جعلهم مراجع الأمة في كل أدوار تاريخ الاسلام المجيد.

هذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود وهو من أكبر الصحابة قدراً وأجلهم شأنًا، تراه يشهد شهادته العالية برفقة مقام شاخص هذا البيت الامام امير المؤمنين عليه السلام وأنه تتلمذ عليه فيما تلقاه من العلوم والمعارف حتى في حياة الصادع بالرسالة الأمين، صلوات الله عليه.

أخرج أبو جعفر الطوسي في أماليه بإسناده إلى ابن مسعود، قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه.. وقرأت سائر القرآن على خير هذه الأمة وأفضاهم بعد نبيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.<sup>٣</sup>

(١) كتاب سليم برواية ابان بن عيَّاش البصري التابعي: ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) المولى الفترني في مرآة الانوار: ١٥.

(٣) أمالي الطوسي ٢: ٢١٩. واذكنا نعرف ان السور المكّية لا تعدو ستاً وثمانين سورة تعرف مدى سابقة تعلم

وأخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام بإسناده إلى عبيدة السلماني، قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا.. فقال له رجل: فأين انت من علي؟ قال: به بدأت، أني قرأت عليه..<sup>١</sup>

وأخرج ابن زاذان عنه قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعين سورة وختمت القرآن على خير الناس بعده. قيل له: من هو؟ قال: علي بن ابي طالب..<sup>٢</sup>  
وهو القائل: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن ابي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن..<sup>٣</sup>

وأخرج الحاكم الحسكاني بإسناده إلى علقمة عن عبدالله قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي فقال: قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، وأعطي الناس جزءاً واحداً..<sup>٤</sup>

إلى غيرها من شهادات راقية بشأن علّم هذا البيت وشاخصه الرفيع..

\*\*\*

وبعده من ألمع الصحابة صفحاً وأشرقهم وجهاً عبدالله بن عباس ترجمان القرآن حبر هذه الأمة ويحررها الزاخر بالعلوم والمعارف، يرى أن كل ما أخذه في تفسير القرآن فهو عن علي بن ابي طالب ليس عن غيره..

وهو القائل: قُسم علم الناس خمسة أجزاء، فكان لعلّي منها أربعة أجزاء، ولسائر الناس جزء، وشاركهم علي في الجزء، فكان أعلم به منهم.. أخرجه ابن عساكر..<sup>٥</sup>

أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: دعا عبدالرحمان بن عوف نفرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحضرت الصلاة، فقدموا علي بن ابي طالب، لأنه كان أقرأهم..<sup>٦</sup>

ابن مسعود من علي عليه السلام في وقت مبكر جداً..

(١) تاريخ دمشق - ترجمة الامام ٣: ٢٥ - ٢٦ / رقم ١٤٠٩.

(٢) المصدر: رقم ١٠٥١. وراجع سعد السعود لابن طائوس: ٢٨٥. والبحار ٨٩: ١٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر أيضاً. المصدر / رقم ١٠٤٨.

(٤) شواهد التنزيل ١: ١٠٥ / رقم ١٤٦.

(٥) شواهد التنزيل ١: ٢٣ / رقم ١٦.

(٦) تاريخ دمشق - ترجمة الامام ٣: ٤٥ - ٤٦.

وأخرج ابن طاووس عن طريق النقاش بالاسناد إلى ابن عباس قال: وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علم عليٍّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر..<sup>١</sup>  
ولتقتصر على شهادة هذين العلمين، وهما أعلم الصحابة بعد عليٍّ عليه السلام، وكفى بشهادتهما لجلاء الحق الصراح.  
وشهادات آخر منهما ومن غيرهما يأتي صفوها عند الكلام عن منزلة الإمام لدى الأصحاب..

\*\*\*

وأما إفادات التابعين فهي أكثر وأوسع من أن تستوعب، فلنذكر منها نماذج، فما لا يدرك كله لا يترك جله:

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى مسروق بن الأجدع قال: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق.. فعالم المدينة علي ابن أبي طالب، وعالم الكوفة عبدالله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء..

قال: فإذا التقوا، سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهم..<sup>٢</sup>  
انظر إلى هذا الوصف الجميل، كيف جعل المرجعية الكبرى في العالم الإسلامي ذلك اليوم، خاصة بزعيم أهل البيت باب مدينة علم النبي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام!  
وهو القائل: جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاد -يعني: القدير من الماء- فالإخاد يروي الرجل والإخاد يروي الرجلين والإخاد يروي العشرة والإخاد يروي المائة والإخاد لو نزل به أهل الأرض لأصدهم..<sup>٣</sup>؟ يعني علياً عليه السلام الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير..

وأخرج أيضاً بإسناده إلى عبيدة السلماني، قال: صحبت عبدالله بن مسعود سنة، ثم صحبت علياً، فكان فضل ما بينهما في العلم كفضل المهاجر على الأعرابي..<sup>٤</sup>  
وأخرج عن أبي عبدالرحمان السلمي، قال: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله من علي بن أبي

(١) سعد السعود: ٢٨٥. (٢) تاريخ دمشق - ترجمة الامام - ٣: ٥١ / رقم ١٠٨٦.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١: ٣٦.

(٤) تاريخ دمشق - ترجمة الامام - ٣: ٤٩ / رقم ١٠٨١.

طالب عليه السلام ..<sup>١</sup> وهو الذي أقرأ عاصماً القراءة التي تلقاها من علي عليه السلام، وأقرأها عاصم حفصاً بالذات، وهي التي درج عليها المسلمون ولا يزالون.  
وأخرجها ابن الجذري أيضاً عنه، وزاد: وهو من الذين حفظوه أجمع بلا شك عندنا..<sup>٢</sup>

\*\*\*

ويعجبني هنا أن أنقل وصفين جميلين عن دور أئمة أهل البيت في تفسير القرآن والعلم بتأويله، ذكرهما علما لامعان من أعلام النقد والتحقيق في عالم الاسلام، هما: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٦٧ - ٥٤٨) صاحب الملل والنحل.. والآخر: ابن حجر أحمد بن محمد الهيثمي (٩٠٩ - ٩٧٤) صاحب الصواعق:  
قال الشهرستاني:

«وخص الكتاب بِحَمَلَةٍ من عترته الطاهرة وَنَقَلَهُ من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حقّ تلاوته، ويدرسونه حقّ دراسته، فالقرآن تركته، وهم ورثته، وهم أحد الثقلين، وبهم مجمع البحرين، ولهم قاب قوسين، وعندهم علم الكونين.. والعالمون.. وكما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه ومن خلفه تنزيلاً، كذلك كانت الأئمة الهادية، والعلماء الصادقة معقبات له من بين يديه ومن خلفه تفسيراً وتأويلاً. ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾. فتتزيل الذكر بالملائكة المعقبات، وحفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله وتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفصله، ومطلقه ومقيده، ونصه وظاهره، وظاهره وباطنه. ويحكمون فيه بحكم الله، من مفروغه ومستأنفه، وتقديره وتكليفه، وأوامره وزواجره، وواجباته ومحظوراته، وحلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه.. بالحق واليقين، لا بالظن والتخمين.. أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب..»

ولقد كانت الصحابة متفقيين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام  
اذ كانوا يسألون علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء

(١) المصدر ٢٧ / رقم ١٠٥٢. (٢) غاية النهاية ١: ٥٤٦ / رقم ٢٢٣٤.

سوى القرآن؟ فكان يقول: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا بما في قراب سيفي.  
قال: «فاستثناء القرآن بالتخصيص، دليل على إجماعهم بأن القرآن وعلمه، تنزيله  
وتأويله مخصوص بهم ...

ولقد كان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه مصدر تفسير جميع المفسرين،  
وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل  
تسلمد لعلي رضي الله عنه حتى فقهه في الدين وعلمه التأويل..

قال: «ولقد كنت على حداثة سني أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجرداً،  
حتى دُفقت فعلقته على أستاذي ناصر السنة أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري  
رضي الله عنهم تلقفاً. ثم أطلعني مطالعات كلمات شريفه عن أهل البيت وأوليائهم  
رضي الله عنهم على أسرار دفيئة وأصول متينة في علم القرآن، وناداني من هو في شاطئ  
الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة الطيبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله  
وكونوا مع الصادقين﴾ فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبداً من عباد  
الله الصالحين، كما طلب موسى عليه السلام مع فتاه ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه  
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾. فتعلمت منه مناهج الخلق والأمر،  
ومدارج التضاد والترتيب، ووجهي العموم والخصوص، وحكمي المفروغ  
والمستأنف فشبت من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التي هي مآكل الضلال ومداخل  
الجَهل وارتويت من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان  
القرآن، نظمه وترتيبه ويلاغته وجزالته وفصاحته وبراعته...».

ويقول عند تفسير قوله تعالى:

«فالقرآن ﴿هدى للناس﴾ عامة، ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ خاصة،  
وهدى وذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقومه أخص من الأول والثاني ﴿وأنه لذكر لك  
ولقومك﴾

\*\*\*

(١) راجع مقدمته في التفسير الذي عنوانه باسم «مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار» مخطوط.

وقال ابن حجر -في مقارنة لطيفة بين الكتاب والعترة والسبب في تسميتهما ثقلين- :  
 «سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترة ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير  
 مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم الدنيوية، والأسرار والحكم العلية، و  
 الأحكام الشرعية. ولذا حث صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم  
 منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت..  
 وقيل: سميا ثقلين، لثقل وجوب رعاية حقوقهما..

ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، اذ هم  
 الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض. ويؤيده الخبر السابق: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم  
 منكم». وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،  
 وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة.. وقد مر بعضها.. وسيأتي الخبر الذي  
 في قريش: «وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم» فإذا ثبت هذا لعموم قريش، فأهل البيت  
 أولى منهم بذلك، لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش.  
 «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم  
 للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك..<sup>١</sup>.. ولهذا كانوا أماناً لأهل  
 الأرض -كما يأتي- ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كل خلف من أمتي عدول من  
 أهل بيتي...».

ثم أحق من يتمسك به منهم، إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما  
 قدمنا من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته.. ومن ثم قال أبو بكر: علي عترة رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم أي الذي كان قد حث على التمسك بهم فخصه..  
 والمراد بالعيبة والكرش -في الخبر السابق- أنهم موضع سره وإماتته ومعادن  
 نفائس معارفه وحضرته...<sup>٢</sup>.



(١) في هذا التعبير وهذا التشبيه دقيقة لا تخفى على أهل الدقة والنظرا

(٢) راجع: الصواعق المحرقة، الطبعة الأولى: ٩٠.

## الثقلان في وصية الامام الراحل

### السيد الخميني «قدس سره»

تحقيق

الدكتور محمد علي آذرشب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>١</sup>.



(٥) أوردنا منها موارد الحاجة إلى التحقيق «التحرير».

(١) الحديث الشريف منقول بألفاظ مختلفة، لكن الروايات متفقة في المفصود، وقد يكون اختلاف الالفاظ بسبب تأكيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من موضع على مفهوم الحديث. من ذلك في «حجة الوداع». روى الترمذي عن جابر قال: رأيت رسول الله في حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي». قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد. (الترمذي ١٣ : ١٩٩ باب مناقب أهل بيت النبي وراجع كنز العمال ١ : ٤٨).

ومن ذلك في «غدير خم». في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ للأول عن زيد بن أرقم قال: «إن رسول الله قام خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة... ثم قال: «الأيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي...» (صحيح مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب، ومسنند أحمد ٤ : ٣٦٦، وسنن الدارمي ٢ : ٤٣٦ باختصار، وسنن البيهقي ٢ : ١٤٨ و ٧ : ٣٠ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحطاوي في مشكل الآثار ٤ : ٣٦٨). وفي صحيح الترمذي ومسنند أحمد واللفظ للأول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (الترمذي ١٣ : ٢٠١، وأسد الغابة ٢ : ١٢ في ترجمة الإمام الحسن، الدر المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى). وفي

## تحقيقات

الحمد لله وسبحانك اللهم صل على محمد وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن أسرار كتابك، الذين تجلّت فيهم الأحديّة، بجميع أسمائك، حتى المستأثر منها الذي لم يعلمه غيرك واللعن على ظالمهم، أصل الشجرة الخبيثة، وبعد...

أرى مناسباً أن أذكر بنفحة قصيرة وقاصرة بخصوص الثقلين، لا من حيث المقامات الغيبية، والمراتب المعنوية والعرفانية، فبيان من هو مثلي عاجز عن التجرؤ على الحديث عن مقامات عرفانية أحاطت بكل دائرة الوجود من المُلْك إلى الملكوت الأعلى، ومنه إلى اللاهوت عرفاناً يصعب فهمه عليّ وعليك، ولا يمكن - إن لم أقلّ يستحيل - أن نطيقه، ولا من حيث ما أصاب البشرية لهجرها حقائق المرتبة العليا للثقل الأكبر، والثقل الكبير<sup>١</sup> وهو الأكبر من كل ما سواه، عدا الثقل الأكبر وهو الأكبر المطلق.

ولا من حيث ما أصاب الثقلين على يد أعداء الله والطغاة المَكْرَة، مما يصعب إحصاؤه على من هو مثلي لمحدودية الاطلاع والوقت، ولكني رأيت مناسباً أن أذكر بإشارة عابرة مقتضبة بما جرى على الثقلين. ولعل في عبارة «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» إشارة إلى أن كل ما أَلَمَ بأيّ من الثقلين بعد الوجود المقدّس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أصاب الثقل الآخر أيضاً، وأن هجر أيّ منهما هجر للآخر حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله. وهل أن هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة، واضمحلال القطرات بالبحر؟ أم أنه شيء آخر لا سبيل له إلى عقل البشر وعرفانهم.

وينبغي القول أن ما أصاب وديعتي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم الطواغيت ظلم للأمة الإسلامية، بل للبشرية جمعاء، يعجز القلم عن تبيانه. ولا بد من التذكير هنا بأن حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين، وقد روته كتب أهل السنة (الصحيح الستة) وغيرها عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بألفاظ متعددة في موارد متكررة، فوصل حد التواتر.

---

مستدرك الصحيحين: «كأنني قد دعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلصوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (مستدرك الصحيحين ٣: ١٠٩). وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في مسند أحمد وحلية الأولياء وغيرهما عن زيد بن ثابت. (مسند أحمد ٤: ٣٦٧ و ٣٧١ وفي ٥: ١٨١، وتاريخ بغداد للخطيب ٨: ٤٤٢، وحلية الأولياء ١: ٣٥٥ و ٩: ٦٤، وأسد الغابة ٣: ١٤٧ ومجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٦٣ و ١٦٤).  
(١) الثقل الأكبر هو القرآن الكريم، والثقل الكبير أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

فهذا الحديث حجة قاطعة على البشرية جمعاء، لا سيما المسلمين بمختلف مذاهبهم، فهم مسؤولون جميعاً عن ذلك بعد أن تمت الحجة عليهم. وإن كان هناك من عذر للعامة بسبب جهلهم وعدم اطلاعهم، فلا عذر لعلماء المذاهب الإسلامية. ولنر الآن ما جرى على القرآن... هذه الوديعة الإلهية، وتركه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم من المسائل المفجعة التي تستحق أن يُبكى عليها دماً، بدأت بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام فقد استغل عبّاد الأنا والطواغيت القرآن الكريم، واتخذوه وسيلة لتأسيس حكومات معادية للقرآن، وأبعدوا مفسري القرآن الحقيقيين والعارفين بالحقائق الحقّة، ممن تعلّموا القرآن كلّهم من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أبعدوهم بذرائع شتى، ومؤامرات معذرة، في وقت لم يزل فيه نداء «إني تارك فيكم الثقلين» مدوياً في أسماعهم، وعطّلوا القرآن الذي كان وما يزال الدستور الأعظم لحياة البشر وشؤونهم الماديّة المعنوية حتى يردوا الحوض، وأبطلوا حكومة العدل الإلهي، وهي أحد أهداف هذا الكتاب المقدّس، وأسسوا أسس الانحراف عن دين الله وكتابه والسنن الإلهية، فبلغ الأمر حدّاً يخجل القلم عن تبيينه.

وكلّما ارتفع البنيان على هذه الاسس المنحرفة ازداد الانحراف، فقد عطّلوا القرآن الكريم الى حدّ بدا وكأنه لا دور له في الهداية، وهو الكتاب الذي تنزل من مقام الأُحدية السامي الى مقام الكشف المحمدي التام... هدى للعالمين ومحوراً لجمع المسلمين كافة بل عموم العائلة البشرية، والسّموبها الى ما يجب أن تسمو إليه، وإنقاذها - وهي وليدة علم الاسماء - من شرور الشياطين والطفاة، وهو الكتاب الذي تنزل لبسط العدل والقسط في العالم، وتسليم الحكم الى أولياء الله المعصومين عليهم صلوات الاولين والآخرين ليفوضوها بدورهم لمن يضمن به صلاح الانسانية.

وبلغ الانحراف درجة أن الحكومات الجائرة والخبثاء من فقهاء البلاط - وهم أسوأ من الطغاة - اتخذوا من القرآن وسيلة للظلم وترويج الفساد وتسويغ أعمال الظلمة والمعادين لإرادة الحق تعالى. ووأسفاه إن القرآن وهو كتاب الهداية لم يعد له دور سوى في المقابر والمآتم، بسبب الأعداء المتآمرين والجهلة من الاصدقاء، كان الحال كذلك وما زال، فاصبح

## تحقيقات

الكتاب الذي ينبغي أن يكون محورياً لتوحيد المسلمين والعالمين ودستوراً لحياتهم، أصبح وسيلة للتفرقة وإثارة الخلاف، أو عطل دوره كلياً. وقد رأينا كيف يعتبر مرتكباً لكبرى الكبائر من ينادي بالحكومة الإسلامية ويتحدث بالسياسة، في حين ان سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والسنة مشحونة بالنصوص المعنية بدور الاسلام الكبير في الشؤون السياسية، واصبح وصف عالم الدين بالسياسي مرادفاً لوصفه بمن لا دين له، ومازال هذا الوصف موجوداً.

وأخيراً تقوم القوى الشيطانية الكبرى - بواسطة الحكومات المنحرفة الخارجة على تعاليم الاسلام والتي تدعى الاسلام زوراً- تقوم بطبع القرآن الكريم بخط جميل ويعث به الى الأطراف، وذلك لمحو القرآن الكريم ودعم المقاصد الشيطانية للقوى الكبرى. فهم بهذه الحيلة الشيطانية يُزيحون القرآن عن ساحة الحياة ...

نحن نفخر ويفخر شعبنا العزيز الملتزم للاسلام والقرآن بكل وجوده يفخر بأنه يتبع مذهباً يريد انقاذ القرآن بحقائقه - التي تدعو الى الوحدة بين المسلمين بل بين بنى البشر - من زوايا المقابر، ينقذه بصفته اعظم بيان لانقاذ البشر من جميع القيود المكبلة لرجليه وقلبه وعقله، والتي تجرّه الى الفناء والعدم والرقّ والعبودية للطواغيت!

ونحن نفخر بأننا أتباع مذهب كان رسول الله هو المؤسس له بأمر الله تعالى، ونرى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - هذا العبد المتحرّر من جميع القيود - كان مكلفاً بتحرير البشر من جميع الأغلال والعبوديات.

نحن نفخر بأن كتاب «نهج البلاغة»<sup>١</sup> والذي هو بعد القرآن الكريم اعظم دستور للحياة المادية والمعنوية، وأسمى كتاب لتحرير البشر وأوامره المعنوية والحكومية أوسع سبيل للنجاة، هو من امامنا المعصوم (علي) عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة، هو ما جمعه الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (توفي سنة ٤٠٤ هـ) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وشراحه في القديم والحديث يربون على الخمسين، أشهرهم من القدماء: أبو الحسن البيهقي، والامام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، وكمال الدين محمد ابن ميثم البحراني، وعزالدين بن أبي الحديد المدائني. ومن المتأخرين من الشراح: محمد عبده، ومحمد نائل الميرصفي، ومحمد جواد مغنیه.

نحن نفخر بأن الأئمة المعصومين<sup>١</sup> بدءاً بعلي بن أبي طالب وحتى منقذ البشرية المهدي صاحب الزمان عليهم آلاف التحية والسلام والذي هو حي ويراقد الأمور بقدرة الله القدير، هم أئمتنا. نحن نفخر بأن الأدعية، وهي القرآن الصاعد، وفيها الحياة، إنما هي من فيض أئمتنا المعصومين فعندنا مناجاة الأئمة الشعبانية<sup>٢</sup>. ودعاء الحسين بن علي عليه السلام في عرفات<sup>٣</sup>. وعندنا الصحيفة السجادية<sup>٤</sup>، زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والصحيفة الفاطمية<sup>٥</sup>، وهي الكتاب الذي ألهمه الله سبحانه وتعالى للزهراء المرضية عليها السلام.

(١) هم الأئمة الإثنا عشر، وعددهم منصوص في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد. روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (صحيح مسلم ٣: ٤)، وورد الحديث مع اختلاف طفيف في اللفظ في صحيح البخاري ٤: ١٦٥، وصحيح الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من أبواب الفتن، وسنن أبي داود ٣: ١٠٦، ومسنند الطيالسي، ح ٦٧٧ و١٢٧٨، ومسنند أحمد ٥: ٨٦، ٩٠، ٩٢، ١٠١، ١٠٦، ١٠٨، وكنز العمال ١٣: ٢٦-٢٧، وحلية الأولياء ٤: ٣٣٣).

(٢) المناجاة الشعبانية، هي المناجاة التي روى ابن خالويه أن أمير المؤمنين علياً والأئمة من أولاده كانوا يتلون في شهر شعبان وأولها: اللهم صل على محمد وآل محمد واسمع دعائي إذا دعوتك...

(٣) دعاء عرفة، هو الدعاء الذي رواه بشر وبشير ابنا غالب الأسدي عن الحسين بن علي عليه السلام. وروى أن الحسين وأهل بيته وقفوا إلى جانب الجبل مستقبليين الكعبة، ثم مد الحسين يده كمسكين يطلب طعاماً ثم تلا: «الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع...» إلى آخر الدعاء.

(٤) الصحيفة السجادية (الكاملة) في الأدعية تحتوي على واحد وستين دعاء من أدعية الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. كانت نسخة منها عند زيد الشهيد، ونسخة عند ولد صاحب الصحيفة الإمام الباقر، ووصلت بأسانيد متعددة لانتقال الرب.

وما لم يرد من أدعية السجاد في الصحيفة الكاملة جمعه الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملي في الصحيفة السجادية الثانية. واستدرك على الثانية الميرزا عبد الله الاصفهاني، فجمع الصحيفة السجادية الثالثة. وماخلت منه الكاملة وفات على جامعي الثانية والثالثة، جمعه الميرزا حسين النوري في الصحيفة السجادية الرابعة. وجمع العلامة السيد محسن الأمين العاملي الصحيفة السجادية الخامسة.

(٥) الصحيفة الفاطمية أو «مصحف فاطمة» هو ليس بمصحف قرآني، بل تضمن علوماً أخرى، قيل أنها كانت أمثالاً وحكماً، ومواعظ وعبراً، وأخباراً ونوادر (المراجعات، شرف الدين: ٣٢٧)، وقيل أنه «كتاب تحديث بأسرار العالم كما يعرف ذلك من عدة روايات في أصول الكافي... وفيها قول الصادق... «وما أزعج أن فيه قرآناً» (مقدمة تفسير آلاء الرحمن، الشيخ البلاغي، مطبوعة في مقدمة تفسير شبر: ١٨). وهذه الصحيفة أو المصحف لم يصل إلينا، والروايات تذكر أنه من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام، وأنه من المعارف الإلهية التي نزلت في بيت النبوة مما سوى القرآن الكريم.

## تحقيقات

نحن نفخر بأنّ منّا باقر العلوم<sup>١</sup> وهو أعظم شخصية تاريخية ما عرفها ولا يستطيع معرفتها إلاّ الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون.  
نحن نفخر بأنّ مذهبنا جعفري<sup>٢</sup>. ففَقَهْنَا هذا البحر المعطاء بلا حد هو من آثار جعفر الصادق عليه السلام.

نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله وملتزم باتباعهم.  
نحن نفخر بأنّ أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم قضوا أعمارهم سجنًا ونفيًا وتشريدًا في سبيل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف القرآن الكريم، وأحدها تأسيس الحكومة العادلة، واستشهدوا في جهادهم لإسقاط حكومات الجور والظلم في عهودهم.

---

(١) باقر العلوم، هو الإمام محمد بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه سلام الله (توفي سنة ١١٤ هـ) لُقّب بالباقر أو باقر العلوم، ويكنى أبا جعفر، أو أبا جعفر الأول، الإمام الخامس من أئمة أهل البيت، أتاحت له فرصة نشر علوم الإسلام، فأسس مدرسة أهل البيت في الأصول والفروع، وواصل هذه المهمة ابنه الصادق. وعن أبي نعم في الحلية أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدر ما يجيبه. فقال: اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك. وأشار إلى الباقر عليه السلام فسأله، فأجابه، فأخبر ابن عمر، فقال: إنهم أهل بيت مفهّمون.

(٢) نسبة إلى جعفر بن محمد (توفي سنة ١٤٨ هـ)، الإمام السادس من أئمة أهل البيت، كنيته أبو عبد الله، ولقبه الصادق، كان أشهر أهل زمانه علماً وفضلاً. قال مالك بن أنس إمام المذهب: «مارأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً. وكان كبير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد». وتخرج على يديه من الفقهاء والعلماء جمع غفير.

## المؤتمر العالمي لأهل البيت عليهم السلام

### «الفكرة والكيفية»

الشيخ محمد واعظ زاده

على أعتاب الذكرى السنوية الثانية لرحيل الإمام الخميني رضوان الله عليه عُقد المؤتمر العالمي لأهل البيت عليهم السلام في طهران بمشاركة ٢٥٠ شخصاً من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشخصياتهم من ٥٠ دولة تقريباً، إضافة إلى مشاركة علماء الحوزات العلمية، وأساتذة الجامعات، والمسؤولين الحكوميين داخل البلاد، ولقد اشتركت في أعماله وقّومت بدقة عمل اللجان المختلفة والكلمات المتنوعة. وبغض النظر عن الجو الحماسي والجانب الإعلامي، وطرح بعض المباحث العلمية، فإن المؤتمر العالمي لأهل البيت كان يمتاز بما يلي:-

١- إن فكرة «مؤتمر أهل البيت عليهم السلام» هي من إبداع السيد القائد الخامنئي دام ظله وهو الذي اختار له هذا العنوان. وقد أحسن الاختيار بذلك.

فإن «أهل البيت» كلمة معروفة، وعنوان مقدس عند جميع المسلمين فهم يُكثِّون احتراماً خاصاً في قلوبهم لأهل البيت: الكلمة التي لها وقع في قلوب الجميع.

وهذا سيساهم في جعل المؤتمر العالمي لأهل البيت قاعدة لكافة المسلمين الأطهار المحبين لأهل بيت النبوة. وكما ذكر المتحدثون مراراً خلال جلسات المؤتمر، فإن أهل البيت محور الوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين، وبهم يُلَمَّ شمل النظام الاسلامي، والنجاة في

## نفرير

التمسك بهم. والحديث القائل: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» متحقق بين عامة المسلمين على الأقل من حيث المودة والولاء، لا من حيث الطاعة والاتباع.

لقد كان أهل البيت عليهم السلام مفرغ الأمة والحكام ومرجعها في مختلف المشاكل السياسية والعلمية من الناحية التاريخية. وكانوا يتعاملون مع المسلمين دائماً كالأب الرحيم، وفي العصر الحاضر فإن على علماء مدرسة أهل البيت وقادتها أيضاً أن يتعاملوا مع المسلمين منطلقين من نفس رؤية أهل البيت، ويعتبروا أنفسهم مرشدين ناصحين، وآباء شفيقين لعامة المسلمين، ولا يكثرثوا بالاختلافات المذهبية.

لعل الوقع الشعبي لأهل البيت بين المسلمين وولاءهم لآل البيت، هو نتيجة لسماحتهم عليهم السلام وصفحهم وكرمهم ومشاعرهم الودية تجاه الأجيال المعاصرة لهم من المسلمين، حيث ورث خلفهم هذا الود من أمجادهم الماضين. مضافاً إلى ذلك فإن منزلة أهل البيت في روايات فضائلهم في كتب المذاهب الإسلامية الأخرى على درجة عالية من الروعة والبهاء بحيث لا يتسنى لأي مطلع ولملم بالروايات أن ينكرها. ومن الطبيعي فإن انتفاضات أهل البيت عليهم السلام وصمودهم أمام حكام الظلم والجور على مر التاريخ الإسلامي له علاقة بهذا الود والتعلق الذي يكنه المسلمون لآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أجل فإن جميع المسلمين تقريباً يودون أهل البيت لأسباب مختلفة. إذن، أليس من الأفضل أن يحل عنوان «أهل البيت» في هذا المؤتمر محلّ العناوين الأخرى التي قد لا تكون لها مثل هذه الدلالة والآثار؟

٢ - وميزة مهمة أخرى لهذا المؤتمر، هي اقترانه بتأسيس «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية» وذلك من خلال نظرة واقعية وضّاء خاصة، حيث تأسس مجمعان دائمان، أولهما: دار التقريب «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وثانيهما: «المجمع العالمي لأهل البيت» وهذا يعني أن أتباع أهل البيت لا يستطيعون تنظيم كياناتهم إلا في داخل المجتمع الإسلامي مع الأخذ بنظر الاعتبار لمصالح العالم الإسلامي، وبالتنسيق مع سائر المذاهب الإسلامية وموازرتها. ليتضح جلياً أن مجمع أهل البيت ليس تنظيمياً مستقلاً في مقابل المذاهب الإسلامية بل هو مؤسسة في سبيل الإسلام، ويتوخى خدمة كافة المسلمين. وذلك

أيضاً من ابداع حضرة السيد القائد الخامنئي دام ظله.

٣- إن إحدى خصائص هذا المؤتمر العظيم، هي أنه قد سبقه تشكيل مجمع استشاري صغير ضم علماء الحوزات ومدرسيها، وعلماء وفقهاء آخرين ممن يشكلون مصدراً من مصادر العمل بنحو من الأنحاء. نوقشت في ذلك المجمع الخطوط العامة للمؤتمر العالمي لأهل البيت كماً وكيفاً من جميع الجهات. كما تبادل العلماء الآراء. وفي الختام جمعت هذه الآراء من قبل أمين المؤتمر وتمت قراءتها. تلا ذلك بإسبوع انعقاد المؤتمر الأصلي بمشاركة أغلب علماء أتباع أهل البيت في العالم. وإقامة جلسات عامة وخاصة طيلة أربعة أيام.

لذلك فإن هذا المؤتمر تميّز بالانضباط والتخطيط، والمتابعة للأهداف وكما نعلم فإن هذا المؤتمر قد عقد في آخر السنة العاشرة للثورة على نحو الدقة، لذلك حمل معه إلى حد كبير ذكريات العقد الأول للثورة بمرارتها وحلاوتها، كما رافقته تجارب كثيرة.

٤- ومن الخصائص المبدئية الأخرى لهذا المؤتمر تلاحمه الوثيق مع مبادئ الجمهورية الاسلامية وأسسها، ومع مدرسة أنجبت هذا النظام على صعيد العالم المترامي الأطراف أعني بذلك مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكما ذكر بعض المتحدثين في هذا المؤتمر، فقد كان ديناً تشعر الجمهورية الاسلامية من خلاله أنها مدينة به إلى الولاية والإمامة، إلى مدرسة الدم والشهادة، إلى مدرسة الجهاد والنضال والكفاح، وهي بصدد وفاء ذلك الذين من خلال هذا المؤتمر....

ومن الطبيعي فإن جميع ممارسات الجمهورية الاسلامية ونشاطاتها وبرامجها تجري على أساس الاسلام الأصيل، وخط أهل البيت ماضياً وحاضراً، ولابد أن تكون كذلك، ولكن الذي كان لا يقال، ولا يعقد له مؤتمر، هو كشف هذه الحقيقة، وهي: أن كل ما عندنا فهو من أهل البيت عليهم السلام.

إن مدرسة أهل البيت مبدئياً، هي مدرسة الجهاد والكفاح ضد الظلم والفساد والانحراف وهي مدرسة التضحية، والإيثار، والدم، والشهادة، وهذه كلها عناصر أصلية لهذه الثورة.

إن ولاية الفقيه مبدأ يختص به مذهب الإمامية الاثني عشرية من بين المذاهب الاسلامية وليس للفقيه تلك المنزلة في المذاهب المذكورة. وهناك فصل بين منصب الفقهة «القيادة الروحية» ومنصب الخلافة والرئاسة «القيادة السياسية» عند المذاهب الاخرى فالملوك

## نفرير

والرؤساء يعتبرون الحكم حقهم القانوني، ويرون أن الفقهاء يجب ان يكونوا آلة طيعة في أيديهم. فليس لهؤلاء إلا بعض المهام الخاصة، كالإفتاء، وبيان الأحكام، والوعظ والإرشاد، والقضاء، وإقامة الجماعة، وهذا كله يتم بإشراف الحكام طبعاً. واعتاد الناس على هذا الوضع، في حين أن الحكومة الإسلامية -من حيث الأصل- هي ولاية النبي والإمام التي تنتهي إلى الفقيه بالنيابة عن المعصوم. لأن الملوك وأمثالهم ليس لهم أية مجانسة مع النبي والإمام المعصوم علماً وعملاً. ولحد الآن فإن كل من حكم المسلمين من هؤلاء الحكام سواء باسم الخلافة أو إمارة المؤمنين أو الملكية والإمارة والوزارة والمشيخة، ووكالة الرعايا، وأي عنوان آخر، فقد كان على خلاف ما قرره الاسلام «من وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام إلا ما يستثنى». إن السياسة في صميم الاسلام، وليست على هامشه. وإذا كان كذلك فلا بد أن يكون الحاكم الاسلامي عالماً وفقيحاً وورعاً، بعيداً عن الهوى وحب الدنيا والمال، متحلياً بالزهد حتى يتسنى له أن يخلف النبي والإمام في منصبيهما. وهذا بحث مهم قابل للتفصيل.

وفي ضوء ذلك فإن كل ما عندنا فهو من الإمامة، وكما قال الإمام الخميني رحمه الله ان كل ما عندنا هو من أهل البيت، ومن الإمام الحسين عليهم السلام، ومن محرم، و....

حسناً، فلو كان الأمر كذلك، ألا يجدر بنا -إذن- أن نقيم مؤتمراً لهذا العمود الوطيد والركن الأصلي للثورة، الذي لولاه لما كانت الثورة بهذه الكيفية؟ ألا يحسن بنا أن نشيد بمنزلة الإمامة وأهل البيت؟ لم لا؟

والرائع هنا هو أن المؤتمر لم يكتف بتعظيم أهل البيت، والإشادة بهم، وذكر فضائلهم، بل كان هذا العمل ضمنياً وضرورياً، فالهدف الأصلي هو تدارس أوضاع المسلمين كما أمر أهل البيت عليهم السلام على الصعيد العالمي، وتنظيم أمورهم وشؤونهم.

هذا عمل لم يتحقق عند أتباع أهل البيت بعد، ولا يمكن أن يكون دون تركيز القدرة الروحية والسياسية في مكان واحد. لذلك كانوا ولا زالوا مهجورين مظلومين. ولم يظهر دورهم القيادي كما ينبغي -.

٥ - ان المشاركين في هذا المؤتمر العظيم هم من الذين كانت ممارساتهم وأعمالهم وتجاهاتهم العلمية في إطار خط أهل البيت عليهم السلام .

وفي هذا المؤتمر تم الكشف عن هذه الحقيقة، وهي ان الآلاف من الجامعيين، وأهل



المطالعة من المسلمين في الدول المختلفة قد اتبعوا مدرسة أهل البيت أو تعاطفوا معها. ولقد عكفت عشرات المراكز التحقيقية في جامعات العالم على دراسة مدرسة أهل البيت لتقف على القوة المعنوية الكامنة فيها، التي استطاعت أن تؤسس حكومة في هذا العصر المادي المظلم، وتنفذ قوانين الإسلام.

كان هذا الموضوع إحدى الحقائق التي تعرض لها قائد الثورة الإسلامية، ورئيس الجمهورية وكثير من المتحدثين. وهذا هو ما قلته من أن المؤتمر وقى بعض ما عليه من دين لأهل البيت عليهم السلام.

٦ - كانت لكل من الضيوف القادمين من خارج الجمهورية الإسلامية في إيران شخصية مؤثرة في بلدانهم التي يعيشون فيها كما كانت لهم مرجعية دينية وعلمية بين شعوبهم. ولذلك فهم أهل للإدلاء بأرائهم، واتخاذ القرارات المناسبة. وكذلك فهم يتمتعون بقدرة ومنزلة مناسبة وإمكانات مؤهلة لتنفيذ قرارات المجمع. مما يضاعف من الأمل بجديّة قرارات المجمع في المستقبل، ويقوي الاطمئنان بنتائجها.

٧ - كان المدعوون على جانب عالٍ من الشعور بالمسؤولية وبالفاعلية والحيوية والمشاركة الإيجابية في مختلف أعمال المؤتمر.

٨ - كان معظم المشاركين في هذا المؤتمر أصحاب محنة، ويعيشون مشاكل أمتهم عن كثب.

٩ - تميّز هذا المؤتمر بإتاحة أكبر مقدار ممكن من الوقت للجان المنبثقة عن المؤتمر. ووجد المشاركون ولا سيّما الضيوف القادمون من الخارج الفرصة ثمينة لتجاذب أطراف الحديث، وبتّ الشكوى، والإفصاح عن حاجاتهم، وتبيان الظروف التي يعيشها المسلمون في أقطار العالم، ونستطيع من خلال المعلومات المتوافرة عن هذا الطريق أن نرسم صورة صادقة حقيقية لأوضاع أتباع أهل البيت عليهم السلام في العالم. وهذه المعلومات لم يتيسر كسبها عن طريق آخر. وهي صحيحة وخالية من المبالغة، ويمكن أن تكون أساساً لقرارات المجمع وإصلاحاته في المستقبل.

١٠ - دارت في أرجاء المؤتمر وضمن لجانه نقاشات خصبة وصريحة وقُدّمت تحليلات ودراسات مفيدة في كل ما يتعلق بشؤون وشجون المسلمين في شتى أنحاء العالم.

# الوحدة الاسلامية

## في

رسالة الثقلين الخ

السيد محمد حسين فضل الله

### تمهيد:

للوحدة الاسلامية معنى في الفكر والعقيدة، ومظهر للحركة والحياة. أما معناها في الفكر: فيتمثل في القاعدة الفكرية التي يلتقي عليها المسلمون في تصوّرهم للمفردات المشتركة للعقيدة: كالتوحيد والنبوة والمعاد وما أنزل الله من القرآن، وللعناصر المتحركة في الشريعة فيما ألزم الله به عباده من الخط المستقيم الذي يتحركون فيه أو يقفون عليه، وللمفاهيم العامة التي يخترنها وعيهم لله وللإنسان وللحياة.

وتبقى التفاصيل في العقيدة والخصوصيات في الشريعة والخطوط التفصيلية للمفاهيم، مما يختلف فيه المسلمون على أساس فكر فلسفي، أو اجتهاد فقهي أو فهم قرآني وما إلى ذلك، فتنتقل فيها حيوية الخلاف في مواطن الوفاق وحركة الحوار في الطريق إلى اللقاء.

وأما مظهرها في الحركة والحياة فيتمثل في طريقة الخطاب الاسلامي الذي يطلقه المسلمون في حديثهم مع الآخرين أو في خطاب بعضهم بعضاً، وفي احترام الانتماء الاسلامي في الكلمة والفعل والعلاقة، وحماية المسلمين لحياة بعضهم ولأموالهم ولأعراضهم، من خلال معنى الاسلام في وجودهم الفاعل في الحياة - وفي خط الاهداف الكبيرة التي تلتقي فيها كل قضاياهم الحيوية المصيرية - وفي الالتزام بوحدة الموقع والطريق والمصير، فيما

يمثله معنى الامة التي ترتبط برباط العقيدة من خلال ذلك كله.

ويبقى للخصوصيات في مفردات الحركة ومواقع الحياة دورها في مسألة التنوع فيما هي الخطوط، وفيما هي الزوايا المتنوعة في الاتجاهات على قاعدة التنوع في دائرة الوحدة. وهذه هي القاعدة الانسانية لكل قضايا الانسان في الحياة فيما يتفقون عليه أو يختلفون فيه، فليست هناك وحدة مطلقة على مستوى المبدأ والتفاصيل بالمعنى الفلسفي الدقيق الذي يلاحق الدقة في الامور، لأنه ما من قاعدة عامة إلا وهناك استثناءات في داخلها أو في خارجها، وما من فكر عام إلا وهناك اختلاف في خصوصياته، مما يجعل للمسألة بعداً (تجزئياً) لا مجال فيه للوحدة في الكلّ عند ما نواجه الاشياء الصغيرة هنا وهناك، الأمر الذي يعني بأنّ الكون كله عبارة عن مفردات متناثرة لا تلتقي في ساحة واحدة، لأن التفاصيل في حساسيات الخلاف يحولها إلى عدة ساحات، عندما تنتصب الحواجز الصغيرة لتتحول إلى فواصل تفصل بين هذا الموقع أو ذاك.

وهذا هو الذي يعيشه الكثيرون من الناس الذين يضعون الفواصل الدقيقة في القضايا العامة، ليجعلوا العقيدة الواحدة أكثر من عقيدة وليحولوا الموقف الواحد إلى أكثر من موقف، فلا يرون هناك أساساً للوحدة بين الناس إلا إذا اتحدوا في كلّ شيء حتى في أدق التفاصيل. وفي ضوء ذلك حاول البعض أن يقسموا الاسلام إلى عدة إسلامات لا يرتبط بعضها ببعض! أو أن يجعل الاختلاف في المذهب الكلامي أو الفقهي مسألة تتصل بالاسلام والكفر، لأن المذاهب لا يمكن أن تكون بأجماعها على حقّ في خلافاتها، لأن الحق لا يتعدد، ولذلك كان بعضها لا بد أن يكون على خطأ مما يوحي بأن الالتزام به يمثل نوعاً من الكفر بالحقّ في هذه الدائرة، فإذا اعتبرنا الجزئيات الشرعية أو الفكرية في الخطوط التفصيلية للعقيدة والشرعة أساساً للايمان بحيث كان الشمول هو الاطار الذي يتحرك فيه، كان الاختلاف في هذه الامور بمثابة الايمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر، مما يعني بأن لدى كلّ مذهب إسلامي شيئاً من الكفر التفصيلي فيما يخطئ فيه المفكرون أو المرشدون مما يعذرون فيه أو لا يعذرون.

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نؤكد مسألة الاسلام في الخطوط العامة للعقيدة فيما رسمه القرآن من ذلك مما يجعل من اللقاء على هذه الخطوط معنى في الاسلام، وخطأ للوحدة.

وهذا هو الذي جعلنا نجد المسلمين في المهود الاولى التي اختلفوا فيها على الخلافة وعلى بعض المفاهيم والتشريعات لا يرون في خلافاتهم أساساً لتكفير بعضهم بعضاً، أو بمقاطعة بعضهم لبعض بل كانوا يرون في الاختلاف حالة من حالات الغموض في بعض القضايا، أو جهل في بعض الوقائع، أو الانحراف الذاتي في بعض الامور مما قد يقع محلاً للتخطئة، أو للجدال أو للتجاذب العملي الذي قد يشير بعض المشاعر والاحاسيس، وقد يعقد بعض المواقف.

واذا كانت الحروب قد وقعت فيما بينهم، أو كان العنف قد سيطر على بعض أوضاعهم فلم يكن ذلك من خلال طبيعة الخلاف الفكري بالمعنى الدقيق للكلمة، أو من جهة أجواء التفكير التي تتحرك في أفكارهم ومشاعرهم، بل كان ذلك نتيجة اختلاف في حركة الحكم وفي موقعه للخلل في التقويم أو في حركة الوعي والممارسة.

### الإمام علي عليه السلام والوحدة الاسلامية :

وربما نجد في كلمات للإمام علي امير المؤمنين عليه السلام الخط العريض لحركة الوحدة الاسلامية أمام الخلافات الصعبة التي كانت تمثل اختلافات المسلمين في تلك المرحلة الصعبة من حياة المسلمين، فقد كانت تمثل الخلافة الاساس في تلك الخلافات باعتبارها أول مشكلة حقيقية واجهت المسلمين بكل قوة، وعقدت الواقع الاسلامي بأكثر من عقدة، لانها تتصل بالعمق الفكري والتشريعي لمسألة القيادة في الاسلام، بحيث يمثل الانحراف بها عن خطها المستقيم انحرافاً عن معنى الصفاء في الاسلام، باعتبار أن الامامة شيء يتصل بالجانب العقيدي في امتداد المسؤولية فيما بعد النبوة إلى جانب الالتزام العملي في الاسلام في نظر فريق من المسلمين، بينما كانت في نظر فريق آخر من المسلمين مجرد حالة في الحكم تمتد معها المسيرة الاسلامية في موقع المسلمين بحيث تتصل بجانب حركة التطبيق بعيداً عن مسألة الخط الفكري، فضلاً عن معنى القداسة، ولذلك فلم تحتج القضية لديهم إلى كثير من الجدل بل لم تقترب من الجدل الفكري تماماً كما هي القضية عند ما يذهب رئيس القوم ليجتمع القوم على رئيس آخر من بعده.

وكان الإمام علي عليه السلام قطب الرchy في هذه المسألة المهمة الشائكة لأنه هو الخليفة

المؤهل لقيادة المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال وصية النبي اليه فيما أراد الله لرسوله أن يبلغ ما أنزل اليه من ربه... وكانت القضية أن أبعد الإمام عن موقعه في الخلافة، وتقدمه الآخرون في مدى خمس وعشرين سنة.. وكانت التجربة الصعبة التي عاشها الإمام عليه السلام في تلك المرحلة فكيف كان موقفه؟.. هل ابتعد عن الساحة ليقف موقفاً سلبياً من هؤلاء الذين تقدموه، وليكون دوره تسجيل النقاط السلبية في تجربتهم في الخلافة، أو تعقيد حركة الواقع الاسلامي لمصلحة موقعه وموقفه من القضية، أو التخطيط لاسقاط الحكم بطريقة العنف من خلال اثاره المشاكل في الساحة الاسلامية؟! لان المسألة تقف بين خطين: خط الحق وخط الباطل، فلا بد أن يقف في مواجهة الباطل لمصلحة الحق مهما كانت النتائج، كما يفكر بعض الناس الذين يصطدمون بهذه التجربة في حياتهم، أو في حياة الآخرين الذين يؤيدونهم، في الحاضر أو في الماضي فيما تختزنه حركة التاريخ، فيما يختلف فيه الناس في طبيعة مواقع القيادة في هذا الجانب أو ذاك فلا مجال عندهم لايّ تجميد للخلاف، لانهم يرون في ذلك خيانة للحقيقة التي قد تحمل بعض القداسة في مضمونها الداخلي.

أو أن الموقف كان يأخذ شكلاً آخر فيما هو الأسلوب الواقعي العملي الحكيم الذي يؤكد التوازن في إعطاء الحقيقة حقها من الوضوح في حسابات الصراع بين هذا الموقف أو ذاك، وفي إعطاء السلامة العامة للواقع الاسلامي في ساحة التحديات الداخلية أو الخارجية حقها من القوة والثبات، لأن القضية هي قضية «التزاحم بين الأهم والمهم» في دائرة المصالح العامة للإسلام والمسلمين في حركة الحياة من حولهم، مما يفرض على المسؤولين الرساليين تقديم بعض التنازلات العملية في الموقف، حيث تدور المسألة بين سقوط الرسالة في قبضة الاعداء أو في تأثيرات الفوضى الداخلية، وبين الابتعاد بها عن بعض خطوطها التفصيلية في دائرة التطبيق، مع التأكيد على طبيعة الموقف الحق في المسألة.

ان الدراسة الدقيقة للتجربة الاسلامية الرائدة التي خاضها الإمام علي عليه السلام تؤكد لنا أنه اختار الموقف الايجابي العملي الذي يلتزم المصلحة العليا للرسالة الاسلامية في ساحة الصراع، لأن المسألة عنده كانت مسألة الاسلام في وجوده وامتداده وقوته، ومواجهته للتحديات الجديدة التي تفرضها الاخطار القادمة إلى الواقع الاسلامي من الخارج أو المتحركة في الداخل، من خلال شعور القوى المعادية أو المضادة بأن غياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

وآله وسلم عن الساحة قد اوجد ضعفاً كبيراً من خلال ما يمثله الحضور النبوي من القوة الروحية التي تحمي المسلمين من السقوط، فلم يستغرق الامام عليه السلام في مسألة الخلافة، من موقع العقدة الذاتية فيما يمثله من طموح شخصي للذات كما قد يفكر به الآخرون، كما أنه لم يتوقف طويلاً أمام المقولة الفكرية والعملية التي تؤكد علاقة الشخصية القيادية في خصائصها أو في صفتها الشرعية بالسلامة العامة للخط الاسلامي المستقيم، مما يجعل من المطالبة بالموقع القيادي لصاحب الحق، قضية تتجاوز الشخص الى الرسالة بحيث يكون التساهل فيها تهاوناً في أمر الرسالة، لان الحركة الاسلامية لا تستقيم في مضمونها أو في خطها إلا من خلال القيادة الشرعية، حتى أن الخطر القادم من خلال غياب الاسلام نفسه عن الساحة، للارتباط العضوي بين الاسلام في حركته وبين القيادة في موقعها وحركتها.

لقد كان للامام رأى آخر، وهو أن مصلحة وجود الاسلام وقوته تملو على كل مصلحة أخرى، وأن غياب القيادة الشرعية في مرحلة قد يفسح المجال لحضورها في مرحلة أخرى في نطاق شخص القائد أو في نطاق قائد شرعي آخر، ما دام الاسلام باقياً كفكر في الوعي، وكحركة للواقع وكتنام، مما يجعل للقيادة - بعد ذلك - أو للمسلمين بشكل عام، امكانات التصحيح والتغيير لما قد يطرأ من انحراف أو فساد.

بينما يكون غياب الاسلام نفسه عن الساحة، أو ضعفه، أو نقص مواقفه كارثة كبيرة على مستوى قضية القيادة والواقع كله، لان القيادة لا تمتلك عنواناً للحركة آنذاك، ولا قاعدة للانطلاق، بل لا تحمل أي معنى في هذه الاجواء، وذلك في غياب الامكانات العملية لوصول القيادة إلى موقعها الطبيعي مع المحافظة على الاسلام في وجوده القوي. وفي ضوء ذلك، فاننا نستوحي من موقف الإمام على عليه السلام القاعدة الثابتة للوحدة الاسلامية في تجربة القيادة والقاعدة الشعبية للأمة معاً، وهذا ما يقتضينا التأمل في حديث الإمام علي عليه السلام عن تجربته العملية في هذا الموضوع الذي يتصل في حالته الشخصية الخاصة، قال - كما في نهج البلاغة - في كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الاشر، لما ولأه إمارتها:

«أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ومهيماً على المسلمين، فلما مضى - عليه السلام - تنازع المسلمون الامر من بعده. فوالله ما كان يلقي في

روعي<sup>١</sup> ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الامر من بعده عن أهل بيته لا أنهم مَنَحَوْتُهُ عَنِّي من بعده، فما راعني إلا انشغال الناس على فلان -ويقصد أبا بكر- يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن أنا لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب، أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهت<sup>٢</sup>.

إن الإمام يصوّر الموقف في البداية على أساس اتخاذ الجانب السلبي كأساس للمرحلة، ليؤكد رفضه للواقع الذي لا يعتد فيه الشرعية ولا يرى فيه الخيار الأفضل للمصلحة الاسلامية العليا فيما تحتاجه من مستوى القيادة في شخصية القائد، ووعي الرسالة في حركة الرسالي، ليشير هذا الموقف تساؤل الناس فيدور حوله الجدل، فتتضح القضية لكل الذين لا يملكون الوضوح فيها، فيؤدي ذلك إلى تغيير القناعات التي قد تتحول إلى تغيير في الموقف في اتجاه الحركة نحو تغيير الواقع، وذلك من خلال ما يراه من المستوى الكبير بالكفاءة في امكاناته القيادية، ومن حقه الشرعي في الموازين الشرعية في هذا الموضوع .

وهكذا اعتزل الواقع كله وتصرف بطريقة سلبية مع الخليفة الجديد انطلاقاً من مصلحة الاسلام في توضيح الصورة الحقيقية للمسألة المطروحة في موضوع الخلافة، ولكن حدث التطور البارز الذي فرضته الاحداث وهو موضوع الردة عن الاسلام ومحاولة الانقضاء على الاسلام من الداخل للقضاء عليه، بالاضافة إلى الاخطار المحدقة به من الخارج الأمر الذي غير المرحلة من الاساس فتغير -من خلالها- الموقف، لأن الاتجاه السلبي في الموقف كان لمصلحة الاسلام ولكنه تحول الآن -بفعل التطور الجديد- إلى الجانب المضاد للمصلحة الاسلامية، لان الاسلام أصبح بحاجة إلى القوة الكاملة المنطلقة من اجتماع الطاقات الاسلامية الفاعلة على مستوى الفكر والحركة، في إعطاء الرأي وتحريك الجهد وتدير الأمور وحماية الموقع وما إلى ذلك، مما يكون فيه للموقع المميّز القيادي الذي يمثله الامام عليه السلام

(١) الروع - يضم الراء - القلب أو موضع الروع منه - بفتح الراء - أي الفرع.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١٢٣ / ٢.

في مستواه الروحي والفكري والعملية، الدور الكبير في كل هذه الامور. وهكذا كانت خشيته أن يساهم الموقف السلبي في إعطاء الحرية لأعداء الاسلام ليقوموا بعملية الهدم أو الخرق أو التمزيق للاسلام والمسلمين، بالمستوى الذي يتحول فيه الواقع في حركة الشعور الداخلي إلى مصيبة في العمق، وكارثة في الصميم بالمستوى الذي لا تمثل فيه الولاية لامور المسلمين - التي هي من الناحية الشخصية متاع أيام قلائل يزول منها مازال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب - أما من الناحية العامة فانها تمثل موقع المسؤولية المتحركة في حماية الاسلام والمسلمين ورفع مستواها وتفجير الطاقات في كل ساحاتها، واذا كان الوصول إلى الموقع الاعلى الفعلي للمسؤولية غير عملي في صعيد الواقع فان ذلك لا يمنع من ممارسة المسؤولية الواقعية في المجال العملي مع كل الذين يتحركون في خط القوة الاسلامي على مستوى الرأي والممارسة، لان الذين يتحسسون الواجب في حياتهم في أي موقع، يشعرون بأن عليهم التحرك في أكثر من مجال لحماية المواقع الاساسية في القضايا المصرية.

وهذا هو ما فعله الإمام علي عليه السلام عند ما نهض بمسؤوليته وابتعد عن الموقف السلبي فتحول إلى الموقف الايجابي وتحذئ الواقع المضاد والقوى المضادة المتحركة في ساحته حتى زاح الباطل واطمان الدين. وعند ما ندرس التفاصيل فانا نجد أن الإمام علي عليه السلام كان يعنى بحل المشاكل الفكرية والمسائل المعقدة على الصعيد الفقهي وغيره فيما كانت تتعرض له الخلافة من ذلك كله، كما كان يعطي الرأي في قضايا الحرب بالطريقة التي يحاول فيها المحافظة على حياة الخليفة الذي يقود الساحة في ذلك الوقت، بعيداً عن كل الحساسيات الذاتية والمشاعر الرافضة. فمن ذلك أن عمر بن الخطاب قد استشاره في الخروج إلى غزو الروم فقال له :

«.. وقد توكل الله لأهل هذا الدين بأعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم، وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت. إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كائفة<sup>١</sup> دون أقصى بلادهم ليس بعدك

(١) كائفة : عاصمة يلجأون إليها، من كففه اذا صانه وستره.



مرجع يرجعون اليه، فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذلك ما نحب، وإن تكن الأخرى كنت ردها للناس ومثابة للمسلمين.<sup>١</sup>

ومن ذلك، أن عمر بن الخطاب قد استشارة في الشخوص لقتال الفرس بنفسه فقال له: إن هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعدّه وأمدّه حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده. ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيه أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً واستدر الرحن بالعرب، وأضلهم دونك نار الحرب، فأنك إن شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم اليك مما بين يديك. إن الاعاجم إن ينظروا اليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فاذا إقتطعتموه استرحتم! فيكون ذلك أشدّ لكلّهم عليك وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنّا نقاتل بالنصر والمعونة.<sup>٢</sup>

إننا نلاحظ في هاتين الكلمتين حركة عملية في خط الوحدة الاسلامية في حركتها الواقعية، لأنّ من المعروف في الساحات السياسية المتميزة بالصراع الحاد بين الشخصيات الفاعلة في المستوى القيادي، هو التحرك المضاد لكل فريق في مواجهة الفريق الآخر في مصالحه وتحركاته وربما أدت المسألة إلى تشجيعه أو تشجيع الظروف المحيطة به على الخطوات التي تهدد حياته، أو إلى الوقوف موقف اللامبالاة إزاء الاخطار المحدقة به، باعتبار أن ذلك قد يؤدي - بحسب النتائج - إلى إبعاده عن الطريق كوسيلة من وسائل جلوسه مكانه، لاسيما إذا لم يكن الصراع في المركز القيادي منطلقاً من طموح ذاتي، بل كان ناشئاً من الاقتناع بعدم شرعية الفريق المسيطر الحاكم، وانحصار الشرعية بالمعنى الاسلامي الدقيق

(١) نهج البلاغة محمد عبده: ١ / ٢٧١.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١ / ٢٨٢.

بالفريق المعارض الموجود خارج الحكم، فإن المسألة قد تدخل في وعيه الشرعي في دائرة التكليف الملزم بالمواجهة في صعيد التحدي، ليعود الحق إلى نصابه، من حيث هو حق لصاحب الشرعية من جهة وللمسلمين من جهة أخرى.

ولكن الإمام علياً عليه السلام كان يفكر بطريقة أخرى، فهو لا ينظر إلى القضية من حيث الاستغراق في الجانب المغلق من القضية، بل كان يفكر بها من خلال النظرة الواقعية للأشياء، فقد لا تكون الظروف في تلك المرحلة ملائمة للتغيير، وقد يكون سقوط الخصم السياسي تحت تأثير الضغط العسكري من قبل الروم أو الفرس - اللذين هما في الموقف المعادي المحارب للإسلام - يؤدي إلى سقوط الموقع الإسلامي كله، بحيث يترك ذلك تأثيراً سلبياً على مستوى الهزيمة الساحقة للإسلام بذاته، لأن الشخص الذي يتولى القيادة لا يمثل الخصوصية الذاتية التي يتميز بها شخصه، بل يمثل الموقع الإسلامي القيادي الذي يتميز به مركزه، مما يفرض على القياديين في الصفوف المعارضة أن يرتفعوا فوق خصوصياتهم الذاتية والشرعية من أجل حفظ هذا الموقع بالحفاظ على الشخص الذي يتولاه، في غياب أية إمكانية لابتعاده عن الساحة في الظروف الطبيعية، الأمر الذي يجعل المعادلة المطروحة في هذه المرحلة هي إما أن يسقط الموقع الإسلامي فيما هي القوة الإسلامية من خلال سقوط هذا الشخص، وإما أن يحفظ هذا الشخص من أجل حفظ الموقع الإسلامي بالذات. وهذا هو ما اختاره الإمام علي عليه السلام الذي يجد نفسه مسؤولاً عن سلامة الإسلام والمسلمين خارج نطاق الحكم بنفس المستوى الذي يعيش فيه المسؤولية في داخل الحكم الإسلامي بقيادته، لأن المسألة القيادية متصلة بالولاية لا بالجانب الفعلي الحركي لها، ولهذا رأينا الإمام عليه السلام يدخل في مناقشة متحركة حول كل القضايا التي كانت تدفع الخليفة إلى تهيئة الأمور بالطريقة التي كانت ستؤدي إلى الهزيمة من خلال بعض مستشاريه، بحيث استخدم الإمام عليه السلام في الكلمة الثانية العنصر الروحي في تهيئة الأجواء للانطلاق بالمعركة بعيداً عن الاتجاه المرسوم لها في ذهن الخليفة، وذلك بحديث الإمام عليه السلام «بأن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وإننا كنا نقاتل بالنصر والمعونة لا بالكثرة».

وهذا هو المنهج الإسلامي العملي الذي لا تتحرك فيه الخصومة من موقع عقدة بل تتحرك من موقع المصلحة الإسلامية العليا، ولذلك فإن الخطط والأساليب تتحرك على أساس دراسة

المصلحة الاسلامية في الآفاق الواسعة التي تلاحق كل المعطيات السلبية أو الايجابية في كل المواقع والمجالات، بعيداً عن كل الخصوصيات الذاتية المنفلقة على موقع صغير هنا، أو حالة خاصة هناك. ومن خلال ذلك، نستطيع أن نضع القاعدة العامة للعمل الاسلامي في ساحة الصراع الفكري والسياسي والاعلامي، وهي: الانفتاح على الواقع الاسلامي بالانفتاح على الخصم السياسي اذا كان في موقع المسؤولية العامة بالمستوى الذي ينعكس فيه ضعفه على مستوى القوة الاسلامية للاسلام والمسلمين، ولا يقتصر الامر على هذا الجانب، بل يمتد إلى كل المواقف الاعلامية والثقافية والاجتماعية، عند ما تتحرك القوى المضادة للاستفادة من الخصومات الحادة بوسائلها المتنوعة في إضعاف الموقع الاسلامي السياسي والاقتصادي، الامر الذي يفرض علينا تجميد كثير من الوسائل المثيرة، بل إلى تقديم المبادرات التي تنفتح على مواقع الوحدة الاسلامية، باعتبارها من المواقع الحيوية للقوة الاسلامية.

وقد نجد في بعض كلمات الإمام عليه السلام أنه يؤكد على الابتعاد عن الاساليب الحادة، التي قد تفرضها المشاعر المتوترة في حالات الصراع المذهبي والسياسي، لتكون تنفيساً عن العقدة المكبوتة في النفس، وتفجيراً للغيظ الكامن في الذات، ومنها أساليب السباب التي قد تقرب منها أساليب اللعن فيما تختزنه الذهنية الشعبية العامة باعتبارها لوناً آخر من ألوان السباب، مع ملاحظة أنها ليست منه في المصطلح.

فقد نلاحظ أن الإمام ينهى الناس عن السباب لأنه لا يعتبره من الصفات الطيبة التي توحى بالمحبة والاحترام، كما أنه لا يرى فيه اسلوباً منتجاً في ساحة الصراع، لأنه لن يؤدي إلى الغلبة فيما يراد للموقف أن ينتهي إلى النصر، بل يؤدي إلى نوع من الإثارة الحادة التي تستفز الجانب الآخر، فتقوّي إرادته في المواجهة وترفع من مستوى التحدي في حركته وتعمق الحقد في ذاته، لتكون المسألة لديه شخصية بدلاً من أن تكون المسألة مسألة سياسية.

وربما يجر ذلك إلى نوع من التساب المشترك ليكون الموقف خاضعاً لردود الفعل في حركة الإثارة الكلامية، التي تؤدي إلى ارتفاع درجة الإثارة العملية التي لا تخدم الاهداف الكبيرة. وهذا هو الذي اشارت اليه الاية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ

من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم<sup>١</sup>

وإذا كانت المسألة بهذا الحجم في رفض اسلوب السب في طريقة مواجهة المؤمنين للكافرين باللجوء إلى سب جماعاتهم ومقدساتهم، لأنه يؤدي إلى لجوء اولئك إلى سب الله مما قد لا يكون في مصلحة القاعدة الاسلامية في ضرورة احترام اسم الله وابعاده عن كل لون من ألوان الاثارة التي تقود إلى الاساءة إليه مهما أمكن.

إذا كانت المسألة بهذا الحجم في هذه الدائرة فيكون في الدائرة الاسلامية التي تقود إلى لون من المهارات السبائية في الرموز الاسلامية التي يقدها المسلمون تبعاً لاختلافهم في نظرتهم إلى هذا الرمز أو ذاك، مما لا يخدم الجو الاسلامي النفسي الذي يريدنا الله ان نرتفع به إلى مستوى العلاقات الروحية المنفتحة على كل مواقع الاخوة والتعاون واللقاء.

وهذا ما نلاحظه في الكلمة التي اطلقها الإمام علي عليه السلام عندما سمع قوماً من اصحابه يستبون أهل الشام أيام حربهم بصفين قال :

«..اني أكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتهم اعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»<sup>٢</sup>.

إننا في قراءة سريعة لهذا النص نستوحي رفض الإمام لاسلوب السب في طريقة التعبير عن موقفه السلبي تجاه الآخرين، أمام الناس، لان ذلك لن يؤدي إلى شيء، لاسيما في خلافات المسلمين فيما بينهم، بل قد يمنع من حالة الانفتاح الروحي التي لابد أن تكون الهدف الاساسي من كل الوسائل الضاغطة في نهاية المطاف.

ولا يريد الإمام لأصحابه وللمسلمين كافة أن يتجمدوا عند الموقف السلبي والرفض لأن ذلك قد لا يكون أمراً واقعياً عملياً في ساحة الصراع التي قد يحتاج فيها إلى تبرير موقفه بالتعبير عن رأيه في خصومة أمام الآخرين، ولهذا حاول أن يقدم لهم اسلوباً آخر في طريقة التعبير عن مبررات الموقف المعارض أمام الناس وفي طبيعة المشاعر النفسية التي تتحرك في

مشاعرهم الذاتية والتطلعات الروحية التي يتطلعون إليها في علاقاتهم بهم أمام الله، مما يصلح أن يكون قاعدة عملية ومنهجاً روحياً شعورياً في طريقة إدارة الخلافات بين المسلمين والقضايا المتنوعة.

فاذا اختلف المسلمون في بعض القضايا التي يعتبرها كل فريق انحرافاً في الموقف أو في التصور، في واقع الفريق الآخر، فلكل منهما الحق في دائرة قناعاته ان يعبر عن رأيه في المسألة، بأن يصف أعمالهم التي يراها منحرفة عن الخط المستقيم وأن يذكر حالهم الذي يراه مختلفاً عن الحال المترتبة التي يجب ان يكون عليها الانسان المسلم، ليعرف الناس الرأي الصواب في ذلك من خلال وجهة نظر المتحدث، وليعذروه فيما يتخذ من موقف مضاد في حال السلم والحرب، فذلك هو القول الاصبوب فيما هي الفكرة الصائبة، وذلك هو العذر الأبلغ فيما هو المبرر الصحيح، لان هذا الاسلوب يقود الناس إلى تحديد الموقف واختيار الموقع في هذه الدائرة أو تلك، كما انه قد يخلق جواً عاماً يدفع الآخرين إلى الحوار بنفس الطريقة من خلال ما يعتقدونه ضرورياً للدفاع عن مواقفهم فيما هي أعمالهم وفيما هي حالهم بحيث يؤدي ذلك إلى التفاهم أو اللقاء.

ثم لابد من أن يتخفف الانسان في ساحة الصراع لاسيما اذا تحولت إلى حرب من التشنجات النفسية والتعقيدات الذاتية والانفعالات المزاجية التي قد تزيد عداوة وتملؤه حقداً وتؤدي به إلى زيادة التوتر العملي، وذلك بالعودة إلى الروح الاسلامية المنفتحة على السلام بانفتاحها على الله في الابتهاال اليه تعالى في أن يطل برحمته على المسلمين المختلفين أو المتقاتلين ليبث فيهم روحاً جديدة من الرحمة والمحبة والانفتاح وروح السلام، وذلك بأن يحقن دماءنا ودماءهم بايقاف الحرب وافساح المجال للحوار القائم على روحية الرغبة في الوصول إلى الحق، وان يصلح ذات بيننا وبينهم بدراسة القواسم المشتركة في عقيدتنا ومفاهيمنا ومصالحنا العامة التي هي مصالح الاسلام كله والمسلمين في مواجهة الكفر والكافرين، وأن يهديهم من ضلالتهم فيما يعتقد فيهم من ضلال، بأن يفتح لهم آفاق الهدى ويغلق عنهم أبواب الضلال ويقودهم إلى اتباع الحق في أقرب طريق، ليعرف الحق من جهله في الاجواء الهادئة التي تمنح العقل شيئاً من الهدوء، والنفس شيئاً من سعة الافق ورحابة الصدر ليدرك الانسان الحقائق بطريقة واقعية منفتحة، وليرعوي عن الغي والعدوان

## دراسات

من لهج به في الحالات التي ينطلق فيها الموقف من موقع الروح العدوانية المسيطرة على تفكير وتصرف بعض الناس تجاه الآخرين وذلك بان تستدل بها الروح الاخوية التي تفتح كل مشاعرهما بالمحبة والرحمة على الآخرين على قاعدة الكلمة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته القصار: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»<sup>١</sup>.

فان الانسان اذا استطاع ان يفرغ قلبه من كل افكار الشر ومشاعره فانه يستطيع تحريك تصرفاته بطريقة متوازنة خيرة، مما قد يشير في الطرف الآخر بعض افكار الخير ومشاعره على طريقة الفعل ورد الفعل في علاقات الناس بعضهم ببعض.

ولكن الإمام علياً عليه السلام الذي يدعو إلى إنتهاج هذه الروح المنفتحة في شخصية المسلم المؤمن وإلى اطفاء نار العداوة في قلبه، لا يوافق على اهمال القضايا التي يختلف فيها المسلمون واغفالها وابعادها عن ساحة الحوار، بحجة ان ذلك قد يكون سبباً من أسباب إثارة الفتنة وتأجيج الصراع وتحريك الحساسيات، لتكون الاحاديث فيما بينهم أحاديث المجاملة التي تخفي كوامن الافكار أو نوازع النفوس وخفايا المشاعر، لتتحرك الوحدة في شعارها على أساس التكاذب لا على أساس التصديق، على خط النفاق الاجتماعي الودودي، بل انه يؤكد على ان ينطلق المسلمون من موقع الاخلاص للحق وللإسلام في عقائده واحكامه ومواقفه، ليتحاوروا على أساس الرغبة في الوصول إلى الحق في كل خلافاتهم، وليتجادلوا بالحكمة والموعظة الحسنة، وليعودوا إلى الله ورسوله فيما صح عن الله ورسوله ليحكم بينهم، وليدرسوا القضايا الفكرية بالاسلوب العلمي الذي لا تتداخل فيه المشاعر الذاتية، لتكون القضية هي صراع فكر مع فكر لا صراع طائفة مع طائفة أو نزاع جماعة مع جماعة، مما يجعل من العناصر الذاتية في ساحة الخلاف اساساً للحديث أو للعمل.

وفي ضوء ذلك لا تعود المسائل الخلافية سبباً للتباعد أو للعداوة أو للقتال، بل تكون منطلقاً للحوار العلمي بالطريقة الموضوعية العقلانية الهادئة، على خط الاسلوب القرآني بالجدال بالتي هي أحسن والدفع بالتي هي أحسن.

وهذا ما لاحظناه في خطب الإمام وأحاديثه وكلماته، مما كان يشير فيه مسألة الخلافة

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٥٠١.

بأساليب متعددة، من أجل اظهار الحق في موقفه ومناقشة الآخرين في مواقعهم، ليجتذبهم إلى التفكير بالمسألة بعيداً عن كل حالات التشنج والتعقيد، وليؤكد المنهج الفكري في اثاره القضايا المختلف عليها من مواقع الصراحة في قول الحق، لتسير عملية الاجتهاد الاسلامي في خط الحوار المنفتح على كل القضايا حتى التي تتصل بالحساسيات العامة فلا تبقى هناك أية محرمات في دائرة الحوار لانك لا تملك أن تحرم شيئاً من الفكر ما دامت المسألة الفكرية العقيدية على مستوى العقيدة والمفاهيم مسألة قناعة والتزام وانتماء لا بد فيها من مناقشة المبادئ العامة والتفاصيل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. وهذا ما لاحظناه في اثاره لمسألة الخلافة في خطبة الشقشقية التي اختصر فيها كل تطورات القضية حتى يؤكد للناس في خلافته موقفه في الصراع فيما يملكه من الحق بكل وضوح وصراحة، ويوضح لهم منهجه في نظره إلى الحكم في تجاوزه للمسألة الذاتية إلى المسألة الرسالية المتحركة في خط المسؤولية عن مواجهة الظلم كله فيما حمل الله العلماء من أن لا يقاروا على كفة ظالم ولا سغب مظلوم عند قيام الحجة عليهم بوجود القوه الضرورية في هذا المجال.

ونجد آثار المسألة في بعض كلماته بأسلوب الدعاء الذي حاول فيه أن يطرح القضية بين يدي الله، باعتبار أنها مسألة انفتاح على المسؤولية، فيما هي القضايا الكبيرة التي حملها الله مسؤوليتها، ليتعرف الناس من خلال هذا الأسلوب مستوى القضايا باعتبارها متصلة بالوجدان الرسالي لا بالحالة الذاتية ليفكروا بها في هذا الاتجاه ليرتفعوا إلى آفاق الله الواسعة من خلالها.

وهذا هو ما جاء في نهج البلاغة: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، فيا من المظلومون من عبادك، وتقام المعظلة من حدودك، اللهم إني اول من أتاب وسمع وأجاب»<sup>١</sup> ولم يقتصر الامر على هذه القضية بل امتد إلى كل التفاصيل في مسألة خلافة مع الخوارج في قضية التحكيم، وحاول ان يدخل معهم في حوار طويل من أجل مواجهة الموقف بالحجة، كما كان الحال مع طلحة والزبير ومعاوية، ولم يكن

(١) نهج البلاغة، محمد عبده، ١/ ١٦٦.

القتال الذي خاضه مع هؤلاء جميعاً قتالاً من أجل الاختلاف في الخط الفكري، بل كان قتالاً من أجل فرض النظام في المجتمع الاسلامي على مستوى حماية الواقع الاسلامي من الانقسام الداخلي والفوضى العامة، ولذلك فانه تحدث في نهاية أيامه عن مسألة الخوارج فنهى عن قتالهم من بعده لأنه لم يقاتلهم من موقع اختلافهم معه في القناعات بل من موقع اعتدائهم على الحرمات وهذا ما جاء في كلمته :

« لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فانه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه »<sup>١</sup>.

فهو يعالج المسألة على أساس أن الذين طلبوا الحق فأخطأوه لابد من الدخول معهم في حوار ما دامت القضية عندهم قضية قناعة ذاتية، من موقع الرغبة في الوصول إلى الحق، مما يجعل هناك قاعدة مشتركة للوصول إلى الرأي الصحيح، أما الذين طلبوا الباطل فأدركوه فإنهم لا يتحركون من موقع شبهة بل من موقع قرار بالاصرار على العناد والمواجهة للحق بكل وسائل القوة، فهم يهربون من الحوار الجدي ويتخذون سبيل المخادعة والمخاتلة حتى يربحوا الفرص الكفيلة بإيصالهم إلى أهدافهم وأطماعهم، بعيداً عن مسألة الحق والباطل فيما يأخذون به أو يدعون.

هذه هي بعض ملامح المنهج الذي رسمه الإمام علي في حركة الوحدة الاسلامية في خط الواقع، فقد كان همه أن تسلم أمور المسلمين في واجهة كل التحديات الصعبة المفروضة عليهم من الداخل والخارج، مما يجعل الأهمية كل الأهمية للخطة الايجابية في الانسجام مع كل الجماعات الموجودة في الساحة، وتقديم التنازلات وتجميد المواقف المعارضة وتحويلها إلى مواقف ملائمة، أو موالاته لمصلحة القضية الكبرى مع المحافظة على القناعات الخاصة فيما هي الخطوط الفكرية والسياسية، وافساح المجال للحوار حولها بالاسلوب الذي لا يسئ إلى ثبات الموقع العام ولا يهزم القضايا المصيرية، لينطلق المسلمون في الاتجاه الذي يتوحد فيه الموقف عند ضرورات السلامة للواقع الكبير، وتتوحد فيه القناعات في دائرة القضايا الفكرية التي يختلف فيها الناس لتكون موضعاً للحوار بينهم.

(١) نهج البلاغة، محمد عبده : ١ / ١١٧.



ولعل قيمة هذا المنهج العملي في حياة الإمام عليه السلام أنه كان قطب الرحى في مسألة اختلاف الموقف في الخلافة، فهو صاحب القضية الفاعل وليس صاحب الموقف المنفعل بما يتصل بالآخرين فقد انطلق الخلاف في حقه أمام ما يلتزمه الآخرون من حقهم، ولذلك كان منهجه يتطلق من عمق المعاناة في القضية من حيث هي قضيتها في حقه لا من طبيعة الموقف في قضايا الآخرين.

وهذا هو الذي يؤكد للمسلمين الذين يلتزمون موقفه ويؤمنون بحقه أن عليهم أن يرتفعوا إلى مستوى وعيه الكبير في قضية الوحدة الإسلامية لمصلحة الإسلام كله، ليجمدوا كثيراً من مواقفهم على هذا الأساس، وليكون شعاره شعارهم في كلمته الحاسمة في كل تجربته مع الجميع: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين». ليأخذوا من ذلك شرعية الموقف في تمجيد بعض المواقف في قناعاتهم في الحق، وليشعروا أنهم لا يعيشون الانحراف عن الخط المستقيم في ذلك كله.

### الإمام زين العابدين عليه السلام والوحدة الإسلامية :

ونلتقي في خط الوحدة الإسلامية في خط أهل البيت عليهم السلام بالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، في الانفتاح الروحي والعملي على القضية الإسلامية الكبرى، بعيداً عن كل الانفعالات والحساسيات، وأجواء المأساة العميقة التي عاشها في نطاق حكم بني أمية في مأساة كربلاء، حيث عاش مع أبيه وأخوته وأهل بيته وأصحاب أبيه أقسى الفجائع التي تثقل الشعور والوجدان بالحزن والألم العميق، وذاق الأسر والسبي مع كل نساء أهل البيت وصحابتهم في رحلة السبي إلى الشام.

وربما كان من طبيعة الأمور أن تترك هذه المأساة الفريدة من نوعها تأثيراتها السلبية على الشعور الذاتي للإمام زين العابدين عليه السلام ضد بني أمية في حكمهم وفي كل الأوضاع المتصلة بهم في مواقع نفوذهم وفي ساحات انتصارهم في الحرب والسلام، بحيث تكون المسألة في حركة الوجدان الذاتي المنفعل بالمأساة مسألة رفض شامل لكل شيء أموي، مهما كانت نتائجها الإيجابية على صعيد الواقع، كما يفعل الكثيرون من الناس في مثل هذه الأمور، بحيث يعملون على تفسير الإيجابيات بطريقة سلبية، فإذا تقدموا في موقع صراع مع الكفر،

## دراسات

وانتصروا في بعض حروبهم ضد المشركين، فإن الانطباع الوجداني سيكون سلبياً لأنه ليس تقدماً للإسلام الحق وليس انتصاراً للمسلمين، بل هو تقدم لخط الانحراف وانتصار لبني أمية، حتى أن بعض هؤلاء قد يفكرون أن يهزم المسلمون الذين يقاتلون تحت رايتهم لأن ذلك قد يكون هزيمة لهم، مما يساهم في اضعاف مواقعهم واسقاط معنوياتهم، لتكون الغلبة لاصحاب الحق السائرين على الخط المستقيم.

ولكن للإمام زين العابدين رأياً آخر في المسألة، فإنه يلاحظ أن بني أمية الذين لا يمثلون شرعية الخلافة في حياة المسلمين هم الذين يديرون دفة الحركة الاسلامية للامة في الساحة، بحيث كان العنوان الذي يتحركون من خلاله هو عنوان الاسلام، فهم يخوضون حروب الاسلام ضد الكفر، ويواجهون تحديات الكافرين على أساس أنها مواجهة ضد المسلمين فيما يعيشون فيه من شكل الحكم الاسلامي، لأن المطلوب في تخطيط محور الكفر إسقاط الاسلام في كل مواقع حركته شكلاً أو مضموناً، بعيداً عن طبيعة الحكم الذي يمثله من حيث شرعيته أو عدم شرعيته. ولذلك فإن الكافرين يتصرفون مع الحكم الشرعي لو كان موجوداً بنفس الطريقة التي يتصرفون بها مع الحكم غير الشرعي، مادام الهدف مشتركاً بين الموقعين. في ضوء ذلك فإنه كان يرى الحرب الدائرة في تلك المرحلة حرب الاسلام مع الكفر وحرب المسلمين مع الكافرين، بحيث تنعكس نتائجها الايجابية في حال النصر أو السلبية في حال الهزيمة على الواقع الاسلامي كله بخصوصيته الذاتية العائلية، لأن طبيعة الظروف والاسباب والوقائع والنتائج تفرض ذلك على صعيد النظرة الواقعية للاشياء، وهذا هو الذي جعله يعيش الهم الكبير في وجدانه الاسلامي وفي تطلعاته القيادية والروحية والفكرية، عندما كان يفكر بأهل الثغور في مواقعهم المتقدمة التي يتولون فيها حماية حدود الدولة الاسلامية وحفظ المسلمين في بلادهم من خلال ذلك، ويقومون في بعض الحالات بالأعمال العسكرية الحادة عند تعرضها للاعتداء، أو عندما يرون أن هناك ضرورة عسكرية اسلامية لعمل وقائي أو هجومي، لمواجهة بعض الاوضاع الصعبة أو لخلق مواقع جديدة من أجل مرحلة جديدة للدعوة أو للقوة.

وكان يريد للمسلمين أن يعيشوا هذا الهم ليتحول ذلك إلى مشاركة وجدانية قد تهيب الأجواء للمشاركة الفعلية، وتحقق نوعاً من الوحدة الاسلامية فيما يطلقه الكافرون من

تحديات القوة في ساحة الصراع، أو فيما يطلقه المسلمون من هذه التحديات في عملية استعراضية للقوة أو تحريك لها، من أجل الضرورات الأمنية والسياسية.

وكان الدعاة لهم وسيلة من وسائل تعبئة الوجدان الروحي للانسان المسلم في كل القضايا التي تدور حول مفردات الحرب في كل تفاصيلها، بحيث يلاحق فيها الانسان كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة، ليعيش في كل الاجواء المحيطة بها أو المتحركة في داخلها، حتى تتحقق المشاركة في كل القضايا وفي كل الاجواء، كما لو كان الانسان موجوداً في الساحة في حالة من المعاناة الفعلية، فتذوب كل التحفظات والتعقيدات، وتتبخر كل الانفعالات، وتتوحد كل المشاعر، تبعاً لوحدة كل المواقف في الاجواء الاسلامية العامة في حالة الحرب، مما يؤدي إلى وحدة إسلامية يستغرق فيها المسلمون في حركة الواقع الضاغطة عليهم وينسون أو يتناسون كل الخلافات الهامشية أو المركزية التي تحكم محاورهم الفكرية المتنوعة، وقد نستوحي من هذا الاتجاه أن التأكيد على الجانب الشعوري في حركة الوحدة في الواقع قد يخدم مسألة الوحدة بطريقة أكثر بساطة وأقل تعقيداً، من التأكيد على الجانب الفكري الذي قد يواجه الناس فيه كثيراً من التعقيدات من خلال الكثير من التحفظات والاعتراضات، بينما تمثل الاخطاء المشتركة التي يعيشها الناس - فيما يتمثلون من الواجهات التي تحكم حياتهم، ومن المواقع التي يتحرك فيها وجودهم، وتتمثل فيها عزتهم وكرامتهم - الحالة الوجدانية الشاملة التي تهزم كل التعقيدات وتهدم كل الأوضاع المضادة، لانها تثير المسألة في دائرة الوعي السياسي والأمني الذي يحس فيه الجميع في وجدانهم، ليفكروا بان الهجمة العدوانية تلغي وجودهم كله، فلا يبقى هناك شيء مما يختلفون عليه اذا أجهز العدو على الساحة كلها.

ولابد للوحدويين الاسلاميين من دراسة دقيقة شاملة للمضمون السياسي لدعاء الامام زين العابدين عليه السلام لأهل الثغور، ليأخذوا منه الفكرة الاسلامية في التخطيط لتعبئة الامة كلها عسكرياً وسياسياً وروحياً وفكرياً واقتصادياً حول الحرب، حتى تجد وحدثها الاسلامية أمام الخطر الداهم، لتخطط لإضعاف المشركين والكافرين بمختلف الاساليب والوسائل التي تشغلهم عن توجيه قوتهم ضد المسلمين.

وربما نستوحي من الدعاء كاسلوب من أساليب التربية الوجدانية أن فيه لوناً من ألوان

الايحاء الشعوري بكلّ المفردات الحركية في وجدان الانسان المسلم، كأية عملية إيحائية ذاتية تنفذ إلى كلّ مناطق الفكر والاحساس، وتتعمق إلى أعماق كوامن النفس وتنتفع من خلال مضمونها الروحي في الحديث مع الله على منطقة القداسة الروحية لكلّ ما يشتمل عليه الدعاء من أفكار، بالمستوى الذي يتحسس فيه مسؤوليته عنها من خلال معنى القداسة في طبيعتها، فيتحول التأثير الوجداني إلى تأثير عملي في الحركة ويمتد في علاقة الانسان بالآخرين، حيث يستغرقه التفكير في العناصر المشتركة بينه وبينهم، بعيداً عن مواقع التمايز في الفكر أو في الموقع أو في الموقف المختلف.

وقد نلتقي بالتفكير الوجداني في كلمة الإمام زين العابدين التي يرويها الزهري<sup>١</sup> في تحديد العصبية قال :

«إن العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم»<sup>٢</sup>.

فقد نجد في هذه الكلمة الخط الاسلامي الاخلاقي في طريقة إدارة الانسان المسلم علاقته بالآخرين، الذين يلتقي معهم في النسب أو في الوطن أو في القومية أو في الدين أو في المذهب، لتجعل من الانسان المنتمي إلى أية دائرة من هذه الدوائر انساناً موضوعياً يفكر في القضايا المطروحة في الساحة تفكيراً متوازناً لا أثر فيه للانفعال في عناصره الذاتية، بل تنطلق القضية لديه من موقع طبيعة المسألة في عناصرها الموضوعية، فإذا أردنا أن تتمثل القضية في الدائرة الاسلامية فإن السني لا يتعصب ضد الشيعي فيظلمه لخصوصية شيعيته، كما أن الشيعي لا يتعصب ضد السني فيجور عليه لموقع سنّيته، بل يعمل على أساس دراسة الموضوع بذاته بعيداً عن صفة التخصص من حيث الانتماء المذهبي فيما هي مقاييس العدل في الانطباع وفي الممارسة وفي الحكم، مما يؤدي إلى تأكيد الذهنية الموضوعية العقلانية فيما توحى به من الروح الوجدانية المرتكزة على أساس الحياد الفكري في النظرة إلى الأشياء بحيث يكون الإنسان إنسان العقل في خط الحق لا إنسان الإنفعال في خط العصبية.

(١) الزهري : محمد بن مسلم بن شهاب / معجم رجال الحديث ، السيد الخوئي : ٢٣ / ١٠٠.

(٢) الكافي : ٢ / ٤٠٨ - بحار الأنوار : ٧٣ / ٢٨٨.

وقد نستوحي من الكلمة المعروفة عن الإمام زين العابدين عليه السلام فيما رواه بعض أصحابه «أحبونا حبَّ الاسلام»، إن خط أهل البيت هو أن ينطلق المسلم في حركة العاطفة فيما هو الحب الروحي لأهل البيت من خلال الصفة الإسلامية لمضمون الحب لا من خلال الصفة الذاتية، مما يجعل الاسلام في انفتاحه أساساً للعلاقات بالمستوى الذي يخضع فيه للموازن الإسلامية الاصلية فيؤدي إلى الانفتاح من موقع الحوار، وفي أجواء العاطفة على الآخرين.

### الإمام الصادق عليه السلام والوحدة الإسلامية:

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يدعو الشيعة إلى الانفتاح على سائر المسلمين من أهل السنة والاندماج في المجتمع الاسلامي على أساس المشاركة العامة، فكان يقول فيما رواه عبدالله بن سنان عنه: «أوصيكم بتقوى الله عزوجل، ولا تحملوا الناس على رقابكم فتذلّوا، إن الله تبارك وتعالى ليقول في كتابه: ﴿قولوا للناس حسناً﴾ ثم قال: عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا ما لهم وعليهم وصلّوا معهم في مساجدهم»<sup>١</sup>. وعن اسحاق بن عمار قال: قال لي أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: «يا إسحاق أتصليّ معهم في المسجد؟ قلت: نعم، قال: صلّ معهم فإن المصليّ معهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله»<sup>٢</sup>.

وغير ذلك من الاحاديث الكثيرة الواردة عنه وعن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام فإن المفهوم منها أن القضية ليست قضية تقيّة يفرضها الخوف على النفس، بل القضية قضية إيجاد حالة في الإنفتاح الإسلامي بعيداً عن التحفظات المذهبية، بحيث تتحرك في طبيعتها مع الخط الاخلاقي الإسلامي العام فيما يمثله حسن الخلق في شخصية الانسان المسلم، وهذا ما يوحى به الحديث الذي رواه أبو علي قال: قلت لأبي عبدالله، جعفر الصادق عليه السلام: ان لنا إماماً مخالفاً وهو يبغيض اصحابنا كلهم؟ فقال: «وما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقاً لأنت أحق بالمسجد منه، فكن أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس وقل خيراً».

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ٣ / ٢٨٢.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ٣ / ٢٨٢.

أن الإمام الصادق كان يريد للشيعة أن يتحركوا على أساس أن تكون لهم مساجدهم لتكون للسنة مساجدهم، بحيث لا يشتركون في الصلاة في مسجد واحد، لأن ذلك يُضعف الاسلام في صورته وفي حركته في الوجدان العام للمسلم لاسيما في صلاة الجماعة أو الجمعة التي هي المظهر العام الذي يوحى بالقوة من خلال وحدة الموقف بين يدى الله، ولذلك أراد الشيعة إلغاء التحفظات المعينة في شروط امام الجماعة لمصلحة القضية الكبرى للامة. وإذا كانت هناك بعض الروايات التي تخالف هذا الاتجاه فإنها قد تنظر إلى بعض الاوضاع الخاصة المتصلة بالواقع الشيعي الخاص في بعض توازناته في الالتزام بالخط الدقيق في حركة الولاية العامة.

وقد نستوحي من كلمة «أحسن خلقك مع الناس وقل خيراً» والاستشهاد بالاية الكريمة ﴿قولوا للناس حسناً﴾<sup>١</sup> توجيه الشيعة إلى عدم التحدث بطريقة الإساءة إلى مشاعر المسلمين الآخرين حول الاشخاص الذين يختلف المسلمون حولهم في المواقع الكبرى التي انطلقوا فيها، فيما اعتاده بعض الناس من أساليب اللعن والسب، مما يثير الشر ويدفع بالوضع الاسلامي إلى مزيد من التعقيد، ويخلق لونا من الإثارة والتصرفات المضادة في مقابلة ذلك بالمثل، مما يختلف مع المنهج القرآني من الأمر بقول ﴿التي هي أحسن﴾ والدفع بالذي هو أحسن والجدال بالتي هي أحسن مما في كل ما يختلف فيه الناس، فيما يؤمنون به أو يقصدونه أو يعظمونه، فإن ذلك هو الذي يحقق اللقاء بين المسلمين ويفتح قلوبهم على الحق ويحرك خطواتهم نحو الوحدة. وقد روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لاصحابه: «ما أيسر ما يُرضي الناس منكم، كفوا ألسنتكم عنهم» فلم تكن القضية لدى الناس أن تنسجم مع أفكارهم لتبرر موقفك بأنك لا تملك التنازل عن فكرك، بل القضية هي أن لا تبادر بمواجهتهم بالكلمات القاسية فيما قد يصدر عنك من كلمات التجريح الانفعالي في نطاق كلمات اللعن والسب ونحو ذلك، فإن ذلك هو المطلوب في سلوكك مع الناس فيما يتصل بالأشياء التي يحترمونها والاشخاص الذين يعظمونهم، وتبقى الخلافات الفكرية أو الفقهية مجالات للبحث والنقاش والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

إن هناك فرقاً بين الجدال في الرأي وبين التجريح في الكلمة، وقد يخلط الناس فيما بينهم فيخيل اليهم أن الإخلاص لأفكارهم وعقائدهم هو أن يعبروا عن رفضهم للعقائد الأخرى بأساليب انفعالية جارحة، لأن ذلك في رأيهم يعمق إحساسهم بالرفض ويؤكد موقفهم بالتبري من رموز الفكر الآخر الذي قام في الماضي ويقوم في الحاضر باضطهاد الفكر الذي تنبأه، ويهيء الأجواء النفسية للتعبئة الروحية والشعورية ضد النهج الآخر.

ولكن القضية ليست كذلك فإن القضية ليست قضية انفعال تُحرّكه، أو غيظ تُفجّره، بل القضية قضية فكر تعمقه وحجة تثبتّها، وموقف تؤكده وقناعة تسعى إليها، وليس في الأساليب التي تؤدي إلى ذلك إلا العقل المفتوح، والقلب المفتوح، والكلمة المفتوحة على كل عناصر الخير والفكر واللفظ والمحبّة، والإرادة الواعية في الوصول إلى قنوات الآخرين من أقرب طريق، بالبحث عن مواطن اللقاء، لأن الإنسان يبقى في إنسانيته قريباً للأجواء الروحية التي تحترم عقله وتراعي شعوره وتلامس قناعاته ملاسة رقيقة هادئة توحى إليه بالعطف والحنان بدلاً من القسوة والشدّة.

وقد نلاحظ في دراستنا للسلوك العملي لأئمة أهل البيت أنهم كانوا ينطلقون مع المسلمين كلهم بالإنفتاح الواسع في علاقاتهم الثقافية والاجتماعية، فكان تلامذتهم يمثلون التنوع في المذاهب الكلامية والفقهية، وكانت مجالسهم تضم الناس المختلفين في أفكارهم ومواقفهم، من دون أن تجد أية عقدة أو مشكلة لدى أي واحد منهم فيما يسمع من الكلام أو فيما يواجهه من الموقف، أو فيما يفعل به من الجوّ والنظرة والأسلوب، ولذلك كانوا محلّ تقدير المجتمع الإسلامي كلّهُ حتى الذي لا يعتقد بإمامتهم بالمعنى المصطلح في علم الكلام للامامة، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الروح المنغلقة والصدر الضيق، والكلمة المنغلقة والأسلوب المتشنج، والنظرة القاسية والأجواء المضادة لا تحقق أية نتيجة لمصلحة الفكر الذي تؤمن به والعقيدة التي تلتزمها، ويؤكدون على أصحابهم بأن يدرس كلّ واحد منهم نفسه بالطريقة التي يريد للآخرين أن يعملوها بها ليعاملهم بنفس الطريقة على القاعدة الأخلاقية المأثورة وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك به» لأن مسألة الصراع الفكري هي مسألة أخلاقية بالإضافة إلى أنها مسألة فكرية، ولا بد للفكر أن يعيش شيئاً من العاطفة في حركته كما تحتاج العاطفة إلى شيء من الفكر في توازنها.

### الوحدة الإسلامية والإخلاص للإسلام:

وأخيراً فإننا نعتقد أن مسألة الوحدة الإسلامية هي مسألة الإسلام في قوته وثباته وصلابته، وفاعلية حركته وشمولية نظريته إلى الحياة، فلا بد لنا أن نحركها في حياتنا، وأن نفرق في وعينا الإسلامي بين ما هي الصلابة في الموقف وبين ما هي القسوة في الإسلوب، وأن نميز بين الحالة النفسية التي تؤدي إلى النزاع وبين الحالة النفسية التي تؤدي إلى التفاهم والوفاق.

ولا بد لنا أن نعي بأن الإخلاص للرسول ولأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين يتمثل بالإخلاص للإسلام في سلامة موقفه أمام المواقف الأخرى، وفي قوة موقعة أمام المواقف الأخرى، لأننا إذا ربحنا الإسلام فقد ربحنا كل الإفتتاح على رموزه وقواعده ومناهجه وحركته، وإذا خسرنا الإسلام في معركتنا مع الكفر فإننا نخسر كل شيء، لأن الرموز التي نحترمها والحق الذي نلتزمه والموقف الذي نتعصب له لن يكون لأي منها أي موقع أو دور في الساحة التي يهيمن فيها الكافرون على المسلمين، فلا قيمة لأية كلمة من كافر أو منافق في مدح أي رمز من رموزنا من أهل البيت عليهم السلام إذا كان يعالج في كلمته التعظيم الشخصي بعيداً عن بعده الرسالي، ويعبر في موقفه عن القوى التي تتحرك في اتجاه تعميق الخلاف بين المسلمين. لذلك فإننا نتصور أنه من الضروري التخطيط الفكري والعملية للوحدة الإسلامية في دائرة أي مذهب إسلامي، حتى لا يغلب علينا الإخلاص لخصوصية المذهب بعيداً عن الإخلاص لشمولية الإسلام. ومن الضروري بالإضافة إلى ذلك أن نفرق في التزامنا بأشخاص العقيدة بين الإلتزام بهم من الناحية الرسالية كرموز للإسلام نخلص لهم في خط الرسالة وبين التعلق بهم بعوامل ذاتية بحثة ودوافع عاطفية صرفة لنختار الموقف في هذه الدائرة، حتى تمتزج العاطفة بالعقل والفكر والحياة، فيما هي علاقة الإنسان بالله وبالإنسان والحياة من خلال الله..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





\* موضوع الندوة:

## «أساس ومنهج التقريب

بين المذاهب الاسلامية»

## الندوة

باب يتناول عرضاً لآراء عدد من العلماء والمفكرين حول  
مسألة أو موضوع معين، ويتم ذلك عن طريق طرحه تحريرياً  
عليهم وبعد استلام الإجابات المكتوبة ينشر المناسب منها.

لقد أولى أئمة اهل البيت عليهم السلام أهمية كبرى للتقريب بين المذاهب الاسلامية  
المختلفة، وتبعمهم في ذلك العلماء المجاهدون الذين استشهدوا بسيرتهم وواصلوا  
نهجهم، فأظهروا الحق وأرشدوا إليه، وأزاحوا الستار عن الباطل وحذروا منه، مقيمين ذلك  
على الدليل القاطع والبيان المبين من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.. مؤكدين أن خير  
أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هي أمة الثقلين اللذين ما فتى رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بهما ويملا الآفاق بأمرهما، لتتم الحجة البالغة على الناس ويحيا  
من يحيا منهم على بيّنة من أمره ويهتدي الى الحق والصراط المستقيم أو يضلّ عن سواء  
السبيل.

ونظراً لهذه الأهمية العظيمة والمسؤولية الجسيمة رأت مجلة رسالة الثقلين ضرورة  
المساهمة الجادة في هذا السبيل فطرحت هذه المسألة على جميع من علماء الاسلام الاعلام  
لتستجلي آراءهم وتستكشف أساس ومنهج أهل البيت عليهم السلام في ذلك.. وهي هنا لاتكتفي  
بما تنشره من آراء هؤلاء الاعلام بل توجه خطابها الى كل اصحاب الفكر والعلم من قادة الامة

## ندوة

ورؤاها ليتحفوها بالسديد من آرائهم والفصل من كلامهم في هذا الامر الحساس، الذي بات تحقيقه امراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه، خصوصاً وأن الامة تعيش مرحلة مصيرية من مراحل صراعها الطويل مع قوى الكفر والضلال، التي تنادت للتحزب والتكتل في كل مكان للنيل من الاسلام المحمدي الاصيل وإطفاء نور صحوته المباركة، التي امتدت الى اقصى أوصار الارض وسرت الى أبعد أوصال الامة. أملين أن تكون المساهمة بمستوى المسؤولية الرسالية الكبيرة التي ألقيت على عاتق حملة العلم والفكر وأهل الحل والعقد من رجال الاسلام وقادته.. وما التوفيق إلّا من عند الله .

وفي هذا العدد ننشر بعض ما وردنا من أصحاب العلم والفضيلة في موضوع الندوة أملين أن نوفق لنشر الباقي وما يردنا تبعاً.

«التحرير»

السيد محمد باقر الحكيم

تتخذ قضية التقريب بين المذاهب الاسلامية أهمية خاصة في الوقت الحاضر، ذلك لانها ترتبط بقضية كبرى مهمة، وهي قضية الوحدة الاسلامية، حيث تشكل قضية التقريب العمود الفقري لقضية الوحدة الاسلامية.

وبشكل مختصر ومركّز نحاول هنا ان نتحدث عن قضية التقريب في عدة نقاط، تبلور بمجموعها الاطار العام لقضية التقريب في هدفه ومنهجه وأساليبه ونتائجه.

النقطة الاولى :

في الوحدة الاسلامية التي تمثل الهدف الاساس للتقريب، بالاضافة الى

اهداف اخرى ترتبط بتطور الفقه الاسلامي وقدرته على مواجهة التحديات المعاصرة ومعالجة المشكلات الحضارية الجديدة في مختلف المجالات:

لاشك أن الوحدة الاسلامية هي رغبة أكيدة، وأمل كبير، يعيش في نفوس المسلمين، وتتطلع اليه الأمة، الاسلامية بشوق ورغبة، وقد دعا اليها القرآن الكريم وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ورسوموا المنهج القويم لها. وفي نفس الوقت، نرى اعداء الامة يعملون باستمرار لتمزيق صفوف المسلمين، من خلال إبراز نقاط الخلاف والتناقض والفرقة.

ومن أجل أن يتحول العمل من أجل الوحدة الاسلامية من حالة الشعار المحبوب الى عمل هادف له اسسه وبرامجه واهدافه ومجالاته، لابد من الاشارة الى مجموعة من الأسس، التي يمكن أن تقوم الوحدة الاسلامية عليها.

أ - معالجة الخلافات المذهبية على أساس الوحدة الاسلامية، لا بمعنى توحيد المذاهب الاسلامية في مذهب واحد، فإن ذلك قضية غير واقعية، بل هي غير منطقية، وإنما بمعنى احترام آراء المذاهب الاسلامية وممارسات أتباعها العبادية والشخصية.

ب - الاعتراف بالحقوق الانسانية الاساسية، كالحقوق السياسية والعبادية لاتباع المذاهب الاسلامية في البلاد الاسلامية والعالم الاسلامي، بحيث لا يجوز بأي حال من الاحوال، حرمان اتباع هذه المذاهب من حقوقهم العامة، التي يشتركون فيها مع بقية المواطنين، لمجرد انتمائهم الى هذا المذهب أو ذاك، أو أن يتحول الانتماء المذهبي الى امتياز لصالح بعض الافراد.

ج - توحيد النظرة الكلية الى دور الدين في الحياة الانسانية ودور الشريعة فيها، بعيداً عن المواقف السياسية التفصيلية لهذه الدولة والجماعة أو تلك، وهذا مما يمكن أن تتفق عليه الهيئات الاسلامية بشكل عام.

د - توحيد النظرة الكلية الى صيغة الحكم الاسلامي، بحيث لا يكون هناك تقاطع في الصيغ المطروحة للحكم - ولا مانع من الاختلاف في الاجتهادات لتشخيص هذه الصيغة او تلك -

و - توحيد النظرة الكلية تجاه أعداء الاسلام الاساسيين، سواء على المستوى العقائدي، مثل حركة الالحاد والتحلل من الالتزامات والقيود الانسانية الفطرية، أو على المستوى السياسي، كحركة الكفر العالمي، المتمثلة بالاستكبار وقوى التسلط والهيمنة والاستغلال

## ندوة

(الصهيونية العالمية الحاقدة والرأسمالية المستغلة)، التي تعمل ليل نهار للكيد بالمسلمين ومجتمعاتهم، أو لنهب المزيد من أراضيهم وثرواتهم، وقتل وتشريد أبنائهم.

هـ - الاهتمام المشترك بالقضايا الأساسية في العالم الاسلامي، والتي تهم المسلمين جميعاً، مثل قضية فلسطين والقدس الشريف، وقضية كشمير والبوسنة والهرسك، وغيرها من القضايا، التي يتعرض فيها المسلمون كجماعة الى الظلم والعدوان.

و يكون هذا الاهتمام انطلاقاً من المصلحة الاسلامية، بعيداً عن التعصب المذهبي، او التعامل على اساس الانتماءات المذهبية.

### النقطة الثانية :

في معالجة أسباب الاختلاف، لاجتنابها، فإنّ تشخيص اسباب الاختلاف يمثل الخطوة الاولى والاساسية في العلاج، والشأن في ذلك هو شأن تشخيص المرض الذي يمثل الخطوة المهمة في العلاج.

### ويمكن ارجاع الاسباب الرئيسية الى الامور التالية :

- ١ - الهوى والتعصب المذموم والتخلف الاخلاقي في معالجة القضايا.
- ٢ - النشاط المعادي للإسلام الذي يسعى للتخريب بين المسلمين وتمزيق صفوفهم من خلال إثارة الفتن والتركيز على نقاط الضعف والاثارة، وشراء ذوي القلوب المريضة لتسخيرهم لأداء هذه المهمة.
- ٣ - الجهل باوضاع المسلمين ومعتقداتهم، والاعتماد في معرفة ذلك على الاشاعات والتهم، أو الروايات والاقوال الشاذة في هذا المذهب أو ذاك.
- ٤ - الاختلاف في ثبوت النص الشرعي المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الائمة عليهم السلام أو العلماء الذين ينتسبون لهذا المذهب أو ذاك، ذات الطابع الموضوعي والعلمي، وذلك بسبب الفاصل الزمني الكبير بين زمن صدور النص وإيماننا هذه، حيث وقع في النصوص الاختلاف والتزوير والخطاء الاشتباه في النقل.

٥ - الاختلاف في فهم النص، ومقارنته بالنصوص الأخرى، حيث ان القرآن الكريم، الذي ثبت نصه بالتواتر، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وعام وخاص... وأحاطت به القرآئن الحالية، التي تسمى بأسباب النزول، والتي تلقي ضوءاً على فهمه وتفسيره. وهكذا الحال ايضاً في النصوص المروية في السنة النبوية.

ولا شك ان معالجة هذه الاسباب مختلفة، في طرقها ووسائلها، ولا بد من دراسة كل واحد منها، ووضع الاساليب المناسبة لهذه المعالجة.

فالتربية الاخلاقية العالية، والتقوى والتعصّب لله تعالى، والحرص على المصالح الاسلامية، وتشخيص الاعداء، والحذر من مؤامراتهم وأعمالهم ونشاطهم، والكشف عن ذوي الضمائر الحية والقلوب المريضة، وسائل مهمة في معالجة السبب الاول والثاني.

وكذلك البحث عن معتقدات ومتبنيات المذاهب الاسلامية، من مصادرها النقية، والاعتماد في ذلك على أقوال أئمة هذه المذاهب المعروفة، ومن منطلق الاخوة الاسلامية، وحسن الظن، وروح التفاهم والمحبة، كل ذلك له تأثير كبير في معالجة السبب الثالث.

ووضع القواعد والاصول والضوابط، المستنبطة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، في اثبات النص، واتباع منهج الحوار العلمي الموضوعي، والمناقشة الهادئة، والدليل المنطقي و الشرعي، يمثل أفضل الطرق لمعالجة السببين الرابع والخامس.

### النقطة الثالثة :

في القضايا الاساسية، التي لا بد من الالتزام بها بين المسلمين، لايجاد القاعدة والارضية التي يقوم عليها بناء التقريب بين المذاهب الاسلامية، فإن التقريب يحتاج الى اجواء روحية وسياسية واجتماعية واخلاقية وثقافية مناسبة، يعيش وينمو فيها هذا الهدف الحيوي الهام.

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم اهتم بايجاد هذه الارضية، عندما عالج قضية التقريب بين أصحاب الاديان السماوية، حيث أكد على القضايا الاساسية، مثل التوحيد والوحي والنبوة والعدل والاصل الواحد للرسالات والتمجيد للانباء الماضين وذكر قصصهم اعمالهم

## ندوة

والحديث عن الاخلاق والمواقف المعنوية والاجتماعية والموضوعات الثقافية المشتركة.  
ويمكن أن نشير الى بعض المعالم والخصائص لهذه القاعدة والارضية.  
أولاً:

التأكيد على دور القرآن كريم والسنة النبوية وأهل البيت، كقضايا مشتركة ومعترف بها  
ومسلمة بين المسلمين. فإن القرآن الكريم نص ثابت محفوظ من التحريف، يمكن الرجوع  
اليه، وإن اختلف المسلمون في فهمه، ولكن يبقى وجوده عاملاً مهماً من عوامل وحدتهم.  
وكذلك السنة النبوية يرويها المسلمون جميعاً عن أصحاب الرسول، وهناك الكثير من  
النصوص المشتركة، التي ثبتت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة، لدى الجميع.  
ويبقى الاختلاف، في ثبوت بعضها أو فهمه، مجالاً للحوار والبحث العلمي، مع الاحترام  
المتبادل للآراء.

وهكذا الحال في الثقل الآخر للقرآن، وهم أهل البيت عليهم السلام، فإنهم موضوع الاحترام و  
القبول لدى عامة المسلمين، وقد ثبت بالنص القرآني والسنة المتواترة، وجوب حبهم  
والرجوع اليهم<sup>١</sup>، وإن اختلف المسلمون في حدود هذا الحب والمرجعية، أو في ما ثبت عنهم  
من نصوص وحديث ومواقف.

ولذا فإن إثارة الشك، حول ثبوت القرآن الكريم أو تضعيف السنة النبوية أو الطعن  
بأهل البيت عليهم السلام، كما فعله بعض شذاذ العلماء من الفريقين، مما يؤدي الى المزيد من  
الاختلاف والفرقة والتمزق.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم تأكيد أهل البيت على هذه الاصول المشتركة، واخذهم  
على مدرسة الرأي في مقابل مدرسة الحديث، لأن مدرسة الرأي تتجه الى تضعيف السنة  
واهمالها، وتنطلق من دعوى أنه لم يثبت من السنة إلا عدد محدود.  
ثانياً:

التأكيد على القضايا المشتركة في الاصول والقواعد العلمية في الاثبات، مثل قضية وثاقة  
الراوي، قضية المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص وإن القرآن والسنة

(١) آية المودة والتطهير وغيرها وحديث الثقلين المتواتر وغيرها.

يفسر بعضه بعضا والاستقراء وغير ذلك من قواعد المنهج العلمي في البحث كما هو مقرر في محله.

ثالثاً :

الاحترام المتبادل للآراء العلمية والمذهبية، والتعامل معها بروح البحث العلمي والمناقشة الهادئة، بعيداً عن روح الاحتراب والاستفزاز والاستخفاف والتحامل، والتأكيد على العلاقات التي كانت قائمة بين أئمة المذاهب أنفسهم.

رابعاً :

التخلي عن روح العدوان على المقدسات المذهبية والشعائر الدينية، الخاصة بأصحاب هذا المذهب أو ذاك، ومنع أساليب التكفير والتفسيق والسب واللعن للمذاهب أو الأئمة أو العلماء المتمذهبين بها.

والاعتراف بوجود المذاهب الصحيحة المتعددة - بعد تشخيصها - سواء على المستوى الرسمي أو الثقافي، والعمل على اشاعة وترويج ثقافة واخلاقية التقريب بين المذاهب الاسلامية، وتجسيد مفهوم الامة الاسلامية الواحدة، من خلال التناصر بين المسلمين في قضاياهم الحياتية «من سمع مسلماً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».

النقطة الرابعة :

في الاشارة الى بعض الوسائل النافعة في قضية التقريب: فلأجل أن تتحول قضية التقريب، من مجرد رغبة نفسية وهدف نبيل ومقدس للمسلمين، الى واقع عملي فانها تحتاج الى بعض الوسائل والاساليب. وهنا نشير الى نماذج من هذه الوسائل:

اولاً: القرآن الكريم في نظر العترة الطاهرة :

فقد أثبتت شبهة كبيرة وواسعة ضد شيعة أهل البيت، بآتهامهم بالقول بتحريف القرآن الكريم، مع أن عامة كبار علمائهم يقولون بصيانة القرآن الكريم من التحريف، ولاشك أن توضيح نظرة أهل البيت الى القرآن، وموقفهم العملي تجاهه، سوف يلقي الضوء على هذه الحقيقة، ويدفع هذا الاتهام، ويمكن معرفة ذلك من العناوين التالية:

١ - جمع القرآن الكريم على يد أهل البيت، حيث كان أول من جمعه هو الامام علي عليه السلام.

## ندوة

٢- العناية بالقرآن الكريم، من خلال التأكيد على فضل قراءته، والتدبر فيها، وفضل حفظه، و مراتب ودرجات حملته.

٣- سلامة القرآن الكريم من التحريف.

٤- حجية القرآن الكريم، في نصه وظهوره، من خلال الاستدلال به على الحكم الشرعي والعقيدة الاسلامية والسنة التاريخية وغير ذلك من القضايا، وكذلك من خلال جعله مرجعاً للنصوص التي ترد عن أهل البيت، حيث طلبوا عرضها على القرآن الكريم قبل الأخذ بها «فما وافق القرآن فخذوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط».

٥- الاهتمام بتفسير القرآن الكريم، خصوصاً من خلال المصايد الحية، تطبيقه على الواقع المعاش في كل عصر من عصور المسلمين.

ثانياً: توضيح الرؤية والموقف من الصحابة :

فان الصحابة هم موضع إحترام جميع المسلمين، ولكن أثيرت شبهات حولهم وحول الموقف منهم، وهنا لابد من توضيح الرؤية حولهم بشكل موضوعي، وذلك من خلال الامور التالية :

١ - الصحابة في زمن الرسول، ودورهم في الدفاع عن الاسلام وترسيخ دعائمه وتضحياتهم العظيمة في سبيله.

٢ - التمييز بين الصحابة المؤمنين المخلصين، الذين يمثلون الاكثرية منهم، وبين المنافقين الذين تحدث عنهم القرآن، ممن أضرّوا بالدعوة الاسلامية في زمن الرسول وبعده.

٣ - موقف الامام علي عليه السلام من الصحابة، الذي كان يتصف بالاحترام والتعاون والانفتاح، حتى مع الاختلاف في وجهة النظر السياسية او الفكرية، خصوصاً بعد وفاة الرسول.

٤ - التمييز في الموقف من الصحابة، بين القول بعدالتهم واحترامهم، وبين القول بعصمتهم، وكذلك التمييز بين بعضهم وبعضهم الاخر، في العدالة ومستوى الالتزام. وايضاً التمييز في الحجية، بين روايتهم وعملهم وفتاواهم.

ثالثاً: توضيح العلاقات المشتركة بين المذاهب الاسلامية، في الصدر الأول، وفي بدء التأسيس، وذلك من خلال تأليف الكتب، أو كتابة الابحاث في الموضوعات التالية:



١ - رجال الشيعة الذين اخذ عنهم أهل السنة، فقد ذكر السيد شرف الدين مائة راوٍ من الشيعة، الذين أخذ عنهم أهل السنة، كنموذج لهذه الحالة.

٢ - رجال وعلماء أهل السنة، الذين أخذ عنهم رجال الشيعة وعلمائهم.

٣ - الروايات المروية في كتب أتباع أهل البيت، من الشيعة الامامية عن ائمتهم عن رسول الله، بشكل مباشر، والمقارنة بينها وبين ما روي في كتب أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ - إرجاع الروايات التي وردت في الفقه، من كتب الشيعة الى مصادرها في كتب السنة، والمقارنة في ذلك.

و سوف نجد من خلال هذه الابحاث الاواصر القوية بين المذاهب الاسلامية.  
رابعاً :

الابحاث المقارنة في الفقه بين المذاهب الاسلامية، خصوصاً في المجالات العبادية و المعاملات والاحوال الشخصية، وتشجيع طبع الكتب والكراسات فيها، حيث سوف نلاحظ، من خلال ذلك، ضيق الهوة الفاصلة بين مذاهب أهل السنة ومذهب اتباع أهل البيت عليهم السلام وبقية المذاهب الاسلامية.

خامساً :

الفصل في البحث العقائدي والفقهي بين المواقف السياسية والفكرية، وبين المواقف الفقهية، او بين المواقف الفقهية والمواقف العقائدية، فإن هذا الفصل سوف يكون له أثر موضوعي ونفسي في التقريب.

ولا شك ان التقريب، في المواقف السياسية، بين الحكومات والبلدان الاسلامية، ذات الالتزام الديني بالاسلام، له أثر عظيم في عملية التقريب بين المذاهب، لأن الخلافات السياسية، في مثل هذه الحكومات والبلدان، تنعكس على المواقف المذهبية والفقهية والفكرية والثقافية.

سادساً :

تشجيع إقامة الجمعيات والمنظمات والمراكز التي تعمل للتقريب بين المسلمين، وإشاعة ثقافة التقريب، والتعددية المذهبية، والوحدة في القضايا الاساسية.

## ندوة

سابعاً:

تحكيم منطق البلاغ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار العملي الهادي بعيداً عن التعصب والارهاب الفكري والسياسي، واثارة النزعات الطائفية، والتطرف في المواقف، وذلك من خلال إقامة المؤتمرات العلمية والمنظمات الاسلامية المشتركة.

ثامناً:

تشجيع عملية التعايش الاجتماعي بين أبناء المذاهب الاسلامية، من خلال الشركات والمؤسسات الاجتماعية، وتبادل الزيارات واللقاءات، والاشتراك في الاحتفالات والمراسيم لهذه الجماعة وتلك، وغير ذلك من الوسائل الاجتماعية. وقد دعا أهل البيت عليهم السلام، شيعتهم بشكل خاص، الى هذا التعايش، من خلال نصوص صريحة وصحيحة، سواء في الممارسة الاجتماعية او العبادية.

وفي الختام، فإن المسلمين إذا اتجهوا نحو هذا الهدف المقدس، فسوف يجدون أمامهم مجالات واسعة وكثيرة تقربهم من هذا الهدف، ويكون بالتالي في موضع الرحمة الالهية، التي هي وراء كل توفيق وسداد ﴿انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*

الشيخ محمد مهدي الأصفي

التقريب بين المذاهب الاسلامية لا يتحقق بالأمانى والرغبات، كما لا يتحقق بالشعارات والادعاءات، وإنما يتحقق ضمن منهج علمي موضوعي. وأنا أرجو لمجلة «رسالة الثقلين» أن تطرح محاور هذا المنهج العلمي للدراسة والمناقشة على مائدة البحث العلمي الموضوعي. وأهم هذه المحاور فيما أرى، إبراز النقاط المشتركة في الفقه وأصول الفقه والحديث والتفسير والعقائد والمفاهيم، وفيما أعتقد إن هذه النقاط كثيرة، والثقافة الاسلامية في مراحل نموها المختلفة حافلة بهذه النقاط.

ولعله لسبب ما كان العلماء غالباً يبحثون في تاريخ الثقافة والفكر عن نقاط الاختلاف الفقهي والأصولي والعقائدي، وأفردوا لذلك بعض المصنفات، ولو أننا حاولنا جمع النقاط المشتركة وإبرازها لوجدنا أماناً باباً واسعاً من أبواب التقريب.

وفيما أذكر قلماً وجدت خلال مطالعاتي مسألة خلافية في الفقه والأصول والعقائد والتفسير والحديث لا يمكن أن نجد لها في تاريخ الثقافة الإسلامية موضعاً للالتقاء.

وأذكر مثلاً على ذلك المسألة الخلافية المعروفة في العقائد «القضاء والقدر، وحرية الإرادة، أو حتمية السلوك الانساني»، فإن هذه المسألة من المسائل التي يعدها العلماء مفرق الطرق بين المذاهب الإسلامية الثلاثة المعروفة «العدلية، والأشاعرة، والمعتزلة»، ومع ذلك فقد وجدت في هذه المسألة بالذات نقاط إلتقاء كثيرة بين المذاهب الإسلامية الثلاثة تكاد تتفق حول قاعدة «الأمر بين الأمرين» التي وردت في نصوص أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا بإمكاننا أن نلتمس في العبادات صيفاً مشتركة يلتقي عندها المسلمون، وفي «الفقه المدني»، و«فقه الاحوال الشخصية» بإمكاننا أن نجد نقاطاً كثيرة تجمع المسلمين على أحكام متحدة أو متقاربة، ويمكن تعميمها على عامة المسلمين، وكذلك في «الفقه القضائي».

وهذا باب واسع لو أنّ علماء المسلمين منحوه الاهتمام الكافي لوجدوا فيه خيراً كثيراً، ولأمكن أن يفتحوا على المسلمين من خلاله أبواباً واسعة للتقريب.

والخص هذه النقطة مرة أخرى فأقول لابد أن يهتم علماء المسلمين ضمن منهج علمي متكامل بالتماس نقاط الالتقاء بين المذاهب الإسلامية وتكريسها وإبرازها بدل البحث عن نقاط الاختلاف وتعميقها. وهذا منهج علمي متميز في الدراسات الفقهية والأصولية والعقائدية يحتاج الى مزيد من الجهد العلمي. وأنا مطمئن بأن الباحث سوف يباغت بعدد كبير من تلك النقاط التي بحثها العلماء -والفقهاء خاصة- لكن بشكل متناثر، وبصورة خافتة لم تسلط عليها الأضواء.

والنقطة الأخرى في هذا المنهج العلمي تسليط الدراسات الموضوعية على نقاط الاختلاف في الفقه والأصولين «أصول العقائد وأصول الفقه» بعيداً عن التشنج والتوتر، وفي جو موضوعي علمي.

إن للحساسيات التي تراكمت تاريخياً حول المسائل الخلافية في «الفقه والأصولين» دوراً

## ندوة

مهماً في تكريس الجانب السلبي منها، وفي مثل هذا الجو لا يمكن مناقشة هذه المسائل بصورة علمية هادئة، والوصول الى نتائج واحدة.

أما لو قمنا بتجريد المسائل الخلافية من الحساسيات المتراكمة عليها خلال التاريخ الاسلامي، وإخضاعها لمناقشة ودراسة موضوعية علمية وعقلانية، لأمكننا ردم كثير من هذه الفجوات والوصول الى نتائج متقاربة ومعقولة.

وبهذا الصدد لابد أن نشير الى الجهود الكبيرة التي بذلها فقهاؤنا في دراسة المسائل الخلافية بما يسمى بـ«فقه الخلاف»، ودراستها بصورة مقارنة بما يسمى بـ«الفقه المقارن». وهذان الفقهاء «الخلاف والمقارن» عملان ضروريان في عرض المسائل الخلافية في الفقه بين علماء المسلمين على صعيد علمي وبعيداً عن التشنج السياسي، وقد وجدنا أن علماءنا السابقين كالشيخ الطوسي في كتابه «الخلاف في الفقه» والعلامة الحلبي في كتابه «تذكرة الفقهاء»، وغيرهما من فقهاءنا الماضين رضوان الله تعالى عليهم، كانوا من الرواد الأوائل لهذا الخط المبارك والنافع والشريف من العلم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاقتفاء آثارهم واستثمار جهودهم في هذه المجالات.

وكان مما يتميز به فقهاؤنا الماضون رحمهم الله حالة الانفتاح العلمي على المذاهب، وحضور بعضهم لدى بعض، وكسر الحاجز الطائفي، ولو استعرضنا أساتذة فقهاءنا لوجدنا أمثلة كثيرة لذلك، فالشهيد الاول رحمه الله والشهيد الثاني رحمه الله قد حضرا لدى جم غفير من علماء السنة من المذاهب الاربعة ودرسا لديهم، وسافر الشهيد الثاني الى مصر لهذه الغاية، كما إن علماء السنة كانوا يحضرون لدى فقهاء الشيعة كثيراً، فقد نشأ على يد السيد المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ المفيد جمع كبير من علماء السنة ويكفي أن نشير الى حضور أبي حنيفة إمام المذهب الحنفي لدى الامام الصادق عليه السلام لمدة سنتين كان أبو حنيفة يعتز بها ويعتبرها رصيلاً علمياً له.

وبين هذه النقطة وتلك لابد من الإشارة الى أهمية اللقاءات الاسلامية على الصعيد العلمي بين علماء المسلمين، فإن هذه اللقاءات مباركة، وتستنزل رحمة الله تعالى على الجمع، وتجمع القلوب والأفكار.

ولعلنا نجد في المشروع الذي طرحه سماحة آية الله السيد علي الخامنئي ولي أمر

المسلمين في التقريب بين المذاهب الاسلامية فرصاً مباركة لأمثال هذه اللقاءات بين علماء المسلمين ومفكريهم وأصحاب الرأي والحل والعقد منهم.

ولا يفوتنا أن نشير الى أن هذه لم تكن الخطوة الأولى في التاريخ السياسي والفكري الاسلامي، بل هي امتداد لأعمال ومشاريع كبيرة ومباركة تمت على هذا الخط من قبل رجال العلم والإصلاح من المسلمين.

وقبل أن أختتم الحديث في هذه الندوة أحب أن أنبه الى نقطة جديرة بالاهتمام في فكر أهل البيت عليهم السلام ونصائحهم وهي طرح أصل عملي وسلوكي الى جانب طرح أصالة الإمامة... والمحور الاول لهذا الأصل هو العمل على وحدة الثقافة والفكر الاسلامي، والثاني هو إزالة عوامل التفرقة بين المسلمين، وهذا أصل بالمعنى الدقيق للكلمة، الى جانب (الإمامة) الذي هو أصل أصيل عند الشيعة الامامية.

ومما يشهد للمحور الأول: ما تفيض به جنابات نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام بخطبه ورسائله وكلماته وما تزخر به الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين بأدعيتها ومناجياتها من رسم للمعالم الأصيلة للفكر الاسلامي في مختلف الابعاد الاعتقادية لغرض توحيد الفهم فيه لدى جميع المسلمين، وكذلك ما قام به الأئمة اللاحقون كالباقر والصادق عليهما السلام من تكريس لهذا الاتجاه وحماية الفكر الاسلامي من الاتجاهات المنحرفة الوافدة منها والمبتدعة.

وما يشهد للمحور الثاني أحاديث كثيرة نورد بعضاً منها: ما رواه عبدالله بن سنان عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله لشييعته: «أوصيكم بتقوى الله عزوجل، ولاتحملوا الناس على رقابكم فتذلوا، ان الله تبارك وتعالى ليقول في كتابه: ﴿قولوا للناس حسناً﴾، ثم قال: عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا مالهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم»<sup>١</sup>.

ومنها عن اسحاق بن عمار قال: قال لي أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: «يا اسحاق أتصلي معهم في المسجد؟ قلت: نعم، قال صل معهم فان المصلي معهم في الصف

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٣ / ٢٨٢.

الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله<sup>١</sup>.

ومنها ما عن المفيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير عن الحسن بن أبي فاختة قال: كنت أنا وأبو سلمة السراج ويونس بن يعقوب والفضيل بن يسار عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له: جعلت فداك إني أحضر مجالس هؤلاء القوم فاذا ذكركم في نفسي فأي شيء أقول؟ فقال أبا حسين إذا حضرت مجالس هؤلاء فقل: «اللهم أرنا الرخاء والسرور، فانك تأتي علي ما تريد»<sup>٢</sup>.

إذن لدينا في ثقافة أهل البيت عليهم السلام أصلاً لا أصل واحد، أولهما: إمامة أهل البيت عليهم السلام في الولاية على المسلمين، وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفقه والعقائد والسنة، والأصل الآخر: هو العمل على إزالة عوامل الفرقة والسعي لتوحيد المسلمين. ونحن نجد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام إشارات وتأكيدات كثيرة حول هذه النقطة. ولو أننا عمقنا وكرسنا هذا الأصل في المذاهب الإسلامية لأمكننا أن نجد فرصة من أفضل فرص اللقاء الفكري والفقهى والاجتماعي والسياسي والحركي بين المسلمين. أسأل الله تعالى تحقيق آمال المسلمين وطموحاتهم في وحدة كلمة المسلمين.



(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٣ / ٢٨٢.

(٢) البحار للمجلسي ٦٨ / ٢٠١.

## نص رسالة الإمام الخميني

(١)

تنشر مجلة رسالة الثقلين رسالة الإمام الراحل روح الله الموسوي الخميني قدس سره مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران إلى الرئيس السابق لجمهوريات الاتحاد السوفياتي المنحل جوزيف غورباتشوف، وتنشر تباعاً شرحاً لها مستلاً من ترجمة شرح حامل الرسالة آية الله الشيخ الجوادى الأملى .  
«التحرير»

### نص رسالة الإمام الراحل الخميني قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد غورباتشوف رئيس مجلس السوفيات الأعلى...  
بعد الإعراب عن أمانى الخير والسعادة لكم وللشعب السوفياتي، فقد رأيت أن من الضروري التذكير ببعض القضايا... انطلاقاً من أن تصديكم للقيادة قد ولد إحساساً بأنكم قد أصبحتم في دورة جديدة تتسم بإعادة النظر والتغيير في التعامل مع الحوادث السياسية العالمية، لا سيما القضايا السوفياتية، وعسى أن تكون جرأتكم ومبادرتكم سبباً ليجاد التغييرات وقلب المعادلات الحاكمة في عالمنا المعاصر.  
وعلى الرغم من أن إطار همومكم وقراراتكم الجديدة قد يكون

منحصراً بأسلوب حلّ المشاكل الحزبية، وإلى جانبها حلّ بعض مشاكل شعبيكم، ولكن هذا المقدار بحدّ ذاته جدير أن تقدّر فيه شجاعتكم في إعادة النظر بالمذهب الفكري الذي سجن الثوريين في العالم بين أسواره الحديدية لسنين متمادية.

وإذا ما فكرتم بما وراء هذا الأفق فإنّ القضية الأولى التي نطمئن إلى أنّها ستكون سبباً لنجاحكم هي قضية إعادة النظر في سياسة أسلافكم المتمحورة حول محاربة الله والدين في المجتمع... فهذه السياسة - بلا شك - هي التي أنزلت أكبر وأهم ضربة بشعوب الاتحاد السوفياتي... واعلموا أنّ التعامل مع القضايا العالمية لا يمكن أن يكتسب الصفة الواقعية إلاّ عبر هذا الطريق.

ومن الممكن أن تميلوا إلى خيار العالم الغربي وما توهمه الرأسمالية لكم من جنيّة خضراء، مدفوعين بنتائج الاساليب الخاطئة والسياسات المنحرفة لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الاقتصادي، من الممكن أن يحدث لديكم هكذا ميل... ولكن الحقيقة هي في مكان آخر.

إنكم إذا أردتم في الظرف الراهن أن تحصروا جهدكم لحلّ المُقَدّ المستعصية في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعية عبر اللجوء إلى العالم الرأسمالي الغربي، فاعلموا ان نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبيكم، بل ستتجاوز ذلك الى ايجاد حالة تستلزم هذه المرّة مجيء من يعالج آثار أخطائكم، لان العالم الغربي مبتلى أيضاً بنفس ما ابتليت به الماركسية اليوم من وصول أساليب تعاملها مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلى طريق مسدود... والفرق هو في الصّور وشكلية الوصول إلى الطريق المسدود.

حضرة السيد غورباتشوف...

الواجب هو التوجه نحو حقيقة الواقع... ان مشكلتكم الأساسية لا تكمن في مشكلة الملكية والأزمة الاقتصادية وقضية الحريات، إن داءكم الحقيقي هو فقدان الايمان الحقيقي بالله، وهذا هو نفس الداء الذي قاد العالم الغربي إلى



الابتذال. والضياح إن أزمتمكم الحقيقية تكمن في محاربتكم الطويلة العميقة  
لله مبدأ الوجود والخلق.

حضرة السيد غورباتشوف

لقد اتضح للجميع أن البحث عن الشيوعية ينبغي ان يتوجه من الآن  
فصاعداً إلى متاحف التاريخ السياسي العالمي، ذلك لأن الماركسية لا تلبّي  
شيئاً من حاجات الإنسان الحقيقية، فهي مذهب مادي، ومحال ان تستطيع  
المادية إنقاذ البشرية من الأزمة التي خلقها فقدان الايمان بالمعنويات، الذي  
يمثل العلة الرئيسية لما تعانيه المجتمعات البشرية شرقية كانت أو غربية.

حضرة السيد غورباتشوف

من المحتمل أن تثبتوا عدم إغراضكم عن بعض جوانب الماركسية، ومن  
المحتمل أن تُظهروا - عبر مقابلاتكم مستقبلاً - إيمانكم الكامل بها، ولكنكم  
أنفسكم تعلمون حقيقة أن الواقع غير ذلك ... لقد وجه الزعيم الصيني الضربة  
الأولى للشيوعية وها أنتم تنزلون الثانية، ويبدو أنها القاضية، فلم يعد اليوم  
في عالمنا المعاصر شيء باسم الشيوعية. ولكني أريد منكم مؤكداً أن تحذروا  
الوقوع في سجن الغرب والشیطان الأكبر وأنتم تحطّمون جدران أوام  
الماركسية.

أمل أن تنالوا الشرف الحقيقي لإنجاز استئصال آخر الأعشاش المهرثة  
لحقة السبعين عاماً من انحراف العالم الشيوعي، استئصالها من وجه التاريخ  
وبلدكم.

إن الدول الحليفة لكم التي تخفق قلوبها لمصالح بلدانها وشعوبها لن تكون  
على استعداد بعد الآن لأن تهدر ثرواتها الوطنية بكلا نوعيها الظاهر والخزين  
من أجل إثبات نجاح الشيوعية، بعد أن وصل صرير تهشم عظام الشيوعية إلى  
أسماع أبناء تلك البلدان.

السيد غورباتشوف

عندما ارتفع نداء «الله أكبر» وإعلان الايمان برسالة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله وسلم

من مآذن مساجد بعض جمهورياتكم، تفجرت دموع الشوق في أعين كافة أنصار الإسلام المحمدي النقي الأصيل، الأمر الذي ألزمني بأن أذكركم بضرورة إعادة النظر في الفلسفتين المادية والإلهية. لقد وضع الماديون في فلسفتهم تجاه قضايا العالم - الحس - معياراً للوجود، فأخرجوا الشيء غير المحسوس مادياً من دائرة العلم واعتبروا الوجود قرين المادة الملازم لها، فما لا مادة له لا وجود له، واستتبع هذا المعيار أن اعتبروا عالم الغيب - كوجود الله تبارك وتعالى والوحي والنبوة والمعاد - اعتبروها جميعاً ضرباً من الأوهام والأساطير.

في حين أن معيار المعرفة في الفلسفة الإلهية هو أعم من أداتي «الحس والعقل» فيدخل «المعقول» المدرك بالعقل دائرة العلم حتى لو انعدم ادراكه بالحس، لذا فإن الوجود هو أعم من عالمي الغيب والشهادة، فبالإمكان أن يكون لما لا مادة له، وجود، وكما أن الموجود المادي يستند إلى «المجرد عن المادة» كذلك حال المعرفة الحسية فهي مستندة إلى المعرفة العقلية.

والقرآن الكريم ينتقد أساس التفكير والفلسفة المادية ويرد على الذين يتوهمون عدم وجود الله استناداً إلى أنه لو كان موجوداً لشوهد: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ يرد عليهم قائلاً: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

وبغض النظر عن استدلالات القرآن العزيز الكريم فيما يتعلق بقضايا الوحي والنبوة والمعاد التي ترونها أول الكلام، فإنني لم أرغب أن أزعجكم في تعقيدات مسائل الفلاسفة وتشعباتها، خاصة الإسلاميين منهم، فأكتفي بمثالين بسيطين اخترتهما لأنهما يدركان فطرياً ووجدانياً تستطيعون الانتفاع بهما:

أ - فمن البديهيات أن المادة والجسد - مهما كانا - جاهلان بذاتهما، فالتمثال الحجري المنحوت على شكل إنسان لا يعلم أي شطريه بحال الشطر الآخر، وهذه البديهية تنطبق على الجسد المادي للإنسان أيضاً، الذي يشترك في

عالم المادة مع التمثال المنحوت من الحجر، ولكننا نشهد عياناً أن الإنسان -والحيوان- مطلع على ما حوله من كافة الجهات، فهو يعلم أين هو؟ وماذا يجري حوله؟ ويعلم أي ضجة تُلَفّ العالم؟ إذن فهناك في الحيوان والإنسان شيء آخر هو فوق الجادة و من غير عالمها، لا يموت بموتها بل هو باق.

ب- إن الإنسان بفطرته طالب بصورة مطلقة لكل كمال، وأنتم تعرفون جيداً أن الإنسان ينزع إلى أن يكون القوة المطلقة في العالم فلا يتعلق بأي قوة ناقصة محدودة، ولو امتلك العالم وقيل له أن هناك عالماً آخر، لمال فطرياً إلى إخضاع ذلك العالم الآخر لسلطته أيضاً، ومهما بلغ الإنسان من العلم وقيل له أن هناك علوماً أخرى لمال مدفوعاً بفطرته إلى تعلّمها، إذن فلا بد أن تكون هناك قوة مطلقة وعلم مطلق ليتعلّق الإنسان بهما.

هو الله تبارك وتعالى... الذي تتوجّه إليه جميعاً ولو كنّا أنفسنا نجعل ذلك... الإنسان يريد الوصول إلى «الحقّ المطلق» ليدوب في الله. ومبدئياً فإنّ الشوق إلى الحياة الخالدة المتأصل في فطرة كل إنسان هو دليل وجود عالم الخلود المنزه عن الموت.

وإذا رغبتُم في التحقيق في هذا الموضوع فيمكنكم أن تأمروا المختصين بهذه العلوم أن يراجعوا -إضافة إلى كتب الفلاسفة الغربيين- مؤلفات الفارابي وأبي علي بن سينا رحمه الله عليهما في «حكمة المشائين» ليتّضح أن قانون العلة والمعلول هو معقول وليس محسوساً رغم أن كافة المعايير -الحسية والعقلية- تستند إليه، وليتّضح أن إدراك المعاني الكلية والقوانين العامة هو إدراك عقلي لاحسي رغم أن أي نوع من الاستدلال: حسيّاً كان أو عقليّاً يعتمد عليها. وكذلك يمكنهم الرجوع إلى كتب السهروردي رحمه الله عليه في «حكمة الاشراق»، فيشرحون لكم أن الجسم وكلّ موجود ماديّ مفتقر إلى النور المطلق المنزه عن أن يدرك بالحس، وأن الإدراك الشهودي العياني من نفس الإنسان لحقيقته منزه أيضاً من الظواهر الحسية.

واطلبوا من الأساتذة الكبار أن يراجعوا «أسفار الحكمة المتعالية» لصدر

المتألهين رضوان الله تعالى عليه وحشره مع التبين والمالعين لتتضح أَنَّ حقيقة العلم هي ذلك الوجود المجرد عن المادة وَأَنَّ أي معرفة حقيقية هي منزّهة عن المادة ولا تخضع لأحكامها ومقاييسها.

ولا أتعبكم أكثر، فلا أتطرق إلى كتب «العرفاء» لا سيّما محيي الدين بن العربي، وإذا شئت الاطلاع على مباحث هذا الرجل العظيم فيمكنكم أن تختاروا عدداً من الأذكياء من خبرائكم الذين لهم باع في أمثال هذه المباحث وترسلونهم إلى «قم» ليطلعوا «بالتوكل على الله» وبعد عدّة سنين على العمق اللطيف لمنازل المعرفة، والدقيق غاية الدقة، ومحال بدون هذا السفر الوصول إلى هذه المعرفة.

#### حضرة السيد غوريا تشوف

والآن وبعد الإشارة إلى هذه القضايا وتقديم تلك التمهيدات، أطلب منكم: أن تحقّقوا - بدقّة وعمق وجديّة - حول الإسلام، ليس لأنّ الاسلام والمسلمين بحاجة إليكم، بل لما يتضمّنه الاسلام من قيم سامية ولما يمتاز به من شموليّة عالميّة، يستطيع بها - وبيسر - أن يكون الخيار الناجح القادر على إنقاذ جميع الشعوب وحلّ كافة المعضلات الأساسية التي تعاني منها البشرية... إنّ التوجه والتدبر الجادّ في الإسلام قادر على إنقاذكم - ونهايتياً - من مشكلتكم في أفغانستان وأمثالها في العالم.

إنّنا ننظر إلى مسلمي العالم كافّة بنفس نظرتنا إلى مسلمي بلدنا... وعلى الدوام نرى أنفسنا شركاء مصيرهم. لقد أثبتّم - عبر الحرية النسبية في أداء الشعائر الدينية التي سمحتّم بها في بعض الجمهوريات السوفياتية - أثبتّم أنكم لم تعودوا تفكرون بأنّ «الدين أفيون الشعوب»، وكيف ذلك... فهل إنّ الدين الذي صمد في ايران كجبل أشم يواجه القوى الكبرى هو أفيون للشعوب؟!!

وهل إنّ الدين الذي يطالب بتحكيم العدالة في العالم والمطالب بحرية الإنسان من القيود الماديّة والمعنوية هو أفيون الشعوب؟!!

نعم... إنَّ الدين الذي يُحوَّل إلى أداة لإخضاع الثروات المادية والمعنوية للبلدان - الإسلامية وغير الإسلامية - لأطماع القوى الكبرى والقوى السلطوية ... هكذا دين هو أفيون الشعوب...

نعم فالدين الذي يُضْمُّ أَسْماع الجماهير بصراخ «فصل الدين عن السياسة» هو أفيون الشعوب ولكن هذا ما هو بالدين الحقيقي، إنما هو الذي تُسمِّيه جماهيرنا بالدين الأمريكي...

وختاماً... فإنِّي أعلنها صراحة: أنَّ الجمهورية الإسلامية في إيران وباعتبارها أكبر وأقوى قاعدة للعالم الإسلامي تستطيع بيسر أن تسدَّ الفراغ العقائدي في نظامكم! وعلى أيِّ حال فإن بلدنا - وكما كان في السابق - يؤمن بمبادئ حُسن الجوار والعلاقات المتكافئة ويحترم هذه المبادئ... والسلام على من اتبع الهدى □

روح الله الموسوي الخميني

الحادي عشر من الشهر العاشر من السنة الهجرية الشمسية ١٣٦٧

## ﴿ مقدمة شرح رسالة الامام ﴾

### الثورة الاسلامية والهداية الفكرية:

لابد لكل ثورة من أساس تنطلق منه، وتصدر عنه، وتبقى ببقائه. وكما كان أساس الثورة الاسلامية في انطلاقتها وصدورها هو الهداية التي تخاطب الفكر، فستبقى الثورة الاسلامية ببقائه.

وكما استطاعت هذه الثورة المباركة أن تحرك الناس وتستنهضهم في ايران بهذه الهداية، فإن ايقاظها للناس خارج ايران لا يتم إلا بها. ومن هنا تتلمس السبيل إلى فهم معنى تصدير الثورة الاسلامية.

### معنى تصدير الثورة

ولقد فهم بعضهم أو حاول أن يوحي أن تصدير الثورة نوع من التدخل من بلد في شؤون البلدان الأخرى. وهو فهم خاطئ وإيحاء مغرض، فتصدير الثورة الاسلامية لا يعني إلا تصدير الإجابة عن الأسئلة التي يثيرها الفكر المتعطش في كل مكان، ومن حقّه ان يجد الجواب القاطع عنها ولا شيء يروي غلته إلا المعارف الآلهية.

ولما كانت الهداية إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا من خلال ركنيها الفاعل والقابل معاً، وكان المبدأ الفاعل لها وللخلق جميعاً هو الله عز وجل، وكان المبدأ القابل ماركزه الله بيده في فطرة الناس من معرفته؛ فإن وظيفة القادة الإلهيين إيصال نداء هاتف الغيب الذي تعهده أسماع القلوب وتألفه وتأنس به إلى كل مشتاق مترقب له متلهف إليه، لئلا يحرم فرد أو جماعة في مكان أو زمان من هذه النعمة الإلهية العظيمة.

## وراثة الأنبياء والائمة:

وإن الثورة الإسلامية امتداد حقيقي لطريق طويلة شقها حملة الرسالات عموماً، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه خصوصاً. ولم تكن قيادة الإمام الخميني قدس سره لها إلا تجسيدا للنبياء العامة عن أئمة الدين عليهم السلام وهكذا فقد استمد الإمام خطوط الهداية التي تنطلق بها ثورته وقيادته من صميم التعليمات الدينية.

## التدرج في التطبيق لا في أصل البعثة:

ولو رجعنا إلى ما استلهمته الثورة الإسلامية من دروس البعثة النبوية لوجدنا أن الطابع العالمي لرسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أصيل فيها لا ينفصل عنها بحال، إلا أن ظروف التطبيق اقتضت التدرج من الدائرة الصغرى وهي قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أوسع دائرة وهي الامبراطوريات الكبرى، دون أن يعني ذلك أن الرسالة نفسها تبدلت طبيعتها فكانت ضيقة الإطار ثم اتسعت.

والآيتان الكريمتان ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ و﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ لا تعبيران عن سمتين متباينتين للرسالة الإسلامية تطورت من إحداها إلى الأخرى، وإنما تشيران إلى التطبيق التدريجي للطابع العالمي الثابت لها.

وكذلك الآيتان الكريمتان ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ و﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ تظهران التدرج في التطبيق لا التطور في طبيعة الرسالة.

## عالمية النهضة الإسلامية في إيران:

واقتداءً بحركة الرسالة الإسلامية واستمراراً لها فإن النهضة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره في إيران اتسمت بطابع العالمية في التوجه إلى هداية البشرية كلها. وإذا كنا نجد الإمام الخميني رضي الله عنه ابتدأ يركز بياناته وخطبه باتجاه الشاه المقبور وأركان السلطة البهلوية الفاسدة فضحاً وتعرياً وإسقاطاً، ثم نجده - أخيراً لا آخراً - يطلق

رسالته باتجاه «غورباتشوف» فهذا لا يعني تبدلاً في طبيعة نهضته وإنما يجسّد أسلوباً من أساليب تنفيذ الوراثة العامة عن أولي العزم الإلهيين من الانبياء والأئمة.

### الفهم الديني للإمام الخميني قدس سره

لقد تميّز الامام الخميني قدس سره فيما تميّز به بفهم للدين لا ينحصر في زاوية ضيقة، فليس كفهم بعض متطرّفي «الأخباريين» الذين ينظرون إلى الدين من خلال نافذة التحجّر الضيقة و زاوية الجمود والخمول المظلمة، ولا كفهم بعض «الأصوليين» الذين يرونه من خلال مباحث الألفاظ والأصول العملية؛ ولا نظير فهم «الحكماء والعرفاء» الذين يجمعون - في أفقهم العلمي الرفيع ومقامهم الشامخ - بين عالم الغيب وعالم الشهادة نظرياً إلاّ أنهم عملياً ليسوا على صراط مستقيم من الأنس والألفة بين العالمين بل هم أكثر انشداداً إلى عالم الغيب.

ولكنّ فهم الامام الخميني رضي الله عنه للدين بفقه الأصغر والأوسط والأكبر قبس من نور فهم الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام هؤلاء الذين امتزجت ذواتهم المظهرية بنبضات عالمي الغيب والشهادة، وتعاثق العالمان فيهم على مستوى النظر والتطبيق، فأصلوا لذلك كلّ طريقاً عملية لا طريق سواها وهي طريق تأسيس الحكومة الإسلامية.

ولا يكون ذلك ممكناً في إطار علاقة المحدث بالمستمع كما يرى بعض «الأخباريين» ولا في حدود الارتباط بين مرجع التقليد والمقلّد كما هي سيرة بعض «الأصوليين» ولا في دائرة تعليم المعارف وتهذيب النفوس وإقامة البراهين والأدلة على الوحدة التشكيكية أو الشخصية للوجود ونظائرها كما هو دأب بعض «الحكماء والعرفاء» وإنما يكون ممكناً فحسب بحفظ محاسن كل تلك العلائق، متوجّهة جميعها بعلاقة الفقيه العادل الجامع للشرائط بالناس، وهي علاقة الإمام القائد بالأمة المؤمنة المطيعة، وتلك هي العلاقة التي أسسها الأئمة المعصومون عليهم السلام ورشّحوها لنوابهم.

### النبوغ الفقهي للإمام الخميني رضي الله عنه

لم يتمثّل نبوغ الإمام الفقهي في طرحه لأصل مسألة ولاية الفقيه، فللمسألة تاريخ مديد، وقد سبق إلى أصل طرحها فقهاء وفقهاء، ولا في جمع أدلتها العقلية والنقلية، فالاستدلال



عليها ليس بالأمر الجديد، ولا في تدوين رسالة مستقلة فيها فئمة رسائل عاجتها باستيفاء، ولكن نبوغه إنما يتجلى في الأمور التالية:

- ١- أنه رأى أن الأرض كلها والعصور جميعاً تتناولها ولاية الفقيه النائب عن الإمام أرواحاندا.
- ٢- اتحاد عقله العملي بالولاية واتحاد عقله النظري بالفقاهة. ولقد ارتقى إلى أفق من التجرد فأسقط الحجاب بين النظر والعمل، فإذا الفقاهة الممزوجة بالولاية والولاية المعجونة بالفقاهة تتحدان بروح هذا الإنسان، كما تتحد النفس في مقام تجردها العقلي التام «اتحاد العاقل بالمعقول».

### الفرق بين الإفتاء بولاية الفقيه والفقه الولائي:

وقد يكتب احدهم كتاباً عن ولاية الفقيه العادل النائب عن إمام العصر أرواحاندا. وقد يكون له من الناحية العلمية - شأن الإمام الخميني ندس سر - رسالة بهذا الصدد؛ ولكنه من الناحية العملية يسلك مسلك سائر أفراد الأمة فلا يتحرك خطوة باتجاه تحقيقها وتنفيذها، فهذا الفقيه على الرغم من اعتقاده فطرياً بها ودفاعه عنها يفتقر إلى تشرب فكره بها، وظهور آثار ذلك في عمله ومسلكه، فهو إذ يعتقد أن شروط تحصيلها حصولية لا حضورية، وأن جميع مقدمات هذا الواجب إنما هي من قبيل المقدمات الوجودية التي لا يكلف الإنسان بالسعي إليها وتهيئتها؛ إنما يطرح المسألة إذ كما تُطرح أي مسألة فقهية لم يعد لها موضوع في الخارج، كمسألة العبيد والإماء مثلاً والتي تطرح عادة «لشحن الأذهان»! مع أنها ليست موضع حاجة ولا محل ابتلاء.

وكما يتأكد الفرق بين التفوّه بالإمامة والتنظير لها وبين امتزاج الفكر بها والالتزام العملي بمقتضياتها؛ فإن الفرق ذاته يتضح بين القائل بولاية الفقيه وصاحب الفقه الولائي. والتمايز بينهما إنما هو في كيفية النظر إلى الفقه وفي تنفيذ أحكامه كافة.

### تساوي القصر والكوخ:

وعلى هذا الأساس فإن الإمام الخميني رضي الله عنه قام مرة بجعل «البيت الأبيض» للغرب تحت سلطة من قهر أولياء الله فقال (لا يمكن لأمريكا أن ترتكب أية حماقة).

## دراسات

ومرة أخرى بجمل «قصر الكرملين» في الشرق تحت ظل من لطف أولياء الله وكأنه كوخ محرومين، داعياً رئيسه ومن حوله الى دين الاسلام الحنيف ليخرجوا من ظلمات الإلحاد إلى نور التوحيد.

تاريخ سفر الوفد ومدة توقيفه في موسكو وكيفية استقباله:  
غادر الوفد المعين من قبل الإمام الخميني قدس سره طهران متوجهاً إلى موسكو في اليوم الثاني عشر من الشهر العاشر لعام ١٣٦٧ الهجري الشمسي و عاد إلى طهران في اليوم الثالث عشر منه.

واستغرقت مدة ذلك السفر التاريخي ثلاثاً وعشرين ساعة.  
وكان في استقبال الوفد على أرض مطار موسكو الدولي الممثل الخاص للزعيم السوفياتي، وجمع من كبار المسؤولين السياسيين، وإمام جمعة موسكو، بالإضافة إلى سفير الجمهورية الإسلامية المحترم وعدد من أعضاء السفارة الموقزين.

المواضيع التي طرحت اثناء الاستقبال والتوديع:  
لم يرق رئيس الوفد بعقد أي اتصال سياسي مع شخص أو جهة قبل لقائه بالزعيم السوفياتي، لأن الزيارة لم تكن إلا لإبلاغ الرسالة وتبيين مضمونها العميق فقط، إلا أنه تمّ خلال الاستقبال وأثناء التوديع تفصيل الحديث عن التوحيد ونفي الإلحاد على اساس من البرهان قاطع، وعلى اساس من الفطرة تارة أخرى.  
ولم تُنفق فرصة الاربعين كيلومتراً بين مدينة موسكو ومطارها ذهاباً وإياباً إلا في ذكر الحق وآثاره والدعوة إلى الله سبحانه، ومحاولة إحياء الفطرة في أولئك الماركسيين الملحدين.

### مهمة الوفد:

لقد صمّم الوفد على أساس من توجيهات الإمام رض الله عنه على أن تكون مهمته تبليغية محورها رسالة الإمام، وان يكون أسلوبه تعليمياً إرشادياً لا دبلوماسياً.  
ولا يعني ذلك الإخلال بالاحترام المتبادل وبمراعاة الأدب مراعاة كاملة، فتلك وظيفة

اسلامية عالمية لا تختص بجهة دون جهة ؛ ولكن المهم في هذا الأسلوب عدم التخلي عن جذية القول الفصل الإلهي، لما يمكن ان يسمح به من الهزل والمزاح في العرف الديبلوماسي، ولألا تُذبح صلابة الدعوة إلى التوحيد بالإدهان والوهن على مذبح اساليب التلاعب السياسي. فعلى الوفد باعتباره رسولاً أميناً أن يقوم بإلقاء نص الرسالة بطريقة المدرّس لا المحاور الديبلوماسي، وان لا يكتفي بقراءة ألفاظ الرسالة، بل يشفعها بإيصال معانيها ومضامينها. استعداداً لتلك المهمة ولأدائها على ذلك النحو والمستوى صلّى الوفد قبل مغادرة محلّ إقامته سائلاً الذات الإلهية بلسان الحاجة والافتقار ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾.

وتمتلى الشعور بطمأنينة الروح، وعدم التأثر بأبهة «قصر الكرملين» والاستعداد لإلقاء الرسالة بطريقة تعليمية إرشادية، جاء إلهام الهاتف الفيبّي من خلال الآية القرآنية ﴿قال قد أوتيت سؤلک یا موسی﴾.

أنها للحظة تاريخية فيها هي ذي قدرات الاحزاب الماركسية ومراكز نفوذها قد تلاشت وتبدّدت، وما قد وصلت دعوة السفراء الإلهيين الى أسمع الجميع ﴿فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليمّ وهو مليم﴾.

### كيفية ابلاغ الرسالة:

ولقد اتّبع في ابلاغ الرسالة الطريقة التالية:

فبادئ ذي بدء كانت تتم قراءة الرسالة كلمة كلمة بتؤدة مع التوضيحات اللازمة لبعض مقاطعها ويقوم المترجم بنقلها الى «غورباتشوف» ورفيقه، وإذا استعصى على المترجم فهم كلمة أو جملة فإنه يستوضح عنها، وبعد فهمه للمقصود فهماً كاملاً يقوم بترجمته ونقله إلى الزعيم السوفياتي.

وأما غورباتشوف ورفيقاه فكانوا خلال خمس وستين دقيقة استغرقتها قراءة الرسالة والتوضيحات حولها يدوّنون النقاط الرئيسة للرسالة.

### كيفية تلقّي الرسالة:

وكان الرئيس السوفياتي يستمع إلى الرسالة بمنتهى اللطف الديبلوماسي، ولكن الرسالة بما تحمله في متنها وإنشائها، من أوج الهداية إلى التوحيد دونما انحطاط إلى الحضيض الديبلوماسي، وبطريقة ابلاغها التدريسية لا التقريرية الصرفة، كانت تطبع تأثيراتها فيه، فإذا بعض العلامات تظهر على وجهه مصحوبة بالانفعالات، المعبرة عن ارهاصات الفطرة المركوزة في نفسه مصداقاً للآية الكريمة ﴿فبهت الذي كفر﴾.

### سرية رسالة الإمام التاريخية:

جاءت رسالة الامام التاريخية هذه في أعقاب الموافقة على القرار «٥٩٨» وفي وقت دخلت فيه الجمهورية الإسلامية في ايران مرحلة الإعمار وإعادة بناء ما دمرته الحرب المفروضة على مدى ثماني سنوات.

و ظل مضمونها سرّاً لم يطلع عليه إلا القليل من مسؤولي الجمهورية الإسلامية المحترمين. لذا لم يكن بوسع الزعيم السوفياتي خصوصاً والقادة السوفيات عموماً أن يحتملوا ما ينطوي عليه مضمون الرسالة بالفعل. ولقد تصوّر كل شيء إلا أن تتعلّق بالدعوة إلى الإسلام المحمديّ الأصيل صلى الله عليه وآله وسلم.

وحين تبين لهم من سماع الرسالة وخطوطها الأصلية خطأ تصوراتهم وتوقعاتهم لم يجدوا جواباً حقيقياً عليها لا في العاجل ولا الآجل، وهذا ما عبّر عنه الإمام رضی الله عنه لمبعوث «غورباتشوف» وحامل رسالة الردّ «شيفار نادزه»: (لقد اردت أن اقتح له كوة من عالم الغيب لا أن اتحدّث معه عن قضايا المادّة).

وبعد ان استمع الزعيم السوفياتي بدقّة إلى الرسالة وفهم قصد الإمام، أخذ نفسه بالتأني العميق والتدبر قبل تقديم ملاحظاته عليها، وقد استغرقت الملاحظات وجواب الوفد عنها مدة ساعة من الزمن.

### خلاصة ملاحظات الزعيم السوفياتي:

وكانت خلاصة ملاحظات الزعيم السوفياتي وتعليقاته التي نقلها المترجمون إلى الفارسية

مايلي:

- ١- أشكر للإمام الخميني إرساله الرسالة.
- ٢- سأجيب عن الرسالة في الوقت المناسب.
- ٣- سأعلن مضمون الرسالة لعلماء الاتحاد السوفياتي.
- ٤- قلت سابقاً إنه يمكن مع الاختلاف في العقائد المحافظة على علاقات حسن الجوار.
- ٥- نحن في طريقنا الى إقرار قانون يطلق للأديان حريتها.
- ٦- لقد دعانا الإمام الخميني إلى الإسلام فهل يمكن ان ندعوه كذلك الى عقيدتنا «وهنا ابتمس وقال مرتين انها مژحة».
- ٧- هذه الدعوة هي نوع من التدخل في شؤون بلد آخر لأن لكل بلد الحرية والاستقلالية في اختيار عقيدته.

### الجواب النهائي للوفد:

وبعد ان تفهم الوفد الاسلامي تلك الملاحظات اعتبر الفقرة السابعة السالفة اكثرها خطراً وأهمية، اذ تمثل تعاملاً سياسياً مع الرسالة لا تعاملاً ثقافياً فكرياً محضاً. ولا شك في ان الرسالة حين يضاف عليها الطابع السياسي فستعتبر تدخلاً في شؤون بلد آخر، وبهذا تُلقي ظلال من التشكيك على أصل الرسالة والهدف من إرسالها فلا يلتفت الى مضمونها.

لهذا بادر مسؤول الوفد الى تقديم الجواب النهائي عن ملاحظات الزعيم السوفياتي:

- ١- نشكر لكم صبركم على استماع الرسالة.
- ٢- نقوم استعدادكم لإرسال الجواب عنها.
- ٣- ان إعلانيكم مضمون الرسالة لعلماء بلدكم مما يستحق التنويه.
- ٤- نشتم عملكم على إصدار قانون يكفل للأديان حريتها في بلدكم ونأمل أن يتم ذلك سريعاً.
- ٥- ولا شك في أنه من الممكن العيش بسلام مع اختلاف العقائد الدينية فيما لو روعيت الأصول الإنسانية.

تهذيب روح القادة وارشادهم ليس تدخلاً في شؤون البلد الآخر  
 اما بالنسبة إلى التدخل في الشؤون الداخلية للبلد الآخر:  
 فلا بد لتوضيح ذلك من القول بأن لكم كامل الحرية في التصرف بأعماق تراب روسيا  
 وأوج فضائها.  
 ولا حق لأحد في التدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر ولكن محتوى هذه الرسالة هو  
 على غرار رسائل القادة الإلهيين فلا دخل له بما تحت الأرض وما عليها، ولا بفناء روسيا  
 وما فوقه وإنما هو مرتبط بروحكم فحسب.  
 سيادة الرئيس «غورباتشوف»: أموتكم كموت الشجرة ليس أكثر من ذبول وتفسخ  
 للجسد؟! ولا يبقى بعده أي أثر للحياة؟! أم أن روحكم كالطائر الحبيس في قفص الطبيعة وما  
 موتكم إلا بمثابة فتح لباب القفص لتنتقل الروح إلى العالم الأبدى؟  
 لاشك في أن الجواب هو الثاني لا الأول، ومضمون رسالة الإمام لم يكن إلا للدعوة إلى  
 التوحيد وتجنب الألحاد، وهذا لا يتعلق ببلدكم بل بروحكم.  
 نعم حين تصبح روح الإنسان موحدة فسينتهج الطريق الصحيحة لإدارة البلد إدارة جيدة.  
 يتبع

السيد كاظم الحائري

### المدخل:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الذي بعثه لتتميم مكارم الأخلاق وعلى آله السادة الأبرار الذين انتجبهم ليكونوا هداة الخلق إليه كما يحب ويرضى. لكل علم تعريف وموضوع وغاية، ينبغي توجه الباحث إليها ليتسنى له رسم الخطوط العريضة لبحثه ولئلا يخرج عن الحدود التي ينبغي له الالتزام بها كباحث موضوعي. وحيث نروم البحث في علم الأخلاق، فمن المناسب التمهيد له بما يلي:

- ١- تعريف علم الأخلاق.
- ٢- موضوع علم الأخلاق.
- ٣- غاية علم الأخلاق والحاجة إليه.
- ٤- أسلوب ومنهج البحث في علم الأخلاق.

و قد قيل في تعريفه: بأنه العلم الذي يبحث عما يحسن أو يقبح من صفات النفس الإنسانية.

فموضوعه هو: الفضائل والرذائل من الصفات النفسية.  
وغايته هي: تهذيب النفس الإنسانية من رذائل الصفات، وتكميلها بالفضائل.  
وللإمام بما يهتم الباحث في علم الأخلاق نشير الى مايلي:

## أ - الخُلُق:

يعني الصفة الراسخة في النفس، فمن هنا اختص علم الاخلاق بالبحث عن الصفات الراسخة في النفس، على حين نجد علماء الاخلاق يبحثون عن أفعال الانسان أيضاً من حيث اتصافها بالفضيلة والرذيلة «الحسن والقبح» وإن لم يكن الفعل الصادر من الانسان صادراً عن ملكة وصفة راسخة، «كالكذب الذي يصدر أحياناً ممن يتصف بملكة الصدق».

ومن هنا يتعين أن يقال بأن علم الاخلاق: يبحث عما يحسن أو يقبح من صفات النفس وأفعالها. وبهذا سوف يعم موضوعه الصفات النفسية والأفعال من حيث اتصافها بالحسن أو القبح. وتكون غايته أيضاً تهذيب النفس من رذائل الصفات والأفعال وتحليتها بالفضائل من الصفات والأفعال.

أو يقال: بأن البحث يختص بالملكات والصفات النفسية الراسخة بحيث يشمل كل درجات الرسوخ لتدخل ملكة الصدق مثلاً وإن منعت من الكذب أحياناً لا دائماً. أو يقال: بأن الفعل الصادر من الانسان يهتم الباحث الاخلاقي من حيث تأثيره في إيجاد صفة نفسية أو إزالتها.

ويرتّب على هذا التوجيه الأخير أن يبحث علم الاخلاق عن الأفعال الانسانية من حيث تأثيرها في الصفات لامن حيث حسنها أو قبحها بما هي أفعال. وسوف يأتي أن الفعل يتصف بالحسن أو القبح بما هو فعل لا بما هو مؤثر في ترسيخ صفة نفسية أو إزالتها.

## ب - الحسن و القبح في علم الأخلاق:

للحسن والقبح معانٍ ثلاثة:

١ - ما يلائم الطبع وما لا يلائمه، كحسن منظر بالنسبة لإنسان وقبحه عند إنسان آخر. و هذان أمران نسبيين.

٢ - ما يعدّ كملاً للنفس أو نقصاً لها، كالذكاء والغباء، فإنهما غير اختياريين ولا يستحق الانسان عليهما مدحاً أو ذمّاً.

٣ - ما ينبغي أن يكون أو يُعمل وما لا ينبغي أن يكون أو يُعمل، فهما وصفان للأفعال



والصفات النفسية ويستلزم الحسن استحقاق المدح أو الثواب، ويستلزم القبح استحقاق الذم أو العقاب. ويرتبطان باختيار الانسان وإرادته لا كالكاء والغباء، ولا يكونان نسيبين كحسن طعم هذا الطعام عند انسان أو قبح طعمه عند آخر.

ويمتاز الحسن والقبح المقصودان في علم الاخلاق بما يلي:

١ - أنهما من مدركات العقل العملي، وللعقل العملي معانٍ ثلاثة:

أ - الذي يدرك ما ينبغي أن يقع.

ب - الذي يدرك ما ينبغي أن يعمل.

ج - الذي يدرك ما يؤثر مباشرة في تحديد الوظيفة (وهو أدقها).

٢ - أنهما وصفان حقيقتان لا اعتباريان وجعليان، فلا يتوقفان على الإدراك ولا على طبع إنسان وذوقه.

٣ - أنهما ينتهيان إلى استحقاق الثواب أو العقاب في الأفعال.

### ح - علم الاخلاق مزيج من العلم والمذهب:

حينما يبحث علم الاخلاق في الفضائل والرذائل، فاننا نبحت عن مذهب سلوكي معين يجب أن نسلكه في الأفعال والصفات، فهنا منهج عملي «يقم الصفات والأفعال» ينبغي للانسان أن يكتف نفسه «سلوكه و سيرته» عليه، وهذا ما نسميه بالمذهب الأخلاقي أو النظام الأخلاقي أو مجموعة القيم التي تحكم سلوك الانسان وسيرته.

ولكل مذهب أو نظام أصول نظرية يركز عليها، فللمذهب الأخلاقي في الاسلام مثلاً نظرية أخلاقية يركز عليها، وفي هذه النظرية يبحث عن الأسس النظرية التي تؤدي إلى هذا المذهب المعين.

وإذا سمينا البحث عن الاسباب والنتائج لظاهرة ما في مجال من المجالات بحثاً علمياً، كان البحث عن أسباب تكون الصفات النفسية أو الأفعال وتنتجها بحثاً عن علم الأخلاق بما يقابل المذهب الاخلاقي.

فهنا ثلاثة انواع من البحث ينبغي للباحث الاخلاقي أن يهتم بها:

١ - النظرية الأخلاقية = معايير القيم الأخلاقية ومقاييسها (دليل التقويم) = دليل اتصافها

بالقيمة الأخلاقية أي بالحسن أو القبح.

٢ - النظام الأخلاقي = المذهب الأخلاقي = الأخلاق العملية = ما ينبغي وما لا ينبغي = «مجموعة القيم الأخلاقية».

٣ - الأخلاق النظرية «العلمية» = البحث عن الأسباب والنتائج المرتبطة بالصفات و الأفعال الحسنة أو القبيحة = الأسباب المؤثرة في تكون ظاهرة أخلاقية والنتائج الناجمة عنها.

د - غايات العلوم وكيفية تحقيقها:

١ - قد تحصل الغاية في بعض العلوم بنفس الإدراك أو الالتفات الى ما في ذلك العلم من معلومات، كعلم المنطق الذي يُبتغى منه صيانة الفكر عن الخطأ، إذ يكفي لحصول هذه الغاية التفات المفكر عند تفكيره إلى قوانين علم المنطق.

٢ - وقد لا تحصل الغاية بمجرد الالتفات بل يكون تحصيلها مرتبطاً باختيار الانسان وإرادته كعلم الصرف والنحو الموضوعين لصيانة اللسان عن الخطأ في المقال. فإن مجرد الالتفات الى قواعدهما لا يكفي لتحقيق صحة الكلام وابتعاده عن اللحن في القول. بل للمتكلم أن يستعمل القواعد الصرفية والنحوية ويطبقها على كلامه، وله ألا يستعملها.

٣ - وعلم الأخلاق يجمع كلا السنخين من التأثير على النفس الإنسانية. فقد يؤثر تأثيراً قهرياً في ايجاد أشواق خيرة للانسان وبالتالي حصول الملكات الفاضلة للنفس، كما أن للانسان أن يستعمل قواعده ويجد في تطبيقها على سلوكه وأحواله فيزداد كملاً وتزداد ملكاته الفاضلة رسوخاً وملكاته الرذيلة زوالاً واضمحلالاً.

هـ - حاجتنا لعلم الاخلاق:

تنبع حاجتنا لعلم الاخلاق من :

١ - الضرورة الخلقية التي تحملها الأخلاق ذاتاً.

٢ - كمال الأخلاق الفاضلة ذاتاً ونقص الأخلاق الرذيلة ذاتاً.

٣ - تأثيرها في سعادة الانسان في الحياة الدنيا «العاجلة» والاخرى «الآجلة».

و- ما يهّم الباحث هنا هو ما يلي:

أولاً - النظرية الأخلاقية.

ثانياً - النظرية التربوية.

ثالثاً - النظام الأخلاقي.

رابعاً - النظام التربوي.

مقاييس الفضيلة والرديلة:

لكل نظرية أسس «مباني» وعناصر ونتائج، وأهم بحث في مجال عناصر النظرية الأخلاقية هو بحث المقاييس أو معايير القيم الأخلاقية وملاكات الأحكام الأخلاقية.

والمقاييس التي تذكرها عادة هي:

١- العرف أو بناء العقلاء.

٢- القانون.

٣- الدين أو الوحي الإلهي.

٤- المصلحة والمفسدة.

٥- العواطف والعادات.

٦- العقل.

٧- الوسط العادل «نظرية الأوساط».

٨- العدل والظلم.

وتختلف هذه المقاييس في جوهرها:

١- فبعضها مقياس في تأسيس الحسن والقبح، كما قد يقال في بناء العقلاء أو القانون.

٢- وبعضها مقياس في التعبير والكشف عنهما كما يقال في العقل.

٣- وبعضها عنوان عام للفضائل والردائل يكون هو الحسن الأولي والقبح الأولي بالقياس الى ما تحته من مصاديق كما قد يقال في العدل والظلم.

٤- وبعضها عنوان عام ملازم للفضائل والردائل كما قد يقال في نظرية الأوساط أو الوسط العادل.

وها نحن نستعرض هذه المقاييس وننقدها، ولا يكون نقدها بالبرهان بل بالتجزئه و التحليل وتحديد الاحتمالات ليسهل الالتفات الى حكم الوجدان لها أو عليها.

### المقياس الأول: العرف أو بناء العقلاء.

كل ما تطابق العقلاء على حسنه كان حسناً وما تطابقوا على قبحه كان قبيحاً. ولتخريج هذا الملاك نذكر وجوهاً ثلاثة:

أ- حكم العقل يلزم أتباع العقلاء فيما تطابقوا عليه من حسن أو قبح من دون حاجة الى إمضاء المشيخ لهذا البناء العقلاني.

إذاً فالحسن ذاتاً هو أتباع العقلاء والقبح هو مخالفتهم. وهذا يعني أن للعقلاء علينا ولاية عقلاً، ولكن لا نجد في عقولنا وجداننا ما يدل على هذه الولاية.

ب - دعوى ان العقلاء هم المؤسسون للحسن والقبح، من دون أن يكون هناك ملاك لتأسيس الحسن والقبح على أساسه. وهذا يعني انكار الحسن والقبح الواقعيين «الحقيقيين» وادعاء كونهما جمليين «اعتباريين» وبهذا سوف ننكر الضرورة الخلقية التي نجدها بوضوح في مثل قبح ضرب الطفل بلا سبب مثلاً أو إهائته واحتقاره. أو قبح مجازاة الإحسان بالإساءة وحسن مجازاة الإحسان بالإحسان.

ج- إن بناء العقلاء إذا أمضاء الشخص وجب عليه عقلاً أتباعه. وهذا المقياس إنما يصح إذا كان هذا الإمضاء مصداقاً للوعد والشرط. فبقدر ما يحسن الوفاء بالوعد والشرط يحسن هذا الأتباع. وحينئذ فلا ينبغي أن يجعل هذا مقياساً كلياً للفضيلة والرديلة.

على أن الشخص بإمكانه ألا يُمضي البناءات العقلانية، ويتحرر من التكاليف الأخلاقية. إذن لا يصح جعل العرف أو بناء العقلاء مقياساً عاماً مستقلاً للفضائل والردائل، نعم يمكن أن يكون منشأ البناء العقلاني هو ما في الأفعال من مصالح أو مفاسد.

وحينئذٍ فلا بد من ملاحظة ذلك المقياس وتقويمه.

### المقياس الثاني: القانون:

القانون إما أن يكون صادراً عن الله سبحانه أو من الناس أنفسهم. والقانون الصادر من الله سبحانه وتعالى إن لم يقصد به سوى لزوم تدين الناس به أو إن لم يكن بيد قوة تنفيذية تريد تطبيقه، فهو الدين الذي سوف يأتي الكلام عن مدى كونه مقياساً سليماً للقيم الأخلاقية. وإن كان بيد قوة تنفيذية تريد تطبيقه على الناس فهو الذي نبحت عنه هاهنا كقانون، وقيمة هذا المقياس هي قيمة ذلك الدين من حيث كونه مقياساً لتقويم الأخلاق الانسانية. وإن كان القانون وضعياً صادراً من غير السماء، فقد يكون صادراً من سلطان مستبدٍ برأيه أو صادراً من حزبٍ مسيطر على الناس، أو نابعاً من عامة الناس ولو بنحو التصويت عليه من خلال البرلمان الذي انتخب الشعبُ اعضاءه، ويختلف عن بناء العقلاء بكونه متّسماً بنوع من الصرامة والحدية أو بكونه دستوراً بيد القوة التنفيذية. ويمكن تخريج هذا الملاك بإرجاعه إلى أحد الوجوه الثلاثة التي مرّت في مقياسية العرف «بناء العقلاء» فيقال:

١- ان الأكثرية الذين صوّتوا على القانون لهم حق الولاية حتى على من يريد مخالفة القانون.

٢- ان الحسن والقبح اعتباريان تابعان لجعل جاعل القانون.

٣- من يساهم في جعل القانون ولو بالتصويت عليه بشكل غير مباشر يكون قد وعد و شرط على نفسه تنفيذه فيكون تطبيقه له وفاءً بالوعد ومخالفته للقانون نكثاً وتخلّفاً عما اشترطه على نفسه.

ونناقش هذه الوجوه الثلاثة بنفس ما ناقشنا به وجوه مقياسية العرف «وبناء العقلاء».

وهنا وجه رابع يمكن ذكره:

٤- ان تصويت الناس على قانونٍ يُراعى فيه بقدر الإمكان مصالح ذلك المجتمع أيضاً فيكتسب القانون مقياسيةً حينئذٍ من مقياسية المصلحة والمفسدة للحسن والقبح والتي سوف يأتي الكلام عنها تباعاً.

### المقياس الثالث: الدين أو الوحي الإلهي.

يتوقف كون الدين مقياساً للفضائل والرذائل الأخلاقية. على أن يكون ديناً حقاً، أي يكون صادراً ممن تحقق له العبادة وينبغي التدين بدينه، وهو الله الذي لا إله إلا هو.

ويكون الدين مقياساً بأحد المعاني التالية:

١- أن يكون مقياساً في تأسيس الحسن والقبح، فهو يعتبر بعض الأفعال حسنة وبعضها قبيحة.

٢- أن يكون مقياساً في الكشف عنهما، فالوجوب والحرمة يكشفان عن الحسن والقبح الذاتيين الموجودين في متعلق الحكم أو عن المصلحة والمفسدة كما سوف يأتي البحث في مقياسية المصلحة والمفسدة، كما هو مذهب العدالة.

٣- أن يكون المقياس الديني ملازماً للفضائل والرذائل أو الحسن والقبح الذاتيين.

٤- أن يكون المقياس الديني عنواناً عاماً هو الحسن أو القبح عقلاً، فيطبق على مصاديقه وبه يميز الحسن عن القبح، من قبيل أن تكون إطاعة الله سبحانه أمراً حسناً عقلاً ومعصيته أمراً قبيحاً عقلاً. فكل ما أمر به المولى الحقيقي تجب طاعته ويكون حسناً باعتباره مصداقاً للطاعة. وكل ما نهى عنه يكون قبيحاً فعله باعتباره مصداقاً للمعصية. فالدين هنا يحقق موضوع الحسن والقبح حينما يجعل الوجوب والحرمة.

أما مقياسية الدين بالمعنى الأول فلازمها ألا نلتزم بالضرورة الخلقية للأنفعال والصفات الإنسانية لو انحصر المقياس في الدين بهذا المعنى. فإن ما يقبل الجعل والتأسيس والاعتبار من الشارع هو عنوان الحسن والقبح، لا واقع الحسن والقبح. فإن واقع الحسن والقبح لا يقبل الجعل والاعتبار.

وأما مقياسية الدين بالمعنى الثاني والثالث، فالدين لا يوجد الحسن والقبح للأشياء بل يكشف عنها أو يعطي لنا عنواناً ملازماً لهما، فمن خلال ذلك نعرف أن ما أمر به أو نهى عنه يتضمن نكتة وملاكاً للحسن أو القبح.

بخلاف المعنى الرابع، فإن الأمر والنهي من الشارع يحقق موضوع الحسن والقبح للمكلف. ثم إن نكتة حسن طاعة المولى عقلاً، وقبح معصيته عقلاً يمكن تخريجها بأحد

وجوه ثلاثة:

الأول: ما اشتهر من وجوب شكر المنعم، فالله سبحانه هو الذي أنعم علينا بنعمة البصر وسائر شؤون الوجود.

الثاني: إن الله سبحانه باعتباره الخالق لنا ولما سيوانا، هو المالك الحقيقي لنا ولما سيوانا، فهو الذي له الحق في التصرف في مخلوقاته المملوكة له ذاتاً كيف يشاء وأتى يشاء دون غيره، فهو الحقيقي بالطاعة دون غيره.

الثالث: إن الخالق للشيء هو أعرف به ممن سواه، فالله الخالق للإنسان أعرف بما يصلح هذا الإنسان وما يفسده، وحينئذ يكون حكمه بالوجوب أو الحرمة كاشفاً عما يكون صالحاً للإنسان أو غير صالح، أي عن المصلحة والمفسدة.

(يتبع)

## مَخَطَّات من رحلة شاعر

في رحاب سيد الشهاد

شعر: الشيخ نبيل حلباري

في رحاب سيد الشهاد

### ١- كربلاء والتوحيد:

كربلا يا كربلا لم تـزالي مشعلا  
بدم قد أضلا أوّل التـوحيد: لا  
إنه درس الحسين

### ٢- الإمام الحسين ودين جدّه:

بأبي أنت في المراء قتيل  
بالدم الطهر من صحاب وأهل  
يحفظ الدين أن يصير قتيل  
صان منة فروعة والأصولا

### ٣- أهل البيت وقضية الإسلام:

قضية الإسلام تحملونها  
حتى الرضيع ظاماً يرضعها  
ما حال عنها كبر ولا صغر  
دماً يسهم القاسط الباغي انفجر

### ٤- كربلاء المدرسة:

وكربلاء لم تزل مدرسة  
ضمّنها دم الحسين وانتشر



دُمْ هُوَ السَّيْفُ عَلَى مَنْ ظَلَمُوا وَحَيْثُمَا الْإِسْلَامُ أَضْحَى فِي خَطَرٍ

### (ب) مع الحسين في درب الضياء

١- العقيلة زينب عليها السلام:

بِأَبِي مَنْ أَرْزَتْهُ نَذِيرٌ نَذْرَتُهُ  
خَيْرَ نَضِيرٍ نَضِيرَتُهُ وَأَبَا زَانَ أُمًّا

\*\*\*

تَرْبَةً فِي كَرِيلَا صِرْتَمَا، وَالدَّرْسُ لَا،  
أُم سَمَاءَ لِلْعَمَلَا شَمْسَهَا وَالْكُوكَبَا

٢- الطفلة المسيية:

يَا طِفْلَةً غَرِيْبَةً مَظْلُومَةً  
مَسِيِيَّةً رَقًّا لَهَا حَتَّى الْحَجَزِ  
فِي مَوَكِبٍ يُسَاقُ فِي فَجَاجِهَا  
أَيْنَ مَضَى يَبْكِي التَّرَابُ وَالشَّجَرُ  
رَأْسُ أَبِيهَا غَسَلَتْهُ أَدْمَعَا  
قُلْ أَنْجَمَا فِي لَيْلِ حُزْنٍ وَدُرُزْ  
يَا غَصْنَهَا صَوِّحْهُ رِيحُ الْعَدَا  
وَأَدَّ فَرَطُ حَنِينٍ فَانْكَسِرْ

٣- الأهل والصحاب:

يَا بَنَ طَمَّةَ الْمَرْسَلِ فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ  
أَنْتَ مَنْ لَمْ يَنْبَغِلِ فِي هَوَى اللَّوِّ الْقَلْبِي

ذَلِكُمْ عَشَقُ الْحُسَيْنِ

أَيُّ أَهْلٍ زُكِّعَ أَيُّ صَحْبٍ خُشِّعَ  
زَحَفُوا لِلْمَضْرِعِ بِالنَّسَا وَالرَّضْعِ

إِنَّهُمْ جُنْدُ الْحُسَيْنِ

(رج: الحسين وعشاق الظلام)

١- الأمة المستخذية:

## فنون وآداب

حينما الأمة هانت  
وعلى الذل استكانت  
وبين الخوف دانت  
قام ليشأ مفضا

### ٢- الأعداء:

إنه ناز الإله  
فرضا للرضا  
اصطفاه وارضا  
أي صوم أوصلا  
للذي عادى الحسين

\*\*\*

حشد البغي القوى  
فأضاءت نيتوى  
وعوى من قد غوى  
ثلة ما أطيا

### ٣- الخاذلون:

ترك الناس نصره فاستذلوا  
بئس من يخذل الإمام ذليلا  
إن أرادوا الدنيا فما جرعوها  
واستحالت مزعى وبينا وبلا  
أو يكونوا خافوا من السيف هل قد  
مهل السيف نسلهم تمهلا  
قطع الظلم لخمهم وزمامهم  
لكلاب السلطان شلوا هزلا

### ١- الثورة الإسلامية المعاصرة:

حدث عن الذكرى التي عاشت بكر بلاه

## ثُنُونُ وَالْأَرْبَابِ

يَوْمَ ارْتَمَى الْحُسَيْنُ فِي الْجِرَاحِ وَالدَّمَاءِ  
يُعَانِقُ السَّمَاءَ  
وَقَاتَلُوهُ لَمْ يَزَالُوا يَسْقُطُونَ فِي حُضِيضٍ مَا لَهُ انْتِهَاءُ  
وَلَمْ يَزَلْ فِدَاؤُهُ يُعَلِّمُ الْفِدَاءَ  
يَكْشِفُ كُلَّ الْكُفْرِ:

الْكَفْرِ بِاسْمِ الدِّينِ  
وَالْكَفْرِ بِاسْمِ الْكُفْرِ

يَرْفُضُ لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَفَارِقَ الْإِيمَانَ  
لِيُخْدِمَ السُّلْطَانَ  
وَلَمْ تَزَلْ دِمَاؤُهُ تَفُوحُ فِي الزَّمَانِ  
تَفُوحُ فِي الْمَكَانِ  
وَهَذِهِ وَرُودُهَا الْحُمْرَاءُ فِي إِيرَانَ

### ٢- الإمام الخميني رضوان الله عليه:

يَا أَبَا الثَّائِرِينَ فِي الْأَرْضِ طَرَأَ  
أَيُّ سَلَوَى لَهُمْ وَأَيُّ عَزَاءٍ؟  
سَوْفَ نَبْكِيكَ مَا بَكِينًا حَسِينًا  
يَا تَمَامَ الْمَعْنَى لِعَاشُورَاءِ  
كَرْبَلَاءَ وَاصْلَتْهَا، وَاسْتَبَقَى  
وَبَقَاءَ الْإِسْلَامِ مِنْ كَرْبَلَاءِ

### ٣- الجنوب:

إِنَّ دَرْسَ الْجَنُوبِ دَرْسُ أَنْوَاسِ  
فَقِهُوهُ عَنْ سَيِّدِ الشَّهَادَةِ

فَأَذَاقُوا صُهَيْوْنَ مَا لَمْ تَذُقْهُ  
فَتَوَارَتْ سَلِيلَةُ الْكَبِيرَاءِ

#### ٤- أبطال المقاومة:

فَتِيَّةُ الْإِيمَانِ أَنْصَارَ الْحُسَيْنِ  
لَكُمْ فِي كُلِّ عُنُقٍ أَلْفُ دِينَ  
يَلْتَمُّ وَاللَّهِ إِحْدَى الْخُسَنِيِّينَ  
وَعَدُوْتُمْ قَبْضَةُ الدِّينِ الْقَوِيَّةِ

لَمْ تَزَلْ تَصِفُ أَحْلَامَ الْغَزَاةِ  
سَارِقِي الْأَرْضِ وَأَعْدَاءَ الْحَيَاةِ  
تَتَمَدُّ الْعِزَمُ مِنْ دِفءِ الصَّلَاةِ  
وَدَعَاءِ اللَّهِ فِي جُنْحِ الْقَشِيَّةِ

#### ٥- وعد المستضعفين:

وَعَدْتُ كَرْبَلَاءَ فِي كُلِّ أَرْضٍ  
وَلِكُلِّ الْمُسْتَكْبِرِينَ نَوَاحٍ  
وَطَفَى مَدَّهَا وَعَمَّا قَرِيبٍ  
وَتَعِيدُ الْقُدْسَ السَّلِيبَ إِلَيْنَا  
أَقْفًا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مَدِيدًا  
وَنَذِيرًا بِمَوْتِهِمْ مَرْصُودًا  
سَوْفَ تَطْوِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ يَزِيدًا  
وَنَلْقَى مَهْدِيَّنَا الْمَوْعُودًا

#### و) ماءٌ وظماء:

الماءُ الماءُ الماءُ يُرَوِّى مِنْهُ الْجَبْنَاءُ  
وَحُسَيْنُ أَبُو الشَّهَادَةِ عَطِشَانٌ يَجْنُبُ الْمَاءَ  
الماءُ الماءُ الماءُ

والحوض إذا يَزَخَرُ  
وأبسوه هُوَ الشَّقَاءُ

أَوْ مَا عَلِمُوا الكَوْنُ  
يَوْمَ الظَّمَاءِ الأكْبَرُ

الماء الماء الماء

مِنْ أَطْفَالٍ وَنِسَاءٍ  
يَا وَيْلَ النَّاسِ ظِمَاءُ

أَهْلُ الْبَيْتِ الْكُرْمَاءُ  
تَحْتَ مَجِيرِ الرَّمْضَاءِ

الماء الماء الماء

وعلى الباغي يَشْهَدُ  
وعليّ والزهراء

اللَّهُ لَهُمْ مَجْدٌ  
وَالْخَضَمُ غَدًا أُخْمَدُ

الماء الماء الماء

(ز) دمع وسلام

رُبَّ فَهْمٍ يُضَيِّعُ الْمَقْصُودَا  
أَنْ يُظَنَّ الْبُكَاءُ فِيهِ الْوَحِيدَا  
يَدْمٍ لَمْ يَزَلْ يُرَوِّي الْخُلُودَا  
وَاعْدُ وَالْدَمَّ شَاهِدَا مشهودَا  
وَأَمَامَا وَثَانِرَا وشهيدَا

أَيُّهَا الدَّمْعُ لَا أَسَاءَكَ فَهْمُ  
إِنَّ دَرَسَ الْحُسَيْنِ أَعْلَى وَأَعْلَى  
يَا لَأَبْطَالٍ كَرِيبَا تَوَامُوه  
أَيُّهَا الدَّمْعُ كُنْ كَدَمْعِ حُسَيْنِ  
وَسَلَامٌ عَلَى الْحُسَيْنِ وَلِيَدَا

# خُطان قِاديان

الشيخ محمد علي السخيري

## \* بناء الأمة وصياغة الوعي

إنَّ عملية صياغة الفئة الواعية إن لم تكن مقدّمة على عملية بناء الأمة الواعية فهي مقارنة لها بلا ريب، ذلك أنَّ الاستعدادات متفاوتة ﴿فَسَأَلْتُ أَوْدِيَّةً بِقَدْرِهَا﴾<sup>١</sup> وخصوصاً في المجال التربوي في إطار بناء إنساني متقدّم، لأنّها تتوقّف على: توفّر معرفة يقينية معمّقة، و انسجام عاطفي إحساسي كامل مع تلك العقيدة، و تلقّي تعليمي و تربوي حكيم، و كلها أمور لا تتوفّر بمستوى واحد للجميع، و مانراه طبيعياً هو أن تتربّى الفئة الواعية عقائدياً و عاطفياً و سلوكياً ثم تنتشر كالعافية في أوصال الأمة و عروقها، فتنبّث فيها ما اكتسبته، و تحفظ الجسم العام من أي تأكل أو مرض بل تضعه على خط النمو و التكامل.

إلا أنّ القادة و المربين لا يستطيعون التريث حتى تتمّ عملية تربية الطليعة لأن تربية الأمة و صيانتها حاجة ملحة فعلية قائمة، و من هنا فإن من الطبيعي أن يتوازى هذان الخطان ليؤثّر كل منهما في الآخر: فجوّ الأمة المناسب يترك أثره الإيجابي على تربية الطليعة، و تربية الطليعة بدورها لها أكبر الأثر في تحقّق الأهداف التربوية العامة.

وعلى أيّ حال، فإننا نجد القرآن الكريم من خلال ما يحكيه من قصص و من أمثال، يركّز

(١) الرعد: ١٧.

على ذلك.

فهو يتحدث عن السابقين السابقين، والمقربين، والحواريين، والمؤمنين العابدين الحامدين السائحين.

و تصفية النبي موسى لقومه واختياره مجموعة منتقاة.

و قيام القائد طالوت بامتحان قومه واختيار الصفوة منهم ليكونوا هم الفئة القليلة التي غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى.

هذا الى جانب قيام الأنبياء والشرائع بتربية الأمم و هداية الناس جميعاً بشكل طبيعي. وعلى هذا النسق نجد الأنبياء والقادة الإلهيين يعملون على تحقيق هاتين العمليتين.

ولما كان أهل البيت عليهم السلام قدوة الأمم وتلامذة رسول الله المخلصين و حاملي لواء التربية العقائدية فهم على هذا الخط سائرون وله عاملون، وها نحن نركز في مايلي على مظاهر ذلك في حياة الإمام الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، واستاذ أئمة المذاهب الأربعة والصادق القول البار الأمين على هذه الرسالة الخالدة.

### \* الأجواء التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام

لن نستطيع أن تبين معالم العملية التربوية للإمام إذا لم نخطط - ولو إجمالاً - بالأجواء والظروف التي عاصرها الإمام عليه السلام وتفاعل معها، واستطاع أن يؤدي رسالته من خلالها. و باستعراض هذه الأجواء نجد أماننا ظواهر بارزة قد لا تحتاج منا الاستدلال على وجودها وهي:-

### أولاً: الخلل السياسي وصراع الاهواء

فلقد عاصر الإمام عليه السلام أكبر حادث في العصر الذي تلا عصر صدر الإسلام وهو انقراض الخلافة الأموية وسيطرة الخلافة العباسية كما واجه الكثير من الأحداث الجسام. وفي أيامه قامت ثورة الرجل الصالح زيد بن علي بن الحسين ضد هشام بن عبد الملك وحينما استشهد أبنته الامام بكلمات معبرة، ثم تلا ذلك خلل سياسي كبير أطاح بخلافة الأمويين، واستطاع العباسيون من خلال شعار براق هو «الدعوة إلى الرضا من آل محمد صلى الله

## دراسات

عليه وآله وسلم « أن يستفلوا الموقف ويسيطروا على الساحة، ويبيع للسفاح عام ١٣٢ هـ حيث دامت خلافته أربع سنين قضاهما في مطاردة الأمويين متظاهراً بالثأر لقتلة الحسين عليه السلام ثم تلاه المنصور بسياسة ديكتاتورية قمعية تستخدم السيف والسّم والاغتيال لتوطيد أركان حكم العباسيين.

ورغم ما حمله هذا الخلل وذلك الصراع من عوادي ومصائب فإنه وفر للإمام فرصة ثمينة ليظهر فيها علمه الغزير وينزل إلى الساحة الاجتماعية التربوية كأروع ما يكون.

### ثانياً: تشكّل المذاهب

وفي هذه الفترة بدأت المذاهب الفقهية المعروفة تنطلق نتيجة عوامل كثيرة، منها: اتساع الحركة العلمية والفقهية، والحرية الطبيعية التي لاقاها العلماء نتيجة ذلك الخلل السياسي الذي أشرنا إليه، وكذلك نتيجة لعمل السلطة في كثير من الأحيان على إبعاد اتجاه فقهي معيّن لا ينسجم معها وترجيح آراء فقهاء آخرين عليه. كما أننا لاننسى الدور الذي تلعبه الشخصية العلمية لأئمة المذاهب في جلب الاتباع والتلامذة والتأثير القوي على تصوراتهم واتجاهاتهم الفقهية، ولاننسى أيضاً دور العامل الجغرافي في تعدد الاتجاهات فقد كان قويا. كل هذا وغيره أثر في إيجاد نواة المذاهب الكثيرة التي تنوعت وتعددت قبل أن تنحصر بعد ذلك بزمان طويل تقريبا بمذاهب معيّنة، وذلك لعوامل أخرى رافقت عملية غلق باب الاجتهاد.

### ثالثاً: ظاهرة الإفراط في اتباع الرأي أو رفضه: -

ونستطيع أن نؤكد هنا أنّ الصراع حول (الرأي) بدأ علمياً وبشكل طبيعي، فهل للمجتهد أن يعمل برأيه في فهم الحديث والتعدي عن مورده وتنقيح مناطه واستخراج قاعدة أوسع تنفعه في مجالات أكبر؟ أم أنّ عليه أن يتقيد تمام التقيد بملاسات النص دونما جرأة على التعدي عن حدوده؟ ولكل اتجاه وجهة نظر واستدلال.

وربما كان هذا النزاع العلمي سيثمر خيراً لولا تدخل الأهواء السياسية والعوامل الأخرى التي قادته إلى عواقب لا تحمد.



فراح هذا يركّز على أهمية الرأي والقياس والاستحسان واتباع المصلحة إلى حدّ قد يتجاوز كلّ نصّ ويؤدّي - أحياناً - إلى دخول الفكر الإنساني إلى ساحة التشريع الإلهي، وهو خطر كبير. في حين راح الآخر يركّز - احتياطاً على دينه - على حدود النصّ والحديث إلى حدّ أدّى أحياناً إلى جمود خطير في الفكر.

أمّا دور الإمام الصادق عليه السلام في هذا الالتحام العلمي فقد كان - كما نرى - الدور الحكيم المربي، إذ رفض حالات الرأي المفرطة، مستدلاً بأروع استدلال، كما لم يرض للفكر الفقهي أن يجمد على حدود ضيقة دونما مسوّغ. وقد أدّى موقفه الفقهي الرائع إلى أن تتمّ عملية التقييد والاحتياط من استعمال القياسات الباطلة، ممّا خفّف الوطأة بل ربّما أزالها كما في قضية «الاستحسان» إذ تحوّل من عملية قول يستحسنه المجتهد فيفتي به إلى عملية «تقديم الأهم على المهم عند التزاحم» وهو أسلوب عقلاني مقبول تماماً لدى الشرع. كما بدرت ظواهر جيّدة للفقيه والانطلاق لآفاق أوسع من حدود النصّ الظاهرية لدى مدرسة الحديث، ممّا ساعدها على الثبات أمام الحوادث المستجدة التي اتسعت باتّساع التمدّن وتعدّد المجتمعات.

#### رابعاً: شيوع الانحرافات الفكرية الخطيرة:-

و الذي يطالع الفترة التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام يجد أمامه بعض أنماط الانحراف الفكري العقائدي الخطير وربما الطارئ على حياة المسلمين، وربما كان ذلك معلولاً للخلل السياسي الأنف الذكر - من جهة - و شيوع الأفكار المعادية للإسلام - من جهة أخرى - و انفساح المجال لذوي الأهواء والنزعات الفردية أو التحليلية - من جهة ثالثة - ليدلّوا بدلوهم و ينضجوا أكْلَهُمْ ويحصدوا ما يشاؤون.

و من تلك الأنماط:

- مسألة انتشار الزندقة والتشكيك في المعتقدات الإسلامية «والغريب أن ذلك كان يتمّ أحياناً في البيت الحرام والمسجد النبوي الشريف - كما تحدّثنا الروايات - مما شكّل ظاهرة واسعة خطيرة».

- و منها موضوع الغلو في الشخصيات العلمية كأهل البيت عليهم السلام.

## دراسات

- كما أنَّ منها ظاهرة التحلُّل من الواجبات بحجج واهية ككفاية حب أهل البيت عليهم السلام عن العمل الصالح... وأمثال ذلك.

### خامساً: اتساع ظاهرة الوضع في الأحاديث الشريفة

وظاهرة الوضع لم تكن جديدة في الأصل على المجتمع الاسلامي، وذلك بعد أن لعبت يد الأهواء منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت فئة من الوضعيين المستأكلين بالحديث إرضاءً لأهوائهم ولسلطاتهم أو اتجاهاتهم، إلّا أننا نجدُها في هذا العصر ظاهرةً متفشيةً تستخدمها السلطة، أو من هم في طريق التسلُّط، لتحقيق المآرب الضيقة الخبيثة.

ومن الغريب أنَّ العلامة الكبير الأميني صاحب (الغدير) أحصى (٦٨٤ ر ٤٠٨) حديثاً<sup>١</sup> مكذوباً ملفقاً أو مقلوباً لجمع قليل من الوضعيين الذين قاربوا هذا العصر - تقريباً - والغريب أن تشهد تعبيرات من قبيل ما قيل في أحمد بن محمد بن عمرو أبي بشر الكندي المروزي أنه «أحد الوضعيين الكذابين مع كونه محدثاً إماماً في السنة والرد على المبتدعة»<sup>٢</sup> وفي أحمد بن محمد بن غالب الباهلي أنه كان «من كبار الزهاد ببغداد كذاب وضاع»<sup>٣</sup> وفي أحمد بن موسى الجرجاني الفرضي أنه «أحد الحفاظ كذاب»<sup>٤</sup> !!! حتى لتجد يحيى بن سعيد القطان يقول: «مارأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث»<sup>٥</sup>.

وهنا يعلّق المرحوم الأميني بعد درج قائمة رهيبة من وضاعي الحديث قائلاً:

«فمن هنا ترى كثيراً من الوضعيين المذكورين بين إمام مقتدى وحافظ شهير، وفقه حجة، وشيخ في الرواية، وخطيب بارع، وكان فريق منهم يتعمدون الكذب خدمة لمبدأ أو تعظيماً لإمام أو تأييداً لمذهب، ولذلك كثر الافتعال ووقع التضارب في المثالب والمناقب بين رجال المذاهب. وكان من تقصر يده عن الفرية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عنه فانه يبهت الناس باختلاق أطيايف حول المذاهب ورجالاتها»<sup>٦</sup>.

(٢) الغدير / ٢٩٦:٥.

(٤) الغدير / ٢١٧:٥.

(٦) الغدير / ٢٧٧:٥.

(١) الغدير / ٢٩:٥.

(٣) الغدير / ٢١٦:٥.

(٥) الغدير / ٢٧٥:٥ نقلاً عن مقدمة صحيح مسلم.

سادساً: انتشار المفاصد الخُلقيّة وظواهر الترف أو الزهد الكاذب وهذه أيضاً ظاهرة يلمحها المرء في مثل العصر المشار اليه، ذلك أن خلفاء بني أمية انحرفوا عن المسير الإسلامي الرشيد، من خلال ترفهم وقصورهم، ممّا أدّى إلى انتشار الكثير من الأوبئة الخلقيّة في المجتمع الإسلامي، و ربّما ساعدت فترة الخلل السياسي على أن يستغل ذوو الأطماع ذلك لإظهار عبثهم ومجونهم.

هذا إلى جانب اتجاهات من الزهد الكاذب والرهينة رحنا نجدها هنا وهناك كانت في الأغلب - كما تتصوّر - تعبّر عن عملية تحايل على الرأي العام ومحاولة لاستجلاب الأنظار.

### \* الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة هذه الظواهر:

لقد كانت كل تصرفات الإمام الصادق عليه السلام و تصريحاته تنبئ عن شعوره بالمهام القياديّة الملقة على عاتقه باعتباره أحد أئمة أهل البيت وعترّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي جعلت أماناً للأمة و سفينةً للنجاة و متمسكاً يعصمها من الضلال.

ولقد كانت هذه الأهليّة القياديّة موضع عناية الأئمة من أهل البيت واحداً بعد الآخر، يوصي كل منهم الى من يليه ويعلم أصحابه بخصائصه. وكمثال على ذلك نلاحظ النص التالي: دخل يزيد بن سليط - وهو من أهل الورع والعلم - على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فبادره يسأله عن الحجة من بعده قائلاً:

«بأبي أنتم و أمّي، أنتم الأئمة المطهّرون، والموت لا يعرى منه أحد فمن القائم من بعدك؟» فأشار إلى ولده موسى وراح يصفه «فعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله، وفيه أخرى هي خير من هذا كله»...

فيسأل الراوي قائلاً: بأبي أنت و أمّي ماهي؟

فيرد الإمام الصادق عليه السلام:

«يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأمة وغيائها وعلمها ونورها وفهمها وحكيمها، خير مولود وخير ناشيء يحقن الله به الدماء، ويصلح به ذات البين ويلمّ به الشعب، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف وينزل به القطر، ويأتمر له

## دراسات

العباد، خير كهل، وخير ناشئ، قوله حكم، وصمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه...<sup>١</sup>  
وهي كلها صفات قيادية يتمتع بها الإمام ويعمل على تحقيقها. فما هي الخطة التي سلكها  
الإمام الصادق عليه السلام لمواجهة هذه الظواهر والقيام بالواجب القيادي العام؟  
اننا نجد الإمام يعمل على نفس الخطتين الأنفين بكل دقة، فهو - من جهة - وبشكل عام  
يؤكد على بناء الأمة الإسلامية وتقوية أواصرها، وحفظ كيائها وصيانة تراثها وتنمية وعيها  
العام، وبالتالي على امتلاكها للخصائص التي ذكرها القرآن الكريم والسنة الشريفة للأمة -  
وهو من جهة أخرى - يعمل بشكل خاص على تربية الفتة الواعية لأهدافه المتفاعلة تماماً مع  
خطته، والمتحملة بكل جدارة للمهام الصعبة التي يلقيها عليها، مما يجعلها تشكل شعاعاً من  
نوره ونماذج لسيرته ومظاهر لقيادته.

### مظاهر الخط التربوي العام:

ويمكننا أن نلخص أهم مظاهر هذا الخط عبر النقاط التالية:  
أ - العمل على إيجاد حركة علمية واسعة جداً:

وبدأت هذه الحركة تنشر الحقائق بين الناس وتنمي معلوماتهم، وتدفعهم نحو الكمال  
العلمي المنشود.

يقول الشيخ القرشي: «و فُجِّرَ الإمام الصادق عليه السلام ينابيع العلم والحكمة في الأرض،  
وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل، وقد ملأ الدنيا بعلمه - كما قال الجاحظ -  
ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان - كما أدلى  
بذلك ابن حجر».<sup>٢</sup>

ويتحدث الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل عن البعثات العلمية التي التحقت بمدرسة الإمام  
فيقول: «وأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط والحجاز، إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها من  
كل قبيلة، من بني أسد ومن غنى، ومخارق، وطى، وسليم، وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة،  
وخثعم، ومخزوم، وبني ضبة، ومن قریش، ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب وبني الحسن

(١) بحار الانوار / ١١ : ٢٣٤.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر / ١ : ٧٦، نقلاً عن رسائل الجاحظ للسندوبي: ١٠٦، والصواعق المحرقة: ١٢٠.

بن علي، ورحل جمهور من الأحرار وأبناء الموالي من أعيان هذه الأمة من العرب وفارس ولا سيما مدينة قم...»<sup>١</sup>

وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي كتابا في أسماء الرجال الذين رويوا الحديث عن الإمام فذكر ترجمة أربعة آلاف راوٍ منهم.<sup>٢</sup>

وقد شملت هذه المدرسة الواسعة دراسات في مختلف العلوم كالفلسفة وعلم الكلام، والفقه وأصوله، والتفسير، في حين تجاوزت ذلك إلى العلوم الطبيعية كالكيمياء وغيرها.

وألّف تلامذته مئات الكتب والرسائل، حتى أنّ المرحوم الشيخ آقا بزرك الطهراني ترجم لمئتي رجل من مصنفي تلامذة الامام عليه السلام.<sup>٣</sup>

وهكذا أوجد الامام هذه الحركة العلمية الواسعة الأبعاد، واستطاع أن ينشر الوعي على أوسع نطاق.

#### ب - تبين الموقف الصائب في مسألة «الرأي».

وهذا الجانب ركّز عليه الإمام كثيراً ليلغي الإفراط والتفريط حول هذه المسألة.

فقد يعني العمل بالرأي: التماس العلل الواقعية للأحكام الشرعية من طريق العقل وجعلها مقياساً لصحة النصوص الشرعية، فما وافقها فهو حكم الله الذي يؤخذ به، وما خالفها كان موضعاً للرفض والتشكيك. وقد يعني الاستحسان: ما استحسنته المجتهد بعقله فأفتى به، وهي معانٍ لو دققنا فيها النظر لوجدناها منفذاً للرأى الإنسانية إلى التشريع.

في حين قد يعني العمل بالرأي استنباط علل الأحكام من النصوص الشرعية من خلال الظواهر الكلامية التي تشكّل حجّة شرعية ثم تعميم الحكم على الحالات الأخرى.

أو يعني تقديم الأهم على المهم.

أو يعني قيام الحاكم المجتهد في مجال الحكم والإدارة باتّباع المصلحة الاجتماعية في إصدار الأحكام الولائية.

فهذه أمور يقبلها التشريع الإسلامي و يؤكد عليها. وبهذا نعرف أن «الرأي» على بعض

(١) الامام جعفر بن محمد: ٥٩.

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر ١: ٨٠ نقلاً عن تاريخ الكوفة: ٤٠.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥٦.

## دراسات

المعاني مرفوض، وعلى بعضها الآخر مقبول، وهو ما وضّحته مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في روايات مفصلة.<sup>١</sup>

والذي نعتقده بصراحة هو أنّه لولا وقوف مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أمام هذه الظاهرة وتبيانها الموقف الصحيح منها لکنّا نرى الكثير من الإفراط والتفريط الأمر الذي يكاد يعصف بالتشريع كلّ. ولکنّا نلاحظ أنّ هناك تقارباً كبيراً حدث بعد ذلك بين الاتجاهين حتى ليكاد يكون النزاع أحياناً لفظيّاً، وهذا كما في موضوع الاستحسان والمصالح المرسلة، بل وحتى في القياس أحياناً، إذ يركّز هؤلاء على نفي القياس ويعنون الأقيسة المظنونة العلّة، في حين يؤمن أولئك بالقياس المقطوع بعلّة، إمّا قطعاً وجدانياً أو تعبدياً وهو أمر لا يرفضه الطرف الآخر.

حـ. القيام بحملة احتجاج واسعة ضدّ المشكّكين والملحدّين

وللحديث في هذا الصدد مجال واسع، فقد أشرنا إلى انتشار أفكار مشكّكة وآراء متزندقة وعلى مدى كبير، وقد قام الإمام وأصحابه وتلامذته بمناقشة هؤلاء بكلّ قوة ومتانة كشفتنا من جهة عن قوّة العقيدة الإسلامية، ومن جهة أخرى عن روح التسامح وأسلوب الجدل والتي هي أحسن والتي تطيع أساليب الجدل الإسلامي القويم.

يقول الشيخ حيدر في كتابه الرائع «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ٣٦١:

«وقد نهض الإمام الصادق لمقارعة أهل الباطل، وباحث الفلاسفة والدهريين، وأهل الكلام الجدليين الذين تصدّوا لإفساد معتقدات الناس، فأبطل بنور حكمتهم مقالاتهم الفاسدة وسفستهم الفارغة».

وكتب الحديث حافلة بمقارعتة لهذه الحركات وزعمائها من قبيل ابن أبي العوجاء وأبي شاعر الديصاني، وعبد الملك المصري، والجعد بن درهم، وغيرهم.

وربما كان «عليه السلام» يربّي أصحابه على الاحتجاج ليقوموا بمهمّة الدفاع عن الإسلام بأنفسهم.

د. التركيز على الحفاظ على الخلق العام:

وهنا أيضاً تواجهنا مجموعة ضخمة من الأحاديث الأخلاقية التي يحمل كلّ منها ثروة من

(١) للوقوف على التفاصيل راجع مثلاً: أصول الفقه للمظنّر / مبحث القياس.

: الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٠٣.

الارشادات والتوجيهات، وقد انتشرت هذه الأحاديث بين أبناء الأمة وتناقلتها الركبان وتهذبت بها الجموع الغفيرة وعادت منهلاً من مناهل الخلق القويم، فلنطالع مثلاً الأحاديث القصار التالية لنكتشف بعض جوانب العظمة:

- \* ثلاثة لا يعذر المرء فيها: مشاورة ناصح، ومداواة حاسد والتحجب إلى الناس.
- \* العُجب يكلم المحاسن، والحسد للصديق من سُقم المودة، ولن تمنع الناس من عرضك إلا بما تنشر عليهم من فضلك.
- \* خمس خصال من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير خير مستمتع: الدين، والعقل، والادب، والحرية، وحسن الخلق.

\* ومن حكمه عليه السلام: العلم جُنة، والصدق عز، والجهل ذل، وحسن الخلق مجلبة للمودة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس، والحزم مشكاة الظن، والله لمن عرفه، والعافل غفور والجاهل ختور. وإن شئت أن تكرم فلن، وإن شئت أن تُهان فاخشن. ومن كرم أصله لأن قلبه، ومن خشن عُصره غلظ كبده، ومن فوط تورط، ومن خاف العاقبة تثبت فيما لا يعلم، ومن هجم من غير علم جدد أنف نفسه.<sup>١</sup>

ولن نستطيع هنا الإشارة إلى أكثر من هذا، وبحر العلم أماننا زخار بالمعارف الأخلاقية التي تركت - كما قلنا - أثرها الكبير في إيجاد نهضة أخلاقية في المجتمع آنذاك.

هـ - توضيح الموقف السليم من الحاكمين وذوي الأهواء التسلطية:

لقد أدرك الإمام الصادق عليه السلام أبعاد الموقف السياسي الذي أحاط به تماماً، وعلم بأن جل الصراع حول الحكم إنما هو صراع أهواء ونزاع نزعات، قبل أن يكون صراعاً عن المبادئ. وقد أثبت التاريخ بعد ذلك هذه الحقيقة بوضوح، فلم يكن العهد العباسي للمسلمين بأفضل من العهد الأموي، من حيث الاستبداد والترف والانحراف.

وإن المرء ليشعر تماماً بعظم الخسائر التي ترتبت - دونما أية إضافة حضارية أو إنسانية - على المسيرة الإسلامية.

نعم، شعر الإمام بذلك، ولم يفرط بطاقاته في نزاع من هذا القبيل، وإنما استغل الموقف -

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ١: ١٣٦ - ١٣٧.

## دراسات

كما قلنا - لينشر الحقائق العلمية الواسعة، إلا أنَّ ذلك لا يعني عدم توضيح الموقف السياسي، فقد كان موقفه واضحاً تماماً سواء تجاه الأمويين أو العباسيين أو قادة الثورة فيما بين المهديين، إذ لم يستطع هؤلاء أن يجزّوه لتحقيق مآربهم أو تأييد مواقفهم مطلقاً، فكان مغضوياً عليه من قبل هؤلاء الطغاة إلى نهاية حياته. فكم هذّوه بالقتل، وأحرقوا عليه داره، وجلبوه أسيراً، وأشاعوا الإشاعات حوله، إلا أنه بقي رغم كل ذلك صامداً لا تهزّه عواصفهم، وبقيت له مواقفه الخالدة وتعليقاته اللاذعة ضدهم.

روى أحمد بن عمر بن مقداد الرازي: أنه وقع الذباب على وجه المنصور فذّبه فعاد فذّبه فعاد حتى أضجره، وكان عنده جعفر بن محمد عليه السلام في ذلك الوقت، فقال المنصور يا أبا عبد الله، لم خلق الله الذباب؟ فقال له الامام عليه السلام «ليذّل به الجبابرة» فسكت ولم يحرجوا<sup>١</sup>.

وقد أعلن الإمام الصادق عليه السلام كلمته الصريحة عندما قال: «إنّ في ولاية الجائر دروس الحق كلّ، وأحياء الباطل كلّ، وإظهار الظلم والجور».

وكان يقول: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء».

ودخل عليه عذافر فقال عليه السلام: «بلغني أنّك تعامل أبا أيوب والربيع - وهما من رجال الحكم آنذاك - فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟»

وسأله رجل من أصحابه عن البناء للحكم الظلمة وكراية النهر فأجابه عليه السلام: «ما أحب أن أعقد لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء ولا مدّة بقلم، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سُرّادق من نار حتى يحكم الله بين العباد»<sup>٢</sup>.

وهكذا نجده عليه السلام يعمل على الصعيد العام على صيانة الأمة عقائدياً وتشريعياً وخلقياً وسياسياً وبشكل واسع الأبعاد.

## مظاهر الخط التربوي الخاص:

وهنا نستطيع ان نلاحظ حركة منظمة واسعة الأبعاد لتربية الطليعة الواعية التي تبث العافية

(١) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي: ٢٢٤ طبعة الاعلمي.

(٢) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ١: ٣٧٤ - ٣٧٥.



في أوصال الأمة، وهي ما حملت العناوين المختلفة من قبيل «شيعتنا، أصحابنا، غرر الأصحاب» وأمثالها من التعبيرات.

وها نحن نشير الى بعض مظاهر هذه التربية:  
الشد العاطفي:

وقبل أي شيء نلاحظ الشد العاطفي لهؤلاء الواعين بخط أهل البيت عليهم السلام، ولا ريب في أن الشد العاطفي بالقائد أمر ركزت عليه التعاليم الاسلامية بدءاً من التذكير بالعلاقة التي يملكها القائد بالله العظيم محل الحب الرفيع ومنبع الفيض والحنان على الأرض، ومروراً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المركزة على حب أهل البيت عليهم السلام ومودة لهم، وانتهاءً بالمعطاء الفعلي الذي يلسمه المجبّون لهذه الشخصيات العظيمة المعطاء.

دخل المفضل بن عمر على الصادق عليه السلام فلما بصر به ضحك اليه ثم قال: «إني يامفضل فوربّي إني لأحبك وأحب من يحبك، يامفضل؛ لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان... ثم يضيف ... (فنحن نحنُ إليكم وأنتم تحنّون إلينا). الخبر.<sup>١</sup>  
التركيز على تحلّي الاصحاب بالورع:

يقول عليه السلام: «عليكم بالورع فانه لا ينال ما عند الله ألا بالورع».<sup>٢</sup>  
ويقول عليه السلام: «عليكم بتقوى الله والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً».<sup>٣</sup>

ومن طريف ما يروى: أنه شهد ابو كدينة الأزدي ومحمد بن مسلم الثقفي عند قاض بشهادة، فنظر في وجهيهما ملياً ثم قال: جعفران فاطميان؟ فبكيا فقال لهما: ما بيكيكما؟ فقالا: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم لما يرون من سخف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته، فإن تفضل وقبلنا فله المن علينا والفضل قديماً فينا! فتبسّم القاضي ثم قال: إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم.

(١) بحار الأنوار ٤٧: ٣٩٥.

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر: ١٠٠ نقلاً عن اصول الكافي ٢: ٧٦.

(٣) حياة الامام موسى بن جعفر: ١٠٠ نقلاً عن اصول الكافي ٢: ٧٦.

## دراسات

قد قال لجميل بن دُرّاج: «من صالح الأعمال: البرّ بالاخوان، والسعي في حوائجهم وذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول في الجنان. يا جميل، أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك».

فقال: جعلت فداك ومن غرر أصحابي؟

فقال الامام: «هم البارون بالاخوان في العسر واليسر».<sup>١</sup>

التعريف بفضل أصحابه السابقين لِيَتَّخِذُوا قَدْوَةً:

يقول عليه السلام: «ما أحد أحمأ ذكرنا وأحاديث أبي إلزارة وأبو بصير المرادي، ومحمد بن مسلم، ويريد بن معاوية، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدى. هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون الينا في الدنيا وفي الآخرة».<sup>٢</sup>

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذ يقول لأصحابه: «لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم! ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما يدخل به الأذى علينا أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليفاً!»

فقال له بعض أصحابه إذن لا يقبلون منا.

فقال عليه السلام: «أهجرهم واجتنبوا مجالسهم».<sup>٣</sup>

التركيز على أداء الامانات:

فمن وصيته للمفضل بن عمر: «أوصيك بست خصال تبلفهن شيعتي» قال المفضل: وما هي يا سيدي؟ قال عليه السلام: «أداء الأمانة إلى من ائتمنك، وأن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك، واعلم أن للامور أواخر فاحذر العواقب، وأن للأمور لفتات فكن على حذر، وإياك ومرتقى جبل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن أخاك ما ليس في يدك وفاؤه».<sup>٤</sup>

الدعوة الى المنهج الاصيل عبر العمل والالتزام:

يقول عليه السلام لأصحابه: «أوصيكم بتقوى الله وأداء الأمانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ١: ٩٨، نقلاً عن خصال الصدوق.

(٢) بحار الانوار ٤٧: ٣٩، عن الاختصاص ٦٦: (٣) الامام الصادق والمذاهب الأربعة ٤: ٢٩١.

(٤) حياة الامام الصادق ٣: ١٣٦.

لمن صحبتهم وأن تكونوا لنا دعاة صامتين».

قالوا: يا ابن رسول الله وكيف ندعوا ونحن صامتون؟

قال عليه السلام: «تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فتنزعوا إليه».<sup>١</sup>

ثم التربية على الصمود والثبات:

يقول لأحد أصحابه: «قد كان قبلكم قوم يُقتلون ويُحرقون وينشرون بالمناشير، وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه، من غير ترة و تروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نقموا منهم ألا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا درجاتهم، واصبروا على نوائب دهركم تدرّكوا سعيهم...»<sup>٢</sup>

ويقول عليه السلام: «صبروا النفس على البلاء في الدنيا، وأن يتابع البلاء فيها، والشدة في طاعة الله وولايته، وولاية من أمر الله بولايته... فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام، وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم وأنتم على ذلك، وأن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين».

الانضباط والكتمان والتقية:

يقول عليه السلام: «والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعة فامشوا إليه ورُدّوه عنها...»<sup>٣</sup>

وربما أرسل بعض الرسائل الرمزية إلى أصحابه

يحدّث حمّاد بن عثمان أنّه أوصاه بوصية لابن أبي يعفور بالكوفة قائلاً: «أقرئه السلام من الله عليه وقل: كن على ما عهدتك عليه».<sup>٤</sup>

التحذير من التعاون مع السلطة:

يقول لأحد كتّاب بني أمية: «لولا أنّ بني أمية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفية»

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر عن روضة الكافي.

(٤) بحار الانوار: ٣٧٤ نقلاً عن الاختصاص: ١٩٥.

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ٤: ٣٢٢.

(٣) بحار الانوار ٤٧: ٣٧٢ نقلاً عن الكافي ٢: ٢٢٢.

## دراسات

ويقاتل عنهم لما سلبونا حقنا»<sup>١</sup>.

وعندما طلب منه أحد أصحابه أن يتكلم له داود بن علي أو بعض حكام العباسيين ليمنحوه منصباً وأقسم له وأعطاه الوعود على أن لا يظلم أحداً قال عليه السلام: «تناول السماء أيسر عليك من ذلك»<sup>٢</sup>.

تطهير الاعتقاد من الغلو، والسلوك من الرجاء الكاذب:

قال له رجل: إن قوما من شيعتكم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجوا فقال: «كذبوا ليسوا من شيعتنا، كل من رجا شيئاً عمل له والله ما شيعتنا منكم الا من اتقى الله»<sup>٣</sup>.

وروى المفضل بن عمر قال: كنت أنا وخالد الجوان ونجم الحطم وسليمان بن خالد على باب الصادق عليه السلام فتكلمنا فيما يتكلم فيه أهل الغلو فخرج علينا الصادق عليه السلام بلا حذاء ولا رداء وهو يتنفض ويقول: «يا خالد يا مفضل يا سليمان يا نجم لابل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»<sup>٤</sup>.

وسئل عليه السلام عما روى عن أبيه «إذا عرفت فاعمل ما شئت» وأن بعضهم يستحل بعد ذلك كل محرّم فقال عليه السلام: ما لهم لعنهم الله إنما قال أبي «إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك»<sup>٥</sup>.

والمعروف أنه عليه السلام كان يربي في أصحابه روح النقاش الحاسم دفاعاً عن الحق. عن هشام بن سالم قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثم قال له: ما حاجتك أيها الرجل؟ قال بلغني أنك عالم بكل ما تُسأل عنه فصرّت إليك لأنظر لك. فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ماذا؟ قال: في القرآن قطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفع؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران دونك الرجل. فقال الرجل: إنما أريدك أنت لآحمران فقال أبو عبد الله: إن غلبت حمران فقد غلبتني. فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر ومّل وعرض وحمران يجيبه فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟ قال رأيت حاذقا ما سألتني في

(٢) المصدر السابق.

(٤) بحار الانوار ٤٧: ١٢٥.

(١) بحار الانوار: ٣٧٣ نقلاً عن الكافي ٥: ١٠٦.

(٣) روضات الجنات ٣: ٣٤٤.

(٥) وسائل الشيعة ١: ١١٦، ١١٧.

شي إلا أجابني فيه فقال أبو عبد الله: يا حمران سل الشامي فما تركه يكشر فقال الشامي: أ رأيت يا أبا عبد الله أناظرك في العربية فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان بن تغلب ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر: قال: أريد أن أناظرك في الفقه فقال أبو عبد الله: يا زرارة ناظره، فما ترك الشامي يكشر قال: أريد أن أناظرك في الكلام فقال: يا مؤمن الطاق ناظره فسجل الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه فيه .. وهكذا تستمر الرواية حتى يطلب الشامي أن يكون من شيعته.<sup>١</sup>

---

(١) بحارالانوار ٤٧: ٤٠٧ - ٤٠٩.

# استكتاب

وفيه نطرح على ذوي الفكر والقلم عنواناً لدراسة معينة في مفردات الثقلين مرفقة بنموذج مقترح  
لفهرسة منهجية مع ذكر بعض المصادر المهمة له.

التحرير

\* موضوع الاستكتاب: «من سيرة الامام الصادق عليه السلام»

ومساهمة من هيئة التحرير في تقريب موضوع الاستكتاب وإبراز مفرداته التفصيلية  
تقترح على سبيل المثال نموذجاً لفهرسة منهجية يمكن ان يكون إطاراً موسوعياً  
للبحث مرفقاً بنماذج مختارة من المصادر المهمة في كل باب وفصل منه، تاركة لفضيلة  
العلماء والمفكرين الاداء والابداع المنهجي الذي يروونه مناسباً ذلك.

\* منهج البحث المقترح ونماذج من مصادره المهمة:

اولاً: مجمل المنهج:

## المحتويات :

### مقدمة عامة

الباب الاول : الجانب الشخصي للإمام الصادق عليه السلام

الباب الثاني : المدرسة الفكرية والعلمية للإمام عليه السلام

الباب الثالث : المنهج الاخلاقي والتربوي للإمام عليه السلام

الباب الرابع : الموقع القيادي والدور السياسي للإمام عليه السلام

## استكتاب

ثانياً: تفصيل المنهج:

مقدمة عامة:

الوضع العام للأمة في عصر الإمام عليه السلام<sup>١</sup>

المناخ السياسي والاجتماعي والمرحلة الحضارية لعصر الإمام عليه السلام<sup>٢</sup>

الباب الاول: في الجانِب الشخصي للإمام الصادق عليه السلام

الفصل الاول: الجد - الأب - الأم - الوليد: تاريخ الولادة ومكانها - رضاعه - نشأته في ظل

أبيه وجده وفاته: الزمان، المكان، السبب<sup>٣</sup>

الفصل الثاني: أزواجه - أولاده - مواليه - ملامحه - كُناه - ألقابه - نقش خاتمه<sup>٤</sup>

الباب الثاني: المدرسة الفكرية والعلمية للإمام عليه السلام

الفصل الاول: تنوع علومه - كيفية علمه - مصدر علومه ومعارفه - معرفته بلغات الامم

الأخرى.<sup>٥</sup>

الفصل الثاني: مدرسة الإمام الباقر عليه السلام العلمية - مدرسة الإمام الصادق عليه السلام - مدى

الترباط بين المدرستين - خصائصهما - مناهجهما التعليمية - الاستمرارية في بناء جامعة أهل

البيت عليهم السلام.<sup>٦</sup>

الفصل الثالث: دور الإمام في تدوين العلوم في عصره وتأسيس مبانيها - تلامذته ورواته -

تربيته اختصاصيين في العلوم المختلفة: كهشام بن الحكم في الفلسفة والكلام ووزارة وابن

---

(١) الأئمة الاثنا عشر: عادل الأديب / ص (١٦٥ - ١٦٦)

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر ج ٣ / ص (٩).

(٣) حياة الامام الباقر: القرشي ج ١ / ص (١٩ - ٢٣) - الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: نور الدين آل علي /

ص (٣٧) - البحار: المجلسي ج ٤٧ / ص (٨ - ١) - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر ج ٢ / ص (٤٣١).

(٤) الإمام الصادق: المظفر ج ٢ ص (١٠٥، ١٧٤) - البحار: المجلسي ج ٤٧ / ص (٢٤١ - ٢٦٩).

(٥) دائرة المعارف الشيعية ج ١ / ص (٤٤) - الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: نور الدين آل علي / ص (٤٥)

- (٥٧) - البحار المجلسي ج ٤٧ / ص (٦٣ - ١٦١) - دلائل الإمامة: الطبري / ص (١١٢ - ١٤٥).

(٦) سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ / ص (٢٤٣).

## استكتاب

مسلم في الفقه والأصول والعلوم الدينية، وجابر في الكيمياء والمفضل بن عمر في الطب و أسرار الخليفة - التأكيد على حدود الاختصاص ومرجعية الاختصاصيين<sup>١</sup>

الفصل الرابع: سنّ الإمام حرية البحث العلمي في الإسلام - المناظرات والإجابات - التصدي للانحرافات - تفنيد الشبهات - الرد على الوضاعين والغلاة - عدم تدخله في مسألة خلق القرآن - الموقف من الثقافات الأخرى.<sup>٢</sup>

الفصل الخامس: مقارنة بين أسس وقواعد المذهب الفقهي للإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الفقهية المعاصرة له.

### الباب الثالث: المنهج الأخلاقي والتربوي عند الإمام عليه السلام

الفصل الأول: المنهج الرسالي للإمام عليه السلام في توعية الأمة وتربيتها: الاتصال المباشر بالأمة - أسلوب الكتمان في السلوك الرسالي «التقية» - بناء إرادة الأمة لرفض الظلم والجهاد لإقامة الدين - رعايته لأصحابه - أسلوبه في تربية شيعته.<sup>٣</sup>

الفصل الثاني: الوسائل التربوية: الوصايا - الرسائل - الحكم والكلم القصار - الدعاء.<sup>٤</sup>

الفصل الثالث: من أدب الامام الصادق: الإمام وشعراؤه - الإمام وموالوه - الإمام ومخالفيه.<sup>٥</sup>

### الباب الرابع: الموقع القيادي والدور السياسي للإمام عليه السلام

(١) الإمام الصادق: المظفر ج ٢ / ص (١٢٥ - ١٧٢) - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر ج ٢ / ص (٣٦٦).

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: نور الدين آل علي / ص (١٠٥) - سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ / ص (٢٧٠ - ٢٨٠) - رسالتنا: جماعة العلماء: موضوع (رسالتنا في عهد الإمام الصادق عليه السلام) - دور الإمام الصادق في امامة الاسلام والمسلمين: البقال / ص (٢٨ - ٣٦).

(٣) الأئمة الاثنا عشر: عادل الأديب / ص (١٩ - ٢٠).

(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ / ص (٢٨٠ - ٢٩٥) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: الامين ج ١ / ص (٤٢).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: الامين ج ١ / ص (٤١) - الإمام الصادق عليه السلام: المظفر ج ١ / ص (٧١) - سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ / ص (٢٣٧).



## استكتاب

الفصل الاول: في إمامته والنص عليها - تاريخ تسلمه الإمامة - عمره عند تسلمه الإمامة - نفي إمامة اسماعيل وعبدالله - كراماته واستجابة دعائه.<sup>١</sup>

الفصل الثاني: في سلوكه القيادي: الدور القيادي للإمام وأقوال المعاصرين فيه - الأخلاقية القيادية للإمام وانطباعات عن شخصيته - وكلاؤه: أدوارهم ووظائفهم وأساليبهم وضبطه لسلوكهم - أساليب الاتصال بالقواعد الشيعية الشعبية - إنفاذ بعض مقربيه الى أجهزة السلطة و أدوارهم.<sup>٢</sup>

الفصل الثالث: الإمام وحكام عصره: ملوك عصره - ولاية المدينة في العهد الأموي - ولاية المدينة في العهد العباسي، السفاح والمنصور - موقف الإمام عليه السلام من الحكام - موقف الحكام منه ووسائلهم لإبعاد الناس عنه - الحرب والسلام والفتوح في نظر الإمام عليه السلام.<sup>٣</sup>

الفصل الرابع: الإمام والقتال لإسقاط حكام عصره - رؤيته في القتل لإسقاط بني أمية وبني العباس - موقفه من الحركات غير الشيعية المعارضة - موقفه من الحركات الشيعية المعارضة - موقفه بعد شهادة زيد وآل الحسن عليه السلام.<sup>٤</sup>

## خاتمة:

في ضرورة استهداء سيرة الامام الصادق عليه السلام ومعطيات دوره الرسالي في ترشيد المسيرة الاسلامية المعاصرة لاسيما بعد نجاح الثورة الاسلامية بقيادة الإمام الراحل السيد الخميني قدس سره في إقامة دولة الفقيه الإسلامي العادل في ايران.

(١) البحار: المجلسي ج ٤٧ / ص (٥-٦-١٢ و ١٥-٦٣ و ١٦١-٢٤١) - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية: الأمن ج ١ ص (٤٠) - دلائل الإمامة: الطبري / ص (١١٢-١٤٥).

(٢) الأئمة الاثنا عشر: الأديب / ص (١٦٦-١٦٩) - سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ / ص (١٣٧-١٤٢) - البحار: المجلسي ج ٤٧ / ص (١٦-١٦٢) - الإمام الصادق: المظفر ج ١ / ص (١٣٧-١٤٢) - الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ٤: أسد حيدر / ص (٣٢٩-٣٤٣) - دور الإمام الصادق في إمامة الإسلام والمسلمين: البقال / ص (٣٩).

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ / ص (١٠٣-١٤٢) - دور الإمام الصادق في إمامة الإسلام والمسلمين: البقال / ص (١٩-٢٦).

(٤) الأئمة الاثنا عشر: الأديب / ص (١٧٩-١٨٤) - الغدير ج ٣ / ص (٧٠).

## استكتاب

من مصادر البحث المهمة:

- ١ - الأئمة الاثنا عشر: عادل الأديب - الطبعة الأولى (١٩٧٩ م).
- ٢ - الإمام الصادق عليه السلام: المظفر.
- ٣ - الإمام الصادق كما عرفه علماء العرب: نور الدين آل علي.
- ٤ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر.
- ٥ - البحار: المجلسي ج ٤٧ الطبعة الثانية (١٣٩٥ هـ - ق).
- ٦ - حياة الإمام الباقر عليه السلام: القرشي.
- ٧ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: الأمين ج ١ الطبعة الثالثة (١٤٠١ هـ - ق).
- ٨ - دور الإمام الصادق في إمامة الإسلام والمسلمين: البقال.
- ٩ - رسالتنا: جماعة العلماء.
- ١٠ - سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسيني ج ٢ (١٤٠٦ هـ - ق).
- ١١ - الإمام الصادق عليه السلام: محمد أبو زهرة.
- ١٢ - الإمام الصادق عليه السلام: عبدالحليم الجندي.
- ١٣ - الإمام الصادق عليه السلام: رمضان لاوند.
- ١٤ - تاريخ الأدب العربي على ضوء المنهج الإسلامي: البستاني.
- ١٥ - سیری در سیرة ائمه اطهار: الشهيد مطهري (باللغة الفارسية).

\* ملاحظات و ضوابط تراعى في الدارسة المقدمة:

- ١ - لمن لا يتمكن من تناول الدارسة كاملة أن يتناول باباً واحداً أو أكثر من أبواب موضوع الاستكتاب.
- ٢ - أن يكون البحث علمياً محققاً وموثقاً من مصادره بدقة وتفصيل.
- ٣ - يشار إلى المصادر وتوضح بشكل تفصيلي مباشر في هامش صفحة المتن.
- ٤ - أن تكون مكتوبة بخط مقروء.

\* تسمين:

## استكتاب

- ١ - تقدم المجلة المقدار المناسب من الحقوق المالية مقابل الجهود المبذولة في الدراسات المقبولة.
- ٢ - تتعهد المجلة بطباعة الدراسات المتفوقة على شكل كتاب مستقل إذا كانت شاملة لجميع أو أغلب أبواب موضوع الاستكتاب.
- ٣ - تقوم المجلة بنشر الدراسات المتفوقة على صفحاتها إذا اقتصر على بعض أبواب موضوع الاستكتاب.

# الاستشراق والاسلام (١)

## هوية الاستشراق

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

### مقدمة: أهل الكتاب والثققلين

منذ بزوغ فجر الإسلام، وصدع الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة الجديدة، تنادت قوى الكفر والشرك والضلال، وأجمعت أمرها على التصدي لها بكل ما تملك من وسائل، وحاولت جاهدة القضاء عليها في مهدها مستهدفة ثقليها الكريمين القرآن المجيد والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الاطهار عليهم السلام. وكان لأهل الكتاب، ممن نكثوا العهد ونقضوا المواثيق المأخوذة عليهم من قِبَل أنبيائهم بالالتحام مع الرسالة المحمدية، الدور الأكبر والجهد الفاعل في التصدي والتأمر على شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الرسالة التي جاء بها.

ولعل ما يؤكد ذلك هو أن من أكثر ما تناوله القرآن الكريم ونزلت به آيات كريمة بهذا الصدد يتعلق بأهل الكتاب، من بيان لطبيعة سلوكهم وموقفهم من الثققلين وارشاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما يجب أن يتخذه من موقف رسالي تجاههم. فقد بلغت الآيات القرآنية الكريمة النازلة بهم (٢٦٧ آية تقريباً)، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية دورهم وخطرهم على حركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تثبيت دعائم الرسالة الإسلامية وضمان مستقبلها على صعيد حفظها من التحريف والتزوير، وتبليغها لكافة الناس، وامتداد لوانها إلى أقصى أمصار الأرض.

ومن الواضح أن الآيات الكريمة في هذا المجال تنقسم إلى قسمين رئيسيين، وقد يتداخل القسمان في الآية الواحدة وقد ينفصلان، وقد تتداخل مفردتان تفصيليتان فيها أو أكثر وقد تستقلّ بواحدة. ونستعرض كلاً منهما كالآتي:-

القسم الأول:-

### الآيات الناطرة إلى موقف أهل الكتاب من الثقلين، ويمكن عرضها على شكل

عناوين تفصيلية تظهر لنا أبرز مواقفهم تلك:

١- كتمان الحق وتحريفه: وهم يعلمون... ففي الآيات المبينة التالية نرى أن كل آية منها تجري مع الخط الأساسي المريض في مجموعها وهو خط المواجهة بين أهل الكتاب والثقلين وبها يتجلى ما بذله هؤلاء الأعداء من جهد وحيلة ومن مكيدة وخداع ومن كذب ولبس للحق بالباطل، وبثّ الريب والشكوك وتبييت الشرّ والضرّ لهما بلا وني ولا انقطاع كما في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾<sup>١</sup>. وقوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه...﴾<sup>٢</sup>. وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترُونَ﴾<sup>٣</sup>. وقوله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾<sup>٤</sup>. ومن المثير في موقفهم هذا أنهم كانوا ينتظرون بزوغ فجر الدين الجديد، وكانوا يبشرون به ويفتخرون على غيرهم من الأمم والأديان بأن النبي المتوقع سيكون منهم، ولكن ما إن جاءهم حتى كفروا به. قال تعالى:- ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾<sup>٥</sup>.

ثم أنهم كانوا يعرفون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم باسمه وبم شخصاته، ولكن بعد أن بعثه الله سبحانه لم يؤمنوا به، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه

(١) آل عمران - ٧١ .

(٢) النساء - ٤٦ .

(٣) آل عمران - ١٨٧ .

(٤) البقرة - ٨٩ .

(٥) البقرة - ٧٥ .

كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴿١﴾  
وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾<sup>١</sup>.

٢- نقض العهود والمواثيق: وهم لا يتقون... رغم كل ما أخذه عليهم أنبياءهم من مواثيق وعهود بضرورة الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في كتبهم وبما يأتي به من كتاب الله. ومن صريح الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾<sup>٢</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾<sup>٣</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبشس ما يشترون﴾<sup>٤</sup>.

٣- النفاق والتضليل: وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون... قال تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾<sup>٥</sup>.

وقال أيضاً ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾<sup>٦</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غُلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾<sup>٧</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾<sup>٨</sup>.

وبهذا الأسلوب حاول بعضهم جاهدين التوغل في صفوف المسلمين عن طريق مؤامرة خبيثة كشفها الله سبحانه وتعالى، وأوضح خطتها الرامية لزعة الإيمان وإخراج

(١) الانعام - ٢٠. (٢) البقرة - ١٤٦. (٣) الانفال - ٥٦.  
(٤) البقرة - ١٠٠. (٥) آل عمران - ١٨٧. (٦) آل عمران - ٦٩.  
(٧) المائدة - ٤١. (٨) البقرة - ٨٨. (٩) البقرة - ٤٤.

المسلمين من عقيدتهم وهي تقوم على أساس التظاهر بالإيمان بالرسالة ثم الإنسحاب منها بحجة التوصل إلى قناعة تامة بطلانها وبطلان دعوى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، قال تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾<sup>١</sup>.

وعلى نفس النهج يكشف الله تعالى مؤامراتهم الواحدة تلو الأخرى كالتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾<sup>٢</sup>.

٤. الحسد والتعصب: كأنهم لا يعلمون... فقد استولت على فريق من أهل الكتاب هذه الحالة الطاغية من الحسد والحقد والتعصب عندما حصحص الحق وبان لهم حذره، فراحوا يكيدون للثقلين ما وسعتهم المكائد واحتوته نفوسهم المريضة من خداع وتزييف.. ومن الآيات المحكمات التي تسوق لنا هذه الحقيقة هي قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾<sup>٣</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق...﴾<sup>٤</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ما يؤذ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾<sup>٥</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾<sup>٦</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما

(٣) البقرة - ١٠١.

(٢) آل عمران - ٧٨.

(١) آل عمران - ٧٢.

(٦) البقرة - ٨٩.

(٥) البقرة - ١٠٥.

(٤) البقرة - ١٠٩.

كان من المشركين<sup>١</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً<sup>٢</sup>﴾.

٥- التعالى والإستهزاء: لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون .. وهذا أسلوب آخر تميّز به المكابرون من أهل الكتاب، فهو لغة من أعيته السبل فراح يتخبط في وهم أغمض فيه عينيه عن الحقائق هارباً من الحق إلى الباطل تارة بمسلك العتوّ والاستعلاء وأخرى بمنطق السخرية والإستهزاء كما تشير إليه آيات كريمة، منها قوله تعالى في الذين هادوا: ﴿... ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لئلاً باللستهم وطمعاً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً<sup>٣</sup>﴾.

وقوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون<sup>٤</sup>﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما وإليه المصير<sup>٥</sup>﴾.

٦- الحقد والعدوان: لبس ما كانوا يعملون... من صدّ عن سبيل الله ومسارعتهم في الإثم والعدوان بعد أن رأوا دين الله يعلو وينتشر وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذيع بين القبائل والأمم ... فأعدّوا العدة للحرب والعدوان... بدءاً بمعركة النصارى مع المسلمين في مؤتة التي استشهد فيها جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة، فمعركة اليرموك وما بعدها... ومنه ما كان من اليهود الذين عُرِفوا بالخيانة ونقض العهد، كالذي حدث في معركة الأحزاب عندما نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحالفوا مع المشركين ضده ... وكذا واقعة خيبر التي كانت فيها هزيمتهم الماحقة على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... وقد

(٣) النساء - ٤٦.

(٢) النساء - ٥١.

(١) البقرة - ١٣٥.

(٥) المائدة - ١٨.

(٤) آل عمران - ٧٥.



عرضت آيات من القرآن الكريم هذه النزعة فيهم... ويظهر هذا الموقف من خلال جملة من آيات القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلمهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾<sup>١</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾<sup>٢</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله...﴾<sup>٣</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾<sup>٤</sup>.

القسم الثاني:-

الآيات المرشدة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسددة له في اتخاذ الموقف الإلهي من سلوك

ومواقف أهل الكتاب. ولعل أبرز عناوينها التي تحدد تلك المواقف الإلهية هي:-

١- دعوة أهل الكتاب للحق وترغيبهم إليه : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين... ففي الآيات التالية حكاية وبيان بليغ لذلك. قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾<sup>٥</sup>.

وقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾<sup>٦</sup>.

٢- التحاج إلى الحق : فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون... وصريح هذا الموقف الإلهي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجده في قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون

(٣) التوبة - ٣٤.

(٢) المائدة - ٥٩.

(١) المائدة - ٥٢.

(٦) المائدة - ١٩.

(٥) المائدة - ١٥.

(٤) النساء - ١٦٠.

اللَّهُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>١</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ فَهَمٌ وَهُمْ مَعْرُضُونَ<sup>٢</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ<sup>٣</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ مِنَ رِبْكُمْ...<sup>٤</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>٥</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ<sup>٦</sup>.  
 ٣- الرد على شبهاتهم: ثم ذرهم في خوضهم يلعبون... وآيات هذا الموقف كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبَدِّلُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيراً وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ<sup>٧</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رِبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ<sup>٨</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>٩</sup>.  
 ٤- كشف نواياهم وامتحان مدى صدقهم: واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ... كما في قوله

(٣) الانعام - ١١٤.

(٦) آل عمران - ٧٠.

(٩) البقرة - ٨٠.

(٢) آل عمران - ٢٣.

(٥) آل عمران - ٦٦.

(٨) المائدة - ٦٤.

(١) آل عمران - ٦٤.

(٤) المائدة - ٦٨.

(٧) الانعام - ٩١.

تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾<sup>١</sup>.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نؤمنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْيَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>٢</sup>.

وكذا قوله تعالى في امتحان مدى صدقهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>٣</sup>.

٥- إنصاف طلاب الحق منهم : أولئك لهم أجرهم عند ربهم... كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>٤</sup>. وغالباً ما يكون هؤلاء من المنتظرين بإخلاص وصدق لبعثة الرسول بالرسالة الإسلامية الموعودة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاكِثِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾<sup>٥</sup>.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>٦</sup>.

٦- رفض ولايتهم : ومن يتولهم منكم فإنه منهم ... فقد جاء في الخطاب الإلهي للمؤمنين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٧</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مَوْمِنِينَ﴾<sup>٨</sup>.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>٩</sup>.

٧- احترام اليهود والمواثيق معهم :.. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ... وبيان ذلك من خلال شمول

(٢) الجمعة - ٦.

(٦) القصص - ٥٢.

(٩) المائدة: ٨١.

(٢) آل عمران - ١٨٣.

(٥) النساء - ١٦٢.

(٨) المائدة: ٥٧.

(١) المائدة - ٦١.

(٤) آل عمران - ١٩٩.

(٧) المائدة: ٥١.

إطلاق المشركين لأهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَذْتَبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿...إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. وكذلك في خطاب الله سبحانه لنبى اسرائيل في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاي فَارْهَبُون﴾.<sup>٢</sup>

٨- الحذر من اغوائهم وتضليلهم :- إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون... ويظهر لنا هذا المعنى من خلال سياق آيات كريمة في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْصُمِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلِئِنْ تَبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.<sup>٣</sup>

٩- التهديد والوعيد للمعاندِين منهم: فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ... وفي هذا نجد مجموعة من الآيات الكريمة صريحة في بيانها، شديدة في مدلولها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.<sup>٤</sup>

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ

(٣) البقرة - ٤٠.

(٦) آل عمران - ١٠٠.

(٢) التوبة - ٧.

(٥) البقرة - ١٤٥.

(٨) البقرة - ١٧٤.

(١) التوبة - ٤.

(٤) البقرة - ٧٧، ٧٦، ٧٥.

(٧) آل عمران - ١٩.

ليشتروا به ثمنًا قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون<sup>١</sup>. وقوله تعالى ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا أأن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق<sup>٢</sup>﴾.

١٠. لعن وقتال المحاربين منهم: حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون... وهذا صريح مبين في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون<sup>٣</sup>﴾. وكذلك في قوله تعالى ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار<sup>٤</sup>﴾.

وهكذا جاءت الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً<sup>٥</sup>﴾.

\* العداء دائم ما دامت علته: فمن قوله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل: بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين<sup>٦</sup>﴾. وقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير<sup>٧</sup>﴾. نعرف أن العلة الأساسية للموقف العدائي لأهل الكتاب من ثقلي الرسالة الإسلامية «القرآن الكريم والعتر الطاهرة» قائمة دائمة في محور المواجهة بينهما وهي عدم رضا أهل الكتاب عن المسلمين وأنتهم حتى يتبعوا ملتهم، ولا ينحصر هذا العناد والعداء بمرحلة دون أخرى بل يمتد في الأرض ما انتشر الإسلام، ويتزامن عبر العصور مع كل قيام شوكة للمسلمين إلا أنه يتكيف ويتشكل بما يوحيه إليهم شيطانهم من مكر وخديعة وخبث ووقية، وفي مقدمتها المواجهة الفكرية والإعلامية بكافة أشكالها وكيفياتها... ومنها ما اصطلاح عليه مؤخراً بالاستشراق... ويبقى

(٣) التوبة - ٢٩.

(٢) آل عمران - ١٨١.

(١) البقرة - ٧٩.

(٦) البقرة - ١٣٥.

(٥) الاحزاب - ٢٦.

(٤) الحشر - ٢.

(٧) البقرة - ١٢٠.

## دراسات

موقفنا منهم متقوماً بنفس ما أرشد اليه القرآن الكريم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما استعرضناه في مقدمة دراستنا هذه... وفي بحثنا التالي سنتناول بشيء من التفصيل هذا الشكل من المواجهة لثقافة الإسلام وعطاءاتها الرسالية للبشرية.

## الاستشراق والإسلام

### فهرست البحث:-

هوية الاستشراق.

الجدور التاريخية لحركة الاستشراق.

نماذج من مفردات الجهد الاستشراقي:-

القسم الاول:- نماذج من كبار رجال الاستشراق.

أولاً: صموئيل زويمر. ثانياً: لويس ما سينيون. ثانياً: ارنست جان قنسنك.

القسم الثاني:- نماذج من الإنتاج الموسوعي للمستشرقين:-

أولاً: دائرة المعارف الإسلامية.

ثانياً: دائرة المعارف (البريطانية، الأمريكية، لاروس الفرنسية).

ثالثاً: قاموس المنجد.

رابعاً: الموسوعة العربية الميسرة.

خامساً: الموسوعة الإسلامية الميسرة.

القسم الثالث:- نماذج من الموضوعات التي ركّز عليها المستشرقون:-

أولاً: القرآن الكريم:-

أ - اعجاز القرآن. ب - الوحي القرآني. ج - ترجمة القرآن.

ثانياً:- السيرة النبوية:-

أ - تتبع الشاذ الضعيف من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب - ردّ سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعطياتها إلى أصول نصرانية أو

يهودية.

ج - اعتماد منهج مناقض للمنهج العلمي في تناول السيرة النبوية.

د - تصوير مواقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود وقبائل العرب على أنها ظلم وتعسف.

هـ - تصوير سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أنها نتاج بيئته.  
و - إثارة الشبهات والشكوك في ثوابت السنّة والتأريخ النبوي بهدف نفي القدسية عنها.

ز - الانطلاق من المنطلق الوضعي العلماني وطريقة التفكير الأوربية في تناول السيرة النبوية.

### أهداف ومراحل في حركة الاستشراق:-

المرحلة الاولى:- مرحلة الانفتاح لإحتواء الحضارة الإسلامية.

المرحلة الثانية:- مرحلة الانتقاء من الحضارة الإسلامية.

المرحلة الثالثة:- مرحلة تغريب إفرزات الحضارة الإسلامية.

المنتقاء.

المرحلة الرابعة:- مرحلة استعمار الشرق وتطبيعهم على الحضارة المغرّبة.

### هوية الاستشراق

تعريف الإستشراق :- يُعرّف الاستشراق اصطلاحاً بأنه «العلم باللغات والاداب والعلوم الشرقية»<sup>(١)</sup> والعالم بها يسمى بالمستشرق والذي ينحصر مصداقه عادةً بالمتخصص الغربي بتلك العلوم. ومن خلال الاستقراء الشامل لما تمخض عنه الإستشراق فعلاً نجد أن الغالب على ما تناولة من الشرق هو الإسلام كمعارف وكحضارة، وعليه يمكن بدواً موافقة المستشرق الفرنسي الشهير مكسيم رودنسون في تعريفه للاستشراق بأنه: «اتجاه علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته»<sup>(٢)</sup>. وبما ان الاستشراق نشأ على يد الاوربيين لذلك كان متماشياً ومتناسباً مع طبيعة الفكر الاوربي في كل مرحلة من مراحل التاريخية وكذلك منسجماً مع نظرة أوروبا

(١) المنجد - مادة «شرق».

(٢) رودنسون، مكسيم، حوار تحت عنوان «الاستشراق في الميزان»، مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠.

الى الشرق وبالخصوص الشرق الإسلامي، فعندما كانت الطبيعة التبشيرية هي السمة البارزة للفكر والحكومات الأوربية كان الاستشراق يندفع بهذا الاتجاه، ويتأكد هذا اذا كان المستشرق ينطلق في عمله من خلال مؤسسة تبشيرية، حينئذ سيأخذ الاستشراق مساراً وحركة ذات اتجاه تبشيري وليس علمياً محضاً، فيمتد عمل المستشرق ليشمل كل ما يخدم مهمة التبشير، فهو عندما يتناول الإسلام كفكر وكحضارة بالبحث والدراسة سيكون ذلك على ضوء ما تعلمه عليه طبيعة الفكر التبشيري... ويشير الى ذلك المستشرق «درمنغهم» في معرض بيانه عن النفي الكيفي وإثارة الشكوك في معطيات السُّنة النبوية والتاريخ الإسلامي من قبل المستشرقين (ذوي الدوافع التبشيرية) فيقول: «من المؤسف حقاً أن غالباً بعض هؤلاء المتخصصين - من أمثال موير، ومرغوليوث، ونولدكة، وشيرنجر، ودوري، وكيثاني، ومارسني، وغريم، وغولدزيمر، وغودفروا، وغيرهم - في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى اليها المستشرقون سلبية وناقصة، ولن تقوم سيرة على النفي، وليس من مقاصد كتابي أن يقوم على سلسلة من المجادلات المتناقضة ... ومن دواعي الأسف أن كان الأب «لامانسي» الذي هو من أشهر المستشرقين المعاصرين ومن أشدهم تعصباً وأنه شَوَّهَ كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرمه للإسلام ونبي الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادها بحكم الضرورة بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر»<sup>١</sup>.

كما نجد ذلك واضحاً في مجموعة من المجلات الاستشراقية كمجلة (العالم الإسلامي) التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون والتي أنشأها «صموئيل زويمر»<sup>٢</sup> في سنة ١٩١١ م

(١) درمنغهم - حياة محمد - المقدمة ص ٨، ص ١٠، ص ١١.

(و مع ذلك فقد وقع درمنغهم في نفس الداء ونفت في كتابه هذا سُمّاً ناعماً ومفاهيم سيئة منكورة عن الإسلام ونبه على الله عليه وآله وسلم)

(٢) صموئيل زويمر: (١٨٦٧ - ١٩٥٢ م) مستشرق اميركي محرر مجلة (عالم الإسلام) له مؤلفات عن الإسلام في العالم وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام منها «يسوع في إحياء الغزالي» - (القاموس المنجد «في الاعلام»). كان أحد أعضاء الارسالية الأمريكية العربية [التبشيرية] التي تأسست عام ١٨٨٩ م وقد افتتح مع المبشر جيمس كانتين اول محطة عمل تبشيرية لهذه الارسالية في البصرة عام ١٨٩١ م ثم تلتها محطة البحرين التبشيرية عام



وتصدر الآن من هارفورد بامريكا ورئيس تحريرها «كنيث كراج» وطابع هذه المجلة تبشيري سافر وللمستشرقين مجلة شبيهة بتلك المجلة في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وتحمل نفس الاسم (العالم الإسلامي) مع العلم أن أغلب المحررين لمثل هذه المجلات هم من المبشرين كالقسيس «ا.ا. الدر» والقسيس «ا. بشوب» والقسيس «ل.ل. براون» والقسيس «د.م. دونالدسون»<sup>١</sup>.

وهكذا عندما يكون طابع الفكر الأوربي السائد هو الطابع الاستعماري (بالمعنى الحديث للمصطلح) فإن الاستشراق يندفع بهذا الاتجاه ليخدم كل ما من شأنه تكريس الاستعمار، كتزويد الحكومات المستعمرة بالدراسات والتحليلات الوافية عن الشرق والبلاد المستعمرة، وكذلك تزيين صورة المستعمرين وتبرير ممارساتهم وإظهارهم بمظهر المنقذ والمحور وحامل راية الحرية والحضارة مثلاً، أو قد يكون المستشرق عاملاً في إحدى مؤسسات الدول الاستعمارية بصورة رسمية، كأن يكون مثلاً مستشاراً لوزارة المستعمرات في هذه الدول، كما هو الحال بالنسبة للمستشرق الفرنسي «هانوتو» الذي كان يعمل مستشاراً لوزارة الاستعمار الفرنسية - نجده يتجه في دراساته الاستشراقية إلى كل ما يخدم الحركة الاستعمارية لفرنسا في الشرق، بل ويحاول توظيف رعييل من المستشرقين لهذا الغرض من خلال رسم مناهج بحثهم ودراساتهم الاستشراقية من وحي الدوافع الاستعمارية لبلاد الشرق الإسلامي ... وهكذا يصب الجهد الاستشراقي في الاطار الاستعماري لأوروبا بشكل مباشر أو غير مباشر. ومن نماذج ذلك ما كتبه «هانوتو» هذا عن المسلمين وعقيدتهم واضعاً المقترحات الضرورية في نظره لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الأفريقية الإسلامية تحت عنوان «قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية»، وقد نشرت جريدة «المؤيد» في تمام القرن التاسع عشر ترجمة لمقالته هذه نورد مقاطع منها هي قوله: «... في تلك البقعة الإفريقية التي أصبحت مقر ملك الإسلام، جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته. جاء القديس لويس - الذي ينتمي إلى إسبانيا بوالدته - ليضرم نيران القتال في مصر وتونس، وتلاه لويس الرابع عشر في تهديده

١٨٩٣ م واستمر في أداء دوره التبشيري في منطقة الخليج العربية بمشاريع متنوعة هادفة بهذا الاتجاه. (د. التميمي، عبد الملك خلف - التبشير في منطقة الخليج العربي ص ٤٥ - ٧٠).  
(١) الدكتور محمد البهي - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

## دراسات

الإمارات الأفريقية الإسلامية، وعاود هذا الخاطر نابليون الأول، فلم يوفق في تحقيقه الفرنسيون إلا في القرن التاسع عشر، حيث أخذوا على دولة الإسلام التي كانت لاتني في متابعة الغارات على القارة الأوربية، فأصبحت الجزائر في أيديهم منذ سبعين عاماً، وكذلك القطر التونسي منذ عشرين عاماً.

«...إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الإسلام، بل صارت في صدر الإسلام وكبده، حيث فتحت أراضيه وأخضعت لسلطاتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين، وهي تدير اليوم شؤونه وتجبي ضرائبه، وتحشد شبابه لخدمة الجندية، وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها في موافق الطعان ومواطن القتال. إن شعباً جمهوري المبادئ (شعب فرنسا) يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشدة إلا نفسه - لا عائلات ملوكية فيه يتنازع عن الحكم، ولا رؤساء يتناولون الرياسة بطريق الوراثة - هو الذي تقلد زمام إدارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساويه في العدد، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة، والمتبع لتقاليد وعادات غير التي نقولها ونحترمها ... هو الشعب الإسلامي السامي الاصل، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن ملح المدنية وروحها!!

ليس الإسلام في داخلنا فقط، بل هو خارج عنا أيضاً ... قريب منا في «مراكش» تلك البلاد الخفية الأسرار، ... قريب منا في «طرابلس الغرب» التي تتم بها المواصلات الأخيرة بين مركز الإسلام في البحر الأبيض المتوسط وبين الطوائف في باطن القارة الأفريقية، قريب منا في «مصر» حيث تصادمت معنا الدولة البريطانية فصادمنا إياها في الأقطار الهندية، وهو موجود وشائع في «آسيا» حيث لا يزال قائماً في بيت المقدس وناشراً أعلامه على «مهد الانسانية مقر المسيح»، ويحسب أنصاره وأشباعه في قارات الارض القديمة بالملايين وقد انبعثت منه شعبة في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون، فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء «لساكياموني» وليس هذا بالأمر الغريب، فإنه منتشر في الآفاق...

«لا تظنوا أن هذا الإسلام الخارجي الذي تجمعه جامعة فكر واحد، غريب عن إسلامنا (في تونس والجزائر) ولا علاقة له به، لأنه وإن كانت البلاد (الإسلامية) التي تحكمها شعوب مسيحية ليست في الحقيقة بـ (دار إسلام) وإنما هي دار حرب، فإنها لا تزال عزيزة وموقرة في

قلب كل مسلم صحيح الإيمان والغضب لا يزال يحوم حول قلوبهم كما تحوم الأسد حول قفص جلست فيه صغارها، وربما كانت قضبان هذا القفص ليست متقاربة ولا بدرجة من المتانة تمنعها عن الدخول إليها من بينها.

يؤخذ مما تقدم أن جرائم الخطر لا تزال موجودة في ثنيات الفتوح وعلى أفكار المقهورين الذين أعتبتهم النكبات التي حاقت بهم، ولكن لم تشبط همهم، نعم ليس لمقاومتهم رؤساء يشدون هذه المقاومة، ولكن رابطة الإخاء الجامعة لأفراد العالم الإسلامي بأسره كافلة بالرياسة.. ففي مسألة علاقتنا مع الإسلام تجد المسألة الإسلامية والمسألة الدينية والمسائل الداخلية والخارجية شديدة الاتصال بعضها ببعض، وهذا ما يجعل حلها صعباً ومتعزراً، كما سنبينه.<sup>١</sup>

هذا الدافع «الاستعماري» الذي تجلّى عند المستشرق الفرنسي «هانوتو» خلق تلك النظرة إلى المسلمين في آسيا وأفريقيا، وهي نفسها التي يحملها المستعمر الفرنسي والإنجليزي والهولندي عند تعامله معهم وتوجيهه إياهم، وبهذا تتضح سياسة الاستعمار في الشرق الإسلامي من خلال توجيه الاستشراق كحركة وتوسيع مفهومه من الإطار العلمي المحض إلى إطار حركة الاستعمار وأهدافه.

وقد لا يكون وراء الاستشراق كحركة دافع واحد يضاف إلى مدعى الدافع العلمي بل كثيراً ما تجتمع وراءه دوافع متعددة تنحو به باتجاه استيعاب كل الأغراض والاهداف المشتركة للقوى الكامنة وراءه فيندفع في مرحلة تاريخية واحدة باتجاهات متعددة هدفها تشويه وتحريف العقائد والتمبنيات الفكرية السائدة في الدائرة التي تتناولها دراسات المستشرقين وأبحاثهم، ومثال ذلك ما ذكره لنا الكاتب «أنور الجندي» في معرض بيانه لمخططات الاستشراق في ضرب الإسلام والوحدة الإسلامية من خلال نظراته إلى مصدر الدين، فيقول: «حاول الاستشراق فرض مفهومه أن الدين ظاهرة اجتماعية لم تنزل من السماء، وإنما خرجت من الأرض، كما خرجت الجماعة نفسها على النحو الذي قال به «دوركايم»<sup>٢</sup> ومدرسة

(١) تاريخ الامام:- جلد ٢ / صفحة ٤٠١-٤٠٧.

(٥) دوركايم (أميل) (١٨٥٨ - ١٩١٧ م): عالم اجتماعي فرنسي، قال: ان المجتمع هو مصدر الاحداث الادبية والدينية.. (القاموس المنجد «في الاعلام»).

## دراسات

العلوم الاجتماعية التي يتصدر لقيادتها الاستشراق اليهودي والتي خضع لها وُخِّدَ بها الكثير من الأسماء اللامعة من الذين تلقوا تعليمهم في أوائل هذا القرن في السربون وغيرها وفي مقدمتهم «طه حسين» و«محمود عزمي» وغيرهم.

وينظر الاستشراق (والمناهج الغربي كله) إلى الأديان جميعاً من خلال مقولة مضللة تقول: إن الأديان ظاهرة اجتماعية وظاهرة مرحلية تلت مرحلة الوثنية وأعقبها مرحلة العلم التي لم يُعَد الإنسان أو المجتمع خلالها في حاجة إلى وصاية الدين، وإن الأمم الراقية الآن لا تحتاج إلى الدين أصلاً؟

ومن ثم فإن الاستشراق يمضي إلى التشكيك في قاعدة (عالمية الإسلام) وختم الرسالة ويفتح الباب واسعاً أمام دعوات البهائية والقاديانية في الدعوة إلى وحدة الأديان كما يشير دائماً إلى ما ترمي إليه الماسونية مما يطلق عليه دين البشرية (الهومينيزم).

وهذه كلها محاولات تجتمع عليها مخططات الاستشراق الغربي والماركسي والصهيوني، في محاولة إزاحة الإسلام والتشكيك فيه.<sup>١</sup>

من كل ما سبق نخلص إلى أن الاستشراق كمفهوم ليس اتجاهًا علميًا لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته كما ادعاه المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم رودنسون»، بل هو في حقيقته حركة واسعة الدوافع والقوى الكامنة وراءه حتى استوعب في كثير من مراحل وأدواره أغلب التطلعات الحضارية لأوروبا وحركتها الاستعمارية في الشرق خصوصاً الإسلامي منه.

(١) أنور الجندى - مجلة منار الإسلام العدد ٧ - السنة ١٤ «مخططات الاستشراق».

## « الاحكام الشرعية ثابتة لا تتغير »

نشرت مجلة العربي التي تصدر في الكويت في عددها المرقم ٢٧٩ الصفحة ٣٣ مقالاً تحت عنوان «الفتاوى والاحكام الاسلامية بين التفسير والثبات» بقلم الدكتور عبد المنعم النمر مشيراً فيه شبهة مفادها أن «ليس لكل الاحكام والفتاوى الاسلامية حصانة من تغييرها حسب الزمان والمكان والظروف التي تمر بيئته المسلم ومجتمعه». وقد تصدى سماحة الشيخ لطف الله الصافي للجواب عن هذه الشبهة على أساس من نهج أهل البيت عليهم السلام، واستخلصت هيئة التحرير الرد التالي منه:-

قال الله تعالى :- ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>١</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني وهو متكئٌ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وأنّ ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حرّم الله»<sup>٢</sup>.

ذكر عند ابن عباس الضبّ فقال رجل من جلسائه: أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحلّه ولم يحرمه. فقال: بشّ ما تقولون، إنّما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محلاًّ ومحزماً<sup>٣</sup>.

(٢) كتاب العلم، الترمذي باب ١٠ ح ٢٦٦٤.

(١) المائدة / ٤٩ - ٥٠.

(٣) المستند: ١ / ٢٩٤ و ٣٤٥.

## الاسلام دين إلهي عالمي لجميع العصور:-

من الامور التي لا ريب فيها والتي اتفق عليها المسلمون ودلت عليها البراهين المحكمة العقلية السمعية أن الاسلام دين عالمي لنوع الانسان كافة، ولجميع العصور والأزمان، وأنه أقوم الاديان وأوضحها، وأوسط الطرق وأشملها، وأنه صالح لإدارة المجتمع الانساني دائماً، فمهما يمضي عليه الزمان لا تسبقه الحضارات والمدنيات ولا يتأخر عن العلم والتكنيك.

فهو دين الله الخاتم، دين الفطرة ودين الحياة، دين العلم والعدل والانصاف وكرائم الاخلاق، دين كله نظام؛ نظام العقيدة الصحيحة الخالصة من الخرافات، نظام الآداب الحسنة، نظام العبادة لله تعالى، نظام الحكومة والسياسة، نظام المال والاقتصاد، نظام الزواج والعائلة والاحوال الشخصية، نظام التعليم والتربية الرشيدة، نظام القضاء وفصل الخصومات، نظام الحقوق. والمعاملات، نظام الصلح والحرب، ونظام كل الامور، فهو عقيدة وشريعة وسياسة وحكومة.

نظام لا يُنسخ ولا يزول ولا يتغير أبداً، لأن الله تعالى ختم به وبالمُرسل به سيدنا وسيد الخلق أجمعين وسيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم النبوات والرسالات، فلا شريعة بعده ولا كتاب ولا نبوة ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فقلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾<sup>١</sup>.

ولاريب في أن معنى خاتمية الدين: بقاء أحكامه الخمسة من الكراهة والندب والإباحة والوجوب والحرمة، وأحكامه سواء كانت أحكام موضوعات بعناوينها الأولية مثل حرمة أكل الميتة، أو بعناوينها الثانوية مثل جواز أكل الميتة في حال الاضطرار، وسواء كانت من الاحكام الظاهرية أو الواقعية، على ما بيّن تعريفها في علم اصول الفقه، وهكذا أحكامه الوضعية كالزوجية والملكية والولاية والحكومة وغيرها.

فهذه الأحكام بجملتها وبكل واحد منها مصونة عن التغيير والتبديل، فلا تنالها يد الانسان كائناً من كان بتغيير ولا تبديل، لا لأنها أحكام خالدة حكم الله تعالى بخلودها وبقائها ما بقي من الانسان كائن حيٍّ فحسب، بل لأنه مضافاً الى ذلك ليس لغير الله تعالى - على أساس

الايان بالتوحيد وبصفات الله الكمالية التي هو سبحانه متفرد بها - صلاحية التشريع والحكم والولاية .

فالنظام الذي يؤمن بالله تعالى لا يعدل عن أحكام الله تعالى ولا يرى لشعبه ولا لقيادته حق التشريع، ولا يتخذ حاكماً وولياً من دون الله ، بل يقدس الله وينزهه عن أن يكون له شريك في الحاكمية والمشروعية، وذلك بخلاف مبادئ الأنظمة المشتركة الملحدة التي من مبادئها أن الحكومة ووضع القوانين والأنظمة حق للشعب والاكثرية دون الله تعالى.

وجدير بالذكر أن هذا الأساس والعقيدة عند المسلمين بأن الاحكام مصونة عن التغيير والتبديل كان من أدل الأدلة لرد المتجاوزين والمتعدين حدود الله واحكامه، ونفي إبطال المبطلين طوال اربعة عشر قرناً.

ولو لم نحتفظ بهذا الأصل الأصيل، ولم تنكر على من يتخلف عنه أو يقول باختصاصه بالنصوص القرآنية، أو باختصاصه بغير الامور الدنيوية والمالية، لرأينا الدين غير الدين والملة غير الملة، ولتلاعب أهل الأهواء والآراء في كل عصر بلعب جديد يوافق - بزعمهم - مزاج العصر.

ومن امثال ذلك مقال الدكتور عبد المنعم النمر المعنون بـ «الفتاوى والاحكام الإسلامية بين التغيير والثبات» نشير في الرد عليه إلى الامور التالية فيه:

الخلط بين الحكم الشرعي والفتوى:-

قال: «ليس لكل الأحكام والفتاوى الإسلامية حصانة من تغيرها حسب الزمان والمكان، والظروف التي تمر ببيئة المسلم ومجتمعه».

فتراه خلط بين الحكم والفتوى ولم يفرق بينهما، مع أن الأحكام الشرعية لا تتغير وهي ثابتة باقية، وفعليتها متقومة بوجود موضوعاتها في الخارج، كما إنها باقية ببقائها، نعم لو أراد من الحكم الأحكام السلطانية الموقّعة المنشأة في موارد الضرورة وتزاحم الأحكام، والتي يدور بقاؤها مدار الضرورة التي أوجبتها، لصحّ ذلك لأنها بطبيعتها تقتضي التغير، ولكن الظاهر من كلامه إرادة غير ذلك أو الأعمّ من ذلك، أو القول بكون الأحكام كلها إلا ما كان منصوباً عليه في القرآن من الاحكام السلطانية، فلا يكون ما صدر عن الرسول صلى الله عليه

## شبهة ورد

والله وسلم من الأحكام الشرعية، وإن أراد من الحكم الأحكام القضائية فهي وإن كانت تقبل التفسير والنقض أيضاً - كما هو مذكور في كتاب القضاء، كما لو تبين للقاضي خطأه - إلا أن كلامه لا يشمل ذلك، والظاهر من كلامه نفي كلية حصانة الأحكام الشرعية، عن التفسير والقول بتغييرها في الجملة على نحو الموجبة الجزئية، ولكن العقل والنقل والضرورة وخاتمية الدين تدل على عدم جواز وقوع أي تغيير في الأحكام الشرعية، فلا يجمع بينها وبين الفتاوى بنفي الحصانة عنها والحكم بجواز تغييرها في الجملة.

وأما الفتوى، التي هي نتيجة اجتهاد المجتهد ونظرة في الأدلة من العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والاصول اللفظية والاصول العملية وغيرها، واستنباط حكم الشرع منها، فهي قابلة للتغيير وليس من لوازمها الثبات، لعدم حصانة المجتهد من الاشتباه والخطأ في اجتهاده.

فالرأي الاجتهادي حيث يحصل من الظن المعتبر الحجية، بحكم العقل والشرع، يجب اتباعه عملياً ما دام لم يكشف خلافه، أما لو انكشف خلافه فيؤخذ بالظن المعتبر الذي قام على خلافه، وليس هذا من تغيير حكم الله في شيء، فحكم الله تعالى واحد إلا أن اجتهاد المجتهد ورأيه يتغير إذا ظهر له خطؤه وعدم إصابته حكم الله تعالى.

## الفصل بين الاحكام في الثبات والتغير:-

فصل الكاتب بين الأحكام العبادية المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وبين الأحكام الدنيوية المتعلقة بالمعاملات والتصرفات الحياتية المنصوص عليها في الكتاب والسنة مثل حل البيع وتحريم الزنا وكيفية تقسيم الموارث وحكم القتل العمد والخطأ وشبه العمد، والطلاق والزواج، وقاعدة «للمذكر مثل حظ الأنثيين» وقال: «وهذه أحكام وقواعد لا يستطيع أحد تغييرها بالاجتهاد مهما تكن الظروف، فهي قواعد وأحكام تسري في كل الظروف».

ثم قال: «ومع ذلك فل هذه الأحكام الثابتة تفصيلات لم يأت بها نص قاطع المعنى، بل يكون معناها محتملاً لأكثر من وجه، وهذه يجري فيها الرأي الذي يقوم به العالم المتخصص على ضوء ما يفهمه من الكتاب والسنة، لا على ضوء ظروف الحياة وتحقيق المصلحة، الى آخر كلامه.



والظاهر أن مراده أن ماورد فيه نص قطعي لا يحتمل إلا معنى واحداً، فليس فيه مجال للاجتهاد. وما يحتمل أكثر من معنى يجري فيه الاجتهاد. ولكن هذا لا يختص بما ذكره من تفاصيل الأحكام، بل إذا ورد نفس الحكم في نص يحتمل أكثر من معنى فهو قابل للاجتهاد وتغير الرأي أيضاً كما ذكرناه.

مثلاً: القول بكفاية مسح بعض الرأس أو بوجوب مسحه كله، ليس من باب تغير الحكم، وكيف يكون الرأيان المتقابلان في زمان واحد من تغير الحكم؟ فاختلاف آراء المجتهدين وتغير فتاواهم بأسبابها المعروفة ليس من باب تغيير الحكم بل يؤيد ثبات الاحكام وصيانتها عن التغيير. كما ينبغي الإشارة إلى ماورد في كلامه من تفسير الاجتهاد، فقد ذكر أن مثل فهم الباء في قوله تعالى «وامسحوا برؤوسكم»<sup>١</sup> وهل أنها للتبويض أو هي زائدة ليس اجتهاداً بالمعنى الصحيح بل هي اختيار لمعنى من المعنيين.

ولكن ذلك محل نظر ونقاش، فكأنه توهم أن الناظر في الأدلة المحتملة لمعانٍ متعددة الخيار في اختيار واحد منها، مع أن عليه أيضاً أن ينظر في اللغة والشواهد التي أقيمت على كل واحد من المعاني والقرائن الدالة على إرادة بعضها المعين، فيرجح باجتهاده واحداً من المعاني ويفتي به، والآ فيتوقف عن الفتوى.

### أحكام المعاملات:-

قال «أما المعاملات وترتيبها وأحكامها فهي حق للعباد ومن أجل مصالحهم في دنياهم، فمن حقهم أن يحدّوا أين تكون مصالحهم إذا لم يأت من المشرع الحكيم نص قرآني يحدّها كما جاء مثلاً في المواريث لما يعلمه سبحانه من تدخل العواطف فيها فحسم فيها الرأي، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا في حديثه المشهور بعدما حدث في تلقيح النخل: «إذا أمرتكم بأمر من أمور دينكم فخذوا منه ما استطعتم، وما كان من أمر دنياكم فإليكم، أنتم أعلم بشؤون دنياكم». وكأنّ هذا الحديث هو الأصل في إمكان تغيير بعض الأحكام الخاصة بالمعاملات حسب تغيير عللها وظروفها والمصلحة للناس فيها، على أن يكون التغيير

## شبهة ورد

على أساس القواعد العامة الشرعية مثل «لا ضرر ولا ضرار» و«درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» إلى آخر ما قال.

اقول:

أولاً: إذاً لا كلام في أنه إذا لم يأت من الشارع الحكيم نص قرآني، ولا نبوي - وإن لم يذكره (كاتب المقال) واقتصر على القرآني منه - في مورد ولم تشمل النصوص العامة بعمومها أو إطلاقها فمباح - بحكم الشرع أيضاً - للمكلفين فعله وتركه، وهذا، أي حكم الشرع بالإباحة فيما لا نص فيه حكم ثابت لا يقبل التغيير، فليس لأحدٍ تحريم تركه أو إيجاب فعله. وثانياً، لا يوافق هذا الخبر وما هو بمضمونه قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>١</sup> وقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>٢</sup>، وقوله عز من قائل ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾<sup>٣</sup> لأن مفاد الخبر على ما بنيتم عليه، إن الأمة أعلم من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشؤون دنياهم، ولذا يجوز لهم مخالفة أوامره المربوطة بأمور الدنيا من المعاملات وغيرها مما لم يرد فيه النص القرآني، وعليه فلا يجب اتباع شيء من أوامر النبي ونواهيه المربوطة بالسياسات والمعاملات وغيرها من الانظمة المقررة الثابتة بلسانه أو بسيرته في الأحوال الشخصية والاجتماعية والمالية وغيرها، فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسائر الناس في أقواله وأفعاله وسيرته، فلا وجوب لاتباعه ولا حسن للتأسي به! وهذا أمر لا أظن أحداً من المسلمين - فضلاً عن علمائهم وفقهائهم الراسخين في العلوم الاسلامية يلتزم به.

وما نفه من الخبر - بعد الغض عن اضطراب متنه ومخالفته لما ثبت بالكتاب والسنة - هو أن المراد منه أنه ليس من شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى رسالته ولا زعامته وقيادته السياسية وإدارته أمور الناس، أن يتدخل في شؤونهم الفردية التي يعمل كل أحد فيها ما يريد ويختار وتختلف فيه الأنظار، فهذا يرى هذه المهنة وافية لمعاشه والآخر يرى غيرها كذلك، وهذا يرى سقي الزرع في المواعيد المعينة وذاك يراه في غيرها، وهذا يرى تلقيح النخل مفيداً

(٣) الاحزاب / ٢١.

(٢) النجم / ٣-٤.

(١) الحشر / ٧.

والآخر يرى أن يبقيا على حالها، وهذا يرى أن يبيع مثلاً سكناه للتجار بشمته، والآخر يرى غير ذلك، فالدين والشرع لا يتدخل في أمثال هذه الأمور الجزئية، بل كل واحد من الناس حرٌّ مختار فيها.

نعم ربما تقتضي الضرورة كحفظ النظام وإدارة المجتمع وأمن الأموال والنفوس المحترمة أن يحجز الحاكم الناس عن بعض حرّياتهم في زمانٍ أو مكانٍ ما، ولكن مع أن وجوب إطاعة الحاكم من الأحكام الشرعية فإن حكمه هذا ليس حكماً شرعياً مثل أحكام العبادات والمعاملات والسياسات والحقوق والأحوال الشخصية وغيرها، ولا بحث لنا فيه.

وثالثاً: إن كان المراد من الخبر الذي استشهد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يأمرهم في أمور دنياهم بأمرٍ وحكم، فالاستدلال به لإثبات جواز التغيير في أحكام المعاملات والامور الدنيوية ضرب من التهاوت والتناقض. وإن كان المراد منه أنهم أعلم بشؤون دنياهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحق لهم أن ينظروا في أمور دنياهم ونظام أمورهم الدنيوية، فشان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أذبه الله تعالى وأحسن تأديبه أجل وأنبّل وأعلى من التدخل فيما لا حق فيه، بل هو حق للعباد وهم أبصر منه به، فهو يجتنب لا محالة عن هذا اللغو، وقد قال الله تعالى في حقه ﴿وما ينطق عن الهوى﴾<sup>١</sup> وهو صاحب الخلق العظيم وأسمى مراتب الأدب ومكارم الاخلاق.

هذا مضافاً إلى أن الخبر إن كان يدل على أن أمر دنيا الناس مفوض إليهم لا اعتبار بأوامره ونواهيه فيه، وعليه تخرج أكثر الأحكام الشرعية الراجعة إلى أمور الناس ومعايشهم وسياسة البلاد والإدارة الثابتة بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأوامره ونواهيه من دائرة الدين، ونبقى نحن وأحكام العبادات وقليل غيرها من الأحكام المنصوصة في القرآن.

ورابعاً: إذا كانوا هم أعلم بأمور دنياهم من رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم فهم أعلم من الفقهاء بالطريق الأول، فما معنى موقف الفقهاء في الاجتهاد في هذه الأمور والنظر في السنة بعد ما كان الناس أولى وأحق بدنياهم وأعلم حسب الفرض من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل إذا كان موقف الناس هكذا قبيل أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونواهيه حتى في حياته وكان

يجوز لهم ترك العمل بأوامره، وكان الأصل والمعتبر ما يرون هم بأنفسهم في أمورهم حسبما تقتضيه المصالح والظروف، فما قيمة اجتهاد الفقهاء في أمور الناس الدنيوية؟ وخامساً: إن مغزى هذا الرأي أنه لا اعتناء بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته في الانظمة الدنيوية بل الناس هم وما رأوا فيها من مصالحهم ومنافعهم وإذا فلا شرع ولا حكم شرعي فيها، إذاً فما معنى تغيّر الحكم؟

وسادساً: إذا اشتراطتم أن يكون التغيّر على أساس القواعد العامة الشرعية فليس معنى «أنتم أعلم بشؤون دنياكم، ألا الكفر على ما فرّ منه. وقد ذكر أن مراده من هذه القواعد العامة مثل لاضرر ولا ضرار، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح.

فإن أراد من القاعدة الثابتة - كما لا بدّ أن يكون - أن درء المفاسد التي نهى عنها الشرع مقدّم على جلب المصالح التي أمر بها، فذلك وإن لم يكن قاعدة كلية عامة، لأن مفسدة ارتكاب بعض المحرمات ربما لا تكون أهم من مفسدة ترك بعض الواجبات ومصلحة فعلها، بل تكون هذه أهم من الأولى، ولكن القائل بها لا يريد بها إلا القاعدة الشرعية التي هي كالشارح والمفسّر لأدلة سائر الأحكام ومعها لا تغيير أيضاً في الحكم لأن المعيار في المصلحة هو المصالح التي أمر الشارع بحفظها والمفاسد التي نصّ الشارع على وجوب درئها.

وسابعاً: إن أريد من تغيير الأحكام تغييرها بظروفها وعللها والمصلحة للناس حسب ما أمر به الشارع مثل أكل الميتة الذي يباح عند الإضطرار، أو ارتكاب أي محذور آخر أخفّ إذا دار الأمر بين المحذورين، والأهم والمهم، أو ترك واجب لدفع الضرر، أو نحو ذلك، فهذا ليس من تغيير الحكم - كما اشرنا إليه - بشي بل هو انتفاء حكم خاص بانتفاء موضوعه، ووجود حكم آخر بوجود موضوعه. فأكل الميتة لغير المضطر حرام شرعاً وللمضطر حلال شرعاً، وكل منهما حكم شرعي لموضوعه المختص به ثابت لا يقبل التغيير.

أما في دوران الأمر بين الأهم والمهم، أو المهمين المتساويين عند الشرع، فحيث أن المكلف لا يتمكن من امتثال الوجوبين فلا بدّله عقلاً في الصورة الأولى من حفظ الأهم، وفي الصورة الثانية هو بالخيار في الإتيان بأيّهما شاء.

ففي كل هذه الصور لا تغيير في الحكم الشرعي. ولا يخفى عليك أن ذلك يجري في الأحكام الجزئية لا الأحكام الكلية، فلا تجد حكماً

كلياً مزاحماً بكلّيته لحكم كلي آخر.

وكذا قاعدة إن درء المفسد مقدّم على جلب المصالح ليس معناها كما مرّت الإشارة إليه تغيير الحكم الشرعي، بل المراد أن الحكمين الشرعيين اللذين أحدهما شرع لدفع مفسدة و الآخر لجلب مصلحة، كأن يكون احدهما حكماً تحريماً توجب مخالفته الوقوع في المفسدة والآخر وجوباً توجب مخالفته تفويت المصلحة ولا يمكن للمكلف الجمع بين امثال كلا الحكمين، فيأتي بالذي يدرأ المفسدة أو يترك ما فيه المفسدة دون الذي يجلب المصلحة. وعليك إن اردت المزيد بملاحظة باب تزامم الأحكام في الكتب الاصولية.

هل إن احكام المعاملات إلهية؟ أو اجتهادات من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟  
صرّح في مقاله بأن أحكام المعاملات التي عبّر عنها بالامور الجزئية لم تكن على أساس الوحي، بل كانت باجتهاد منه صلى الله عليه وآله وسلم ! وإليك نص ما قال: «جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة فوجدهم يتبايعون في الثمار قبل نضجها وبدؤ صلاحها دون تضرّر ونزاع فأباحها لهم في ظل الاسلام، ثم بدأ المتعاملون بها يتنازعون وتكثر شكاوهم لثمرة أصابها مرض... وجاءوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحاكمون إليه، فغيّر رأيه الأول بناء على هذا وقال لهم: «أنا وقد تنازعتم فلا تبيعوا الثمر قبل ظهور صلاحه ونضجه» ومنع بذلك بيع الثمر قبل ظهور صلاحه «حتى لا يتعلل المشتري بما طرأ عليه من تلف ليرجع في الصفقة او ينقص له البائع من ثمنها الذي تبايعا عليه، ومعنى ذلك بوضوح ان احكام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مثل هذه الامور الجزئية لم تكن على أساس وحي من الله نزل عليه خاص بهذه الجزئية، بل كانت باجتهاد منه وتقدير للمصلحة على ضوء الظروف التي أمامه» الى آخره.

أقول:

أولاً: لماذا لا يكون مثل هذا من النسخ؟ وأن الحكم الأول قد نسخ بالثاني، ونسخ الحكم لا مانع من وقوعه إذا وقع في عصر الرسالة. ولأ فهل يقول أحد بجواز العمل بالحكم الأول إذا اقتضى اجتهاد المجتهد ذلك ؟ ولا يراه من الاجتهاد في مقابل النص.  
وثانياً: لقائل أن يقول، ما كان عليه أهل المدينة من التبايع في الثمار قبل نضجها وبدؤ

صلاحها لم يكن من الأحكام الشرعية الموحى بها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان المجتمع في هذه القوانين والعادات التي كان ملتزماً بها قبل بزوغ شمس النبوة الخاتمة باقياً على حاله، والأحكام إنما نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تدريجاً وفي المناسبات، فالحكم الشرعي الإلهي الذي لا يتغير هو عدم جواز بيع الثمار قبل بدو صلاحها على التفاصيل المذكورة في الفقه، لا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن رأيه الأول وظهر له خطؤه، وأن الحكم الثاني كان من رأيه أيضاً وهو قابل للتغيير.

فالصحيح أن الحكم الثاني ثابت أبداً لا يتغير، صارت الظروف ما صارت وتغيرت الأحوال ما تغيرت، والنص النبوي كالنص القرآني لا فرق في ذلك بين المعاملات والعبادات فكلها مصونة عن التغيير.

نعم الأحكام السلطانية التي تصدر تحقيقاً لإجراء الأحكام الشرعية، وحفظ النظام، وإقامة العدل، وإيصال حق كل ذي حق إليه، والدفاع عن حوزة الاسلام، ربما تحدّد حريات الأفراد في أموالهم وأنفسهم في مقدار من الزمان، ومادامت الضرورة الموجبة للتحديد المذكور باقية. فللحاكم مثلاً أن يحكم على مالك الغلات بعرض غلته للبيع عند احتياج الناس إليها دفعاً للحرج عن العامة، وحفظاً للنفوس المحترمة.

والفرق بين حكم الحاكم وحكم الشارع أن الأول غيري موقت، شرع جوازه من الشارع حفظاً لنظام الدين ومصالح المسلمين، والثاني حكم ثابت نفسي، نسبته الى الأحكام الحكومية كنسبة الأصل الى الفرع والهدف الى الوسيلة، والأول لا يستند بنفسه الى الله تعالى بل الى الحاكم نبياً كان أم غيره، نعم جواز حكمه وجواز حكومته ووجوب طاعته من الاحكام الشرعية الثابتة التي لا تقبل التغيير.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاجتهاد:-

تقدم أن الكاتب قال: إن أحكام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مثل هذه الامور الجزئية... الى آخره وهذا تصريح منه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان فيما يأمر به وينهى عنه يعمل بالاجتهاد، وعليه يجوز وقوعه في الخطأ كسائر المجتهدين، والمسألة خلافية، والذي نذهب إليه ونؤمن به هو تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الخطأ في الشرعيات فيما هو فيه أسوة للأمة وغيرها،

وهذا واضح للمتدبر بأدنى تدبر وتأمل، لأنه إذا كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسنته القولية والفعلية من مصادر اجتهاد المجتهدين وتفسير الكتاب وبيان مراداته، وإذا كان هو العالم الأول بخصوصه وعمومه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومفاهيم ألفاظه ومعانيها الحقيقية والمجازية، وكان هو العالم، بتعليم الله ووحيه - بموضوعات أحكام الله تعالى الكلية وتفصيلاتها، ففي ماذا يجتهد وهو العارف بكل ذلك؟ ولو لم يكن عالماً بجميع تفاصيل الأحكام بتعليم الله ووحيه، لبقي الدين ناقصاً فاقداً للمصادر الكافية لاستنباط جميع الأحكام منها.

اللهم إلا أن يقال انه يجتهد عند اشتباه الموضوع بغيره مع أنه مبين المفهوم عنده، ولكن هذا غير الاجتهاد المصطلح الذي يقوم به الفقهاء والمجتهدون، وهو خارج عما نحن فيه، فالناس كلهم يجتهدون في تشخيص موضوع الحكم عند اشتباهه بغيره، مثل اشتباه مايع بأنه دم أو ماء، مع أن مفهوم الدم الذي هو موضوع الحرمة مبين لا ستارة عليه، فتارة يقعون في الخطأ وأخرى يصيبون الواقع، ولكنه ليس من اجتهاد الفقيه المصطلح بشي، مضافاً الى أن شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنبل وأجل من ذلك، فهو مصون عن ذلك الخطأ وغيره من الأخطاء بل ربما يحط مثل هذا الخطأ - مع كونه في الموضوع وتطبيقه الخارجي - من كرامته صلى الله عليه وآله وسلم وشخصيته الرسالية صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من خطئه في تبليغ أصل بعض الأحكام، فهو مصون عنه، وهو المؤيد من عند الله تعالى المحفوظ من الخطأ والزلل.

نعم لا بأس بأن يقال بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما نزلت عليه هذه الأحكام الكلية كان يبين جزئياتها وتفصيل ما أوحى الله إليه. إلا أنه في هذا أيضاً مصون عن الخطأ والاشتباه، وإن قلنا إن إخباره عن هذه الجزئيات بالخصوص ليس مما نزل به جبرئيل على قلبه الطاهر الأقدس، بل هو بيان لجزئياته أو مصاديقه ولكنه في كل ذلك كان تحت رعاية الله الخاصة، لا يخطئ ولا يقول إلا بوحى من الله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>١</sup>.

## الأحكام كليتها وجزئيتها:-

الأحكام الكلية هي الأحكام المحمولة على الموضوعات الكلية، مثل الصلاة والصوم والحج والبيع والنكاح والرهن، وهكذا تفصيلها وشرائطها وأجزاؤها من السجود والركوع والقراءة وخيار الغبن وخيار الغيب. وكذا موضوعات الأحكام التحريمية مثل الخمر والربا والميسر والغش وإيذاء المؤمن والزنا وغيرها... فالحكم يكتسب كليته من موضوعه.

وأما الأحكام الجزئية فهي ما يتعلق بالجزئيات الخارجية للموضوع الكلي، فالحكم الجزئي جزئي من جزئيات الحكم الكلي، وهذا مثل حرمة شرب هذا الخمر، أو حرمة غصب ملك زيد، أو حرمة الزنا بامرأة معلومة، أو حرمة نكاح هذه المرأة، أو وجوب أداء زكاة هذا المال المعين، أو وجوب صلاة ظهر هذا اليوم، أو وجوب الوضوء لهذه الصلاة، أو خيار الغبن في هذه المعاملة.

ولكن اشتبه الأمر على هذا الكاتب فعذّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع الثمر قبل ظهور صلاحه ونضجه - الذي استقرت عليه فتاوى الفقهاء وينوا على بطلانه - عذّر من الأحكام الجزئية ولم يتفطن إلى أن الجزئي والكلي متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإذا كان هذا الحكم - أي بطلان بيع الثمرة قبل بدو صلاحها - جزئياً، فما هو إذاً الحكم الكلي الذي هذا من جزئياته؟ وليت شعري كيف يخفى على الذي يكتب في الفقه وفي مثل هذا الموضوع أن الحكم يبطلان هذا البيع، والنهي عنه هو من الأحكام والنواهي الكلية التي لا تحصى جزئياتها، مثل بيع هذه الثمرة أو بيع تلك أو بيع هاتيك.

## الآراء والأحكام البشرية:-

الأحكام السلطانية وإن كانت بشرية غير إلهية، وكانت لا محالة متأخرة عن الأحكام الإلهية لأنها لتحقيق إجراء الأحكام الإلهية وتنفيذها، لكن أصل جواز الحكم للحاكم وولايته على إصدار هذه الأحكام والزام الآخرين في الموارد التي قررها الشارع، حكم شرعي، كما أن وجوب طاعة الحاكم في أحكامه حكم شرعي أيضاً كما ذكرنا.

وإذا لم يكن الحاكم في هذه الأحكام من المعصومين وأولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم



بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - ولو كان من عمّالهم والمنصوبين من قبلهم بالنصب الخاص أو العام - فإنه يجوز وقوعه في الخطأ والاشتباه، ولكن تجب إطاعته حفظاً للنظام.

### الأحكام الحكومية:-

تقدمت الإشارة الى أن الأحكام الحكومية التي هي من أجل ضمان تطبيق الأحكام الإلهية تختلف بحسب الأزمنة والأمكنة حتى لو كانت من حاكم واحد. فيوماً يرى ارسال الجيش الى شرق الدولة مثلاً وفي زمان يرى تسييره الى غربها، في زمان آخر يطلب من الناس ان لا يسافروا الى بلاد الكفر مثلاً، وفي وقت يطلب منهم السفر إليها تحصيلاً لغرض خاص. فهذه الأحكام طبيعتها عدم الثبات، بخلاف أحكام المعاملات ونظائرها، فإنّ قوانينها وأحكامها ثابتة لا تقبل التغيير.

والذي اخترناه في الفقه بدلالة تقصّي بعض الأحاديث المروية عن طريق العترة الطاهرة، أن الأحكام إذا كانت نبوية صادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان النص الدال عليها مطلقاً لا يخصها بزمان خاص أو ظرف خاص فلا يجوز رفع اليد عنها بالاجتهاد وحملها على أنها أحكام حكومية، فمثلاً نصّه صلى الله عليه وآله وسلم على أنّ «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له»<sup>١</sup> وإن قلنا أن الاستفادة منه ليس الحكم بسببية الإحياء للملكية وجواز التملك بالإحياء، بل هو إذن منه في الإحياء والاتفاد من الأرض، لكن مع ذلك لا يجوز لأحد ممن يلي الأمر بعده نقض هذا الإذن.



## نقد وتقويم من زاوية أدب الثقلين

«لكتاب تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي»

فيئة التحرير

في سياق الحركة الايجابية لتأصيل جوانب الفكر والفن على أساس من الاسلام العظيم، تطلّ هنا وهناك مشروعات ومحاولات لاتخلو من طموح ووعد بعباءات ثرة: يقوم عليها مفكرون وباحثون إسلاميون يعتزّون بدينهم الحنيف ويرون من واجبهم ان ينطلقوا منه ويصدروا عنه، في رسم معالم فكر متميّز وفن متفرد، يستنقذ الانسان من مفرزات المناهج العلمانية المادّية، التي أفلست في شرق الأرض ومازالت في غربها تأخذها العزة بالإثم، لتسوق الناس بغرور عجيب إلى مزيد من الفقر المعنوي والتفسّخ الخلقي والتناقض الاجتماعي.

ومن تلك المشروعات، مشروع لباحث اسلامي متخصص في مضمار النقد الأدبي، وما يركز عليه من دراسات نفسية وجمالية، بالاضافة إلى شاعرية مرهفة ذلك هو الدكتور محمود البستاني.

وقد طرح الباحث مشروعه في كليّاته وأوليّاته ضمن كتابه «الاسلام والفن». وكتابه الذي تتناوله بالتحليل خطوة تطبيقية من خطوات متتابعة في ذلك المشروع وهو بعنوان «تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي». ويشتمل الكتاب على تمهيد عن الادب قبل الاسلام، وبابين يتناول أولهما الأدب في عصر التشريع الإسلامي.

ويختص ثانيهما بالأدب بعد عصر أئمة أهل البيت عليهم السلام المسمى بعصر الغيبة.<sup>١</sup> ويركز الباحث على دراسة أدب القرآن الكريم والنبي العظيم والأئمة المعصومين، من أهل بيته، مستخرجاً الخصائص الإيقاعية والصورية اللفظية البنائية لما يدرس من الأدب، مشيراً إلى الأدب العام في تلك المراحل.

ومنذ أن صدر هذا الكتاب أصبح محور نقد ودراسة وتحليل وتعليق في أكثر من مطبوعة إسلامية «كالتوحيد ونور الإسلام والعالم» مما يشي بخصب ما أثاره من حيوية، في جو تأصيل الأدب العربي تاريخاً وتحليلاً، وقد ابرزت جميعها جوانب إيجابية فيه وهي:

- ١ - أنه محاولة جريئة في أفق لا يزال يفتقر إلى مثل تلك الدراسة.
- ٢ - دراسته المدققة المفصلة لأدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل البيت وعظيمات بيت النبوة.

٣ - براعته التطبيقية المستندة إلى أدوات نقدية متمكنة.

٤ - إنصافه المغمورين من الأدباء الذين استبعدوا من دائرة اهتمامات الدارسين والناقدين والمؤرخين لعدم انسجامهم مع سياسات عصرهم.

وقد أثار النقد نقاطاً حول الكتاب لخصتها هيئة التحرير فيما يلي:

- ١ - إمكان تطبيق نظرية «أسلمة المعرفة» على الأدب.
- ٢ - إشكالية ربط استواء البناء الشعري بوجود وعي ثقافي متقدم.
- ٣ - دوافع التقسيم الجديد للعصور الأدبية إلى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام وعصر ما بعدهم أو عصر الغيبة، ومدى الحاجة إلى هذا التقسيم، بعيداً عن التقسيم المألوف المرتبط بحوادث سياسية مهمة لها انعكاسها على الأدب العربي.
- ٤ - الموقف من الغزل والتشدد تجاهه بما لم يتشدد به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام والشعراء الملتزمون كالشريف الرضي وغيره.
- ٥ - تأثير المنظور الأخلاقي في تقويم النماذج الأدبية وتصنيف الأدباء.
- ٦ - ضرورة بسط الكلام في منظور الكتاب ومآذته ومصادره.

---

(١) المقصود بالغيبة هنا غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية.

٧- مدى ما تضيفه دراسة أدب القرآن إلى الدراسات العديدة عنه، والمسوّغ الفني للحديث عنه ضمن الحديث عن أدب البشر.

٨- سرّ التركيز على أدب أهل البيت عليهم السلام.

ثم استحصلت بالتالي على رأي الدكتور البستاني فيها فكان كما يلي:

١- إنّ تطبيق النظرية الإسلامية أمر حاولنا ممارسته في كتابنا «تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي»، فالإسلام له تصوّراته حيال الأدب ومادّته ووظيفته، وله تصوّراته حيال المادّة الأدبية من فكر وعاطفة وتخيل، وما ينبغي أن تتحقّق فيما بينها من النسب المتوازنة، وله تصوّراته حيال العناصر اللفظية والإيقاعية والصورية ...، فضلاً عن القضايا الأدبية الأخرى فيما عرضنا له مفصّلاً في كتابنا «الإسلام والفن» على المستوى التطبيقي.

٢- إنّ عمارة النص الأدبي تعدّ قمة المهارة الفنيّة دون أدنى شك، لأنها تتطلب ثقافة نفسية واجتماعية وفنيّة تتناسب مع خطورة البناء الشعري أو القصصي أو غيرهما، فاستهلال القصيدة مثلاً وربطها بالوسط والختام، وصلة الأبيات بالأخريات منها، وصلة العناصر اللفظية والصورية والإيقاعية بعضها ببعض وصلتها بالفكرة تتطلّب معرفة نفسية بطبيعة الجهاز الإدراكي للشخص وكيفية استجابته للأشياء، حتى يترك النص تأثيره المطلوب على المتلقي... ومن الواضح أنّ مثل هذه المعرفة لم تتحّ للقدماء الذين يغلقهم قصور ثقافي واضح، ومن ثمّ لا يمكن أن يتحقّق استواء البناء الشعري للقصيدة الموروثة.

٣- إنّ المسوّغ لتقسيم العصور الأدبية إلى هذا العصر أو ذاك ينبغي أن ينحصر في السمات الفنيّة التي تميز جيلاً عن آخر، وهذا ما توفّرت عليه دراسات متنوعة... لكن بما أن المؤسسة السياسيّة «الدولة» تجسّد الهرم الاجتماعي الذي تلتقي عنده جميع الخطوط الاجتماعية، حينئذٍ درج الكثير من الكتاب على تقسيم الأدب وغيره إلى العصور السياسيّة. كما أن الوقائع التاريخية التي تسحب أثرها على مصائر الدول «كالحروب الدولية أو الإقليمية أو المحليّة» تفرض فاعليتها على التقسيم التاريخي نظراً لأهميّتها المشار إليها... كما نلاحظ بأنّ الاتجاهات الايدولوجية تفرض فاعليتها أيضاً في بعض التقسيمات نظراً لابتناء المؤسسات الاجتماعية عليها... وهناك تقسيمات تخضع لأشكال أخرى من الحركة الاجتماعية التي تميّز بأهمية خاصّة في نظر هذا المجتمع أو ذاك.... وهذا جميعاً يعني أنّ ما هو مهمّ في تصوّر

المجتمعات «وهو بطبيعة الحال أمر نسبي» هو الذي يحدّد نمط الدافع إلى هذا التقسيم أو ذلك... بيد أن ما هو مهمّ ينحصر - في الواقع - في ظاهرتين هما: الاتجاه الايدلوجي والاتجاه الفني.

أما الاتجاه الايدلوجي فبصفته هو الجهاز القيمي الذي تبتني عليه المجتمعات سواء كانت ذات كيان سياسي «كالدول» أو كيان عام «كالأمة»، حينئذ يشكل مسوغاً له مشروعيتّه التي لاتضارعها أية تقسيمات أخرى مادامت جميع المؤسسات والنظم الاجتماعية تخضع للبعد الايدلوجي الذي يحدّد هويتها...

وأما «التقسيم الفني» فيفرض مشروعيتّه أساساً مادام التغيّر الذي يطرأ عليه يسحب أثره على الفن - سواء كان الفن أدباً أم غيره - من الأشكال الثقافية... لكنّ الفن ذاته لا يمكن أن تتحدد سماته إلا من خلال الزمن، والزمن مادام يخضع - كما قلنا - للبعد الايدلوجي، حينئذ فإنّ تحديده بهذا العصر الايدلوجي أو ذاك يظل حقيقة لا مفرّ منها،... وهذا يعني - في نهاية المطاف - أن التقسيم الايدلوجي لعصور الأدب وغيره هو المعيار الأشد مشروعيتّه من غيره... وفي ضوء هذه الحقائق، فإن الايدلوجيا الإسلامية مادامت هي جهازنا القيمي الذي تبتني عليه مجتمعاتنا، ومادامت المجتمعات لاتنحصر في كيان سياسي «الدولة» بل تتجاوزه إلى «الأمة»، ومادام الواقع السياسي أو العسكري يجسّد بالضرورة تعبيراً صادقاً عن الجهاز القيمي للمجتمعات، حينئذ فإنّ ما يلتئم مع الواقع، يظلّ هو الذي يفرض مشروعيتّه لهذا التقسيم أو ذاك... ولاشك أنّ هناك «أمة» مقتنعة بأن مجيء الإسلام يتواكب مع فترتين: فترة تشريعية تمتدّ من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سنة «٢٥٦هـ»، وفترة تبدأ مع غياب المشرّع إلى أجل غير مسمى، حينئذ فإنّ هذا الجهاز القيمي يفرض على المؤرّخ أن يقسّم تاريخ الفن إلى هاتين الفترتين بصورة عامة، وأن يقسّم الفترات الخاصة وفقاً للشخصيات المشرّعة للجهاز القيمي المذكور، أو لسمات زمنية «كالقرون» مثلاً، إلّا أنّ أحدهما لا ينفصل عن الآخر كما ذكرناه، فعصر الازدهار الثقافي أو الانحطاط الثقافي أو التوقّف الثقافي ... لا ينفصل عن الزمن الموضوعي «حساب السنين حسب القرن أو العقد»...

(١) لا شك أن المشرّع بالأصل هو الله تعالى، وإنما يقصد بالتشريع هنا ما هو أعم من تبليغ التشريع، والتشريع فيما حوّل إليه من ملء الخلاء والفراغ، وليس التشريع بالأصل والاستقلال - «المحلة».

## نقد

إذن : دوافع التقسيم الجديد للمصور الأدبية ومسوغاته، تنحصر - كما ذكرنا - في زاويتين هما : الجهاز القيمي للمجتمعات من جانب، وطبيعة الأدب ذاتها بما تحمله من السمات الفنية من جانب آخر، بالنحو الذي أوضحناه.

٤ - الملاحظ أنَّ الغزل تَمَّ ممارسته الفنيَّة على مستويين : الغزل الواقعي، والمصطنع. أمَّا المصطنع فلا يعبّر عن الواقع النفسي بقدر ما يعبّر عن التقليد لقاعدة فنيَّة درج عليها الشعراء. وأمَّا الواقعي فيعبّر عن الدافع الجنسي بطبيعة الحال، وهذا الدافع رسم له الشرع الإسلامي طرائق خاصة للإشباع، وما عداها من الممارسات تظلّ محظورة أو محذورة دون أدنى شك سواء كانت على مستوى التحريم أو الكراهة.

إنَّ الشرع الاسلامي يمنع من التحدّث للآخرين عن الممارسات التي تَمَّ بين الزوجين نظراً لاستتباعها إثارة الشهوة من جانب، وعدم انطوائها على ما هو ضروري أو مفيد من جانب آخر... ونحن إذا اخذنا بنظر الاعتبار أنَّ الشرع يطالب الشخصية الإسلامية بالألّا تتحدّث إلّا بما هو ضروري ومفيد، حينئذ حتى مع افتراض أنَّ الغزل لا يستتبع إثارة جنسية، فإن التحدّث بما لا فائدة فيه ولا ضرورة له يتنافى مع المُثُل الإسلامية التي نطالب بممارستها عباديّاً.

وأما بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقفه من ذلك، فإنَّ موقفه صلى الله عليه وآله وسلم لا يكشف عن رضاه بقدر ما يكشف عن أنَّ كثيراً من الممارسات الاجتماعية عصرئذ : كان الشرع يغض النظر عنها ويعنى بما هو أشد أهمية مثل توبة الشاعر وامتداحه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم... يضاف إلى ذلك أنَّ بعض المؤرّخين يشيرون إلى أنَّ الشاعر لم يقرأ استهلاله الغزلي أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خجلاً منه، بل بدأ بتلاوة المدح مباشرة، وحينئذ لا يمكن التدليل بهذا الموقف على رضاه صلى الله عليه وآله وسلم.<sup>١</sup>

وأما بالنسبة إلى الشريف الرضي وغيره، فلا يشكّل سلوكهم حجة شرعية كما هو واضح.<sup>٢</sup>

(١) ثم إنَّ المسألة لاريب مسألة شرعية فقهيّة يرجع الحكم والفتوى فيها إلى ذوي الاختصاص في الفقه الاسلامي، والغزل الواقعي هو ما يعبّر عنه فقهيّاً بالتشبيب والنسيب وهو محرّم فقهيّاً. تراجع كتاب المكاسب المحرّمة للشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره) - «المجلة».

(٢) بل إنَّ الشريف الرضي ورضي الله عنه، كان من شعراء أهل البيت عليهم السلام، وهو يمثل الأدب غير القاصر عن

٥- إنَّ تأثير المعيار الأخلاقي في تقويم النصوص لم يقتصر بما هو سلبي، كما يتصوّر البعض، فالناقد أو الدارس الإسلامي يتعيّن عليه أن يقرّ بالمهارة الفنية للشاعر أو الكاتب، كما هو ملاحظ في تقويم الإمام علي عليه السلام لحامل لواء النار حيث أقرّ بمهارة الشاعر، إلّا أنه أردف ذلك بالأفادة لمثل هذه المهارة مادامت لم توظّف من أجل الخير. وهذا ما درجنا عليه في تقويمنا لنصوص الأدب، ولعلّ أهم المعطيات الإيجابية لمثل هذا التقويم يتمثّل في اختيارنا لنماذج غير منحرفة من النصوص سواء كانت لأدباء الطبقة الأولى أو الأدنى، فنحن لم نهمل شاعراً متميّزاً ولم نخلع الثناء على شاعر رديء، بل أعطينا كلّ ذي حقّ حقّه، مع محاولة إبراز الأدباء الذين أهملهم التأريخ لأسباب سياسية، وهو أمر تفرضه علينا الموضوعية في الدراسة مادامت نماذجهم جديرة بالتسجيل.

٦- بالنسبة إلى مصادر الكتاب لم نُعن إلّا بما هو جوهريّ من العمل، فالمهمّ ليس هو رصف المصادر وتكثير الأرقام بقدر ما هو منحصر في ضرورة الاستشهاد بالنصوص الثابتة لأصحابها، سواء كانت مأخوذة من منابعها الأولى أم مصادرهما الثانوية إلّا في حالة التشكيك ببعضها، حينئذ يتعيّن الرجوع إلى منابع الأولى وتصحيح نسبتها إلى قائلها، وهذا ما توفّرنا على بعض نماذجها التي أخطأ مؤرخو الأدب في تشخيص أصحابها، وأثبتنا ما هو الصائب من الحقائق.

٧- بالرغم من أنّ الأدب القرآني ظفر بدراسات متنوّعة قديماً وحديثاً، إلّا أنّ إدراجه ضمن منهج دراسي من جانب، ومحاولة التعريف به مفصلاً من جانب آخر، لم يقرّنا - مع الأسف - بالعناية المطلوبة، مضافاً إلى أن انعكاسه على خارطة الأدب العربي، وانطواءه على السمات الفكرية والفنية التي ينبغي الإفادة منها، تفرض على مؤرّخ الأدب أن يعنى بهذا الجانب طبيعياً، ثمّة تساؤل عن المسوّغ الفني لإدراج أدب ينتسب إلى السماء ضمن نصوص تنتسب إلى البشر فيما لا مجال للمقارنة بينها... هذا التساؤل من الممكن أن نجيب عليه: بأن

---

الالتزام القرآني وعن أدب أهل البيت عليهم السلام، فهو يمثّل النموذج الأدبي المثّم بالشرعية.. وإذا كان كذلك فالعناية المطلوبة منه بأدب أهل البيت عليهم السلام تقتضي أنه لم يتغزل الغزل الواقعي بل المصطنع حسب المصطلح - «المجلة».

(١) المعروف أنه لقب لامرئ القيس، كما لقّب أمير المؤمنين عليه السلام بالملك الضليل، كما في نهج البلاغة.

## نقد

هدفنا مادام هو دراسة النصوص التي كتبت باللغة العربية وتبيين علاقاتها بالبعد التأريخي الذي ولدت في نطاقه، وانعكاسها على خارطة الأدب، حيثنذ، تسوّغ لنا هذه الأسباب درج النص القرآني الكريم ضمن تاريخ الأدب.

٨- من المؤسف جداً أن أدب أهل البيت عليهم السلام لم يظفر لدى مؤرخي الأدب قديماً وحديثاً بال العناية المطلوبة، مع أن أدب أهل البيت عليهم السلام يشكل النموذج الأدبي المتمم بالكمال الفني... فإذا كان القرآن الكريم يجسّد الأدب المعجز، فإن أدب أهل البيت عليهم السلام يمثل الأدب المتكامل بالقياس إلى الأدب القاصر الذي يصدر عن البشر العاديين... لذلك شكّلت دراستنا لأدب أهل البيت عليهم السلام محاولة جديدة في هذا الميدان حيث عرضنا لأدب المعصومين جميعاً «النبي وابنته فاطمة والأئمة عليهم السلام» وادرجناه ضمن «الأدب الشرعي» حيث صدرنا كل فصل بأدب المعصوم الذي يمثل أحد عصور الأدب مثل «الأدب في عصر الإمام علي عليه السلام»، «الأدب في عصر الحسنين عليهم السلام»، «الأدب في عصر السجّاد عليه السلام»... وقد أبرزنا في هذه الحقول أهم الأشكال الأدبية التي توفّر عليها أهل البيت عليهم السلام من: خطبة وخاطرة وقصة ورسالة وتوصية وزيارة ودعاء ومقالة ومناظرة... كما أوضحنا مدى انعكاس ذلك على خارطة الأدب بخاصة أدب الإمام علي عليه السلام حيث عكس تأثيره على مختلف الاجيال الأدبية التي أرّخنا لها.

\*\*\*

وترى هيئة التحرير أن الكتاب بإمكانه أن يكون إضافة أساسية إلى كتب التأريخ الأدبي لأنه فصل ما أجمله الآخرون، وذكر ما أهملوه، وتكفل بأمور عديدة لم يتعرّض لها مؤرخو الأدب ودارسوه، أو تعرّضوا لها تعرّضاً عابراً أو عالجوا بعضها دون بعضها الآخر وهذه الأمور هي:

- ١- دراسة أدب القرآن.
- ٢- دراسة أدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٣- دراسة أدب الأئمة عليهم السلام.
- ٤- دراسة أدب السيدة الزهراء عليها السلام والسيدة زينب عليها السلام.
- ٥- دراسة أدب الصراع مع الحكم الأموي في الجانب الشيعي ولاسيما أدب الثورة



الحسينية.

٦ - دراسة أدب أتباع أهل البيت عليهم السلام.

والكتاب بالتالي مرجع لاغنى عنه في دراسة أدب الثقلين، وحسبه بذلك فخراً ودوراً ومساهمة مهمة في دراسة أدب أتباع أهل البيت، وهو بذلك كله يشبع حاجة الجامعات فيما يتعلق بتلك الميادين الأنفة الذكر.

وأما أن يكون تاريخاً للأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي يغني عما سواه من كتب تاريخ الأدب العربي فهذا ما يتوقف على أمور عدة:

١ - أن تناقش أولاً وظيفة الأدب ويتفق على تحديد مقبول لها.

٢ - أن يرسم إطار الأدب وما يشمله من أغراض وموضوعات، والحد الملائم له بين الضيق والسعة.

٣ - أن يُنفى من الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي كل ما يفسد الذوق ويحرج الاخلاق ويهبط بالاحاسيس، وأما ما سوى ذلك فيعرض مع تقويمه وتصنيفه والترجيح بين نماذجه وأصحابه، وفق ما ارتكز لدى أهل الأدب من مقياس مزدوج فني وقيمي ما أمكن.

وختاماً تتمنى هيئة التحرير للباحث الكريم مزيداً من التوفيق في مشروعه الهادف إلى خدمة الإسلام والمسلمين.



## لا يطيب المديحُ إلا فيك

ضم: عبد القادر الجيلاني  
اندونيسيا

لا يَطِيبُ المديحُ إلا فيكِ  
كلُّ يُرضيه كلُّ ما يُرضيكِ  
— ساس يؤذيه كلُّ ما يؤذيكِ  
في محياكِ شوهدت في أبيكِ  
وهي سرٌّ ورثته لبنيكِ

يشهدون النبي إن شاهدوكِ  
شمها سرًّا كيف لا يُدنيكِ؟  
رأى ومن بحرٍ عطفه يرويكِ  
ب وفضل من الإله المليكِ  
فبثوا الاحقاد بالتشكيكِ

بقربى الجميع ، لا بدويكِ  
ضعفوها لأنها تعنيكِ

لا وربِّي ، وحقُّ طه أبيكِ  
بضعة المصطفى وللجزء حكم الـ  
فلذة منه في المشاعر والإحـ  
إن بدت مسحة من الحزن يوماً  
وحدة الذات لم ينلها انفصام

أنت شبه النبي في كلِّ شيء  
أنت ريحانة النبي إذا ما  
حينما تُقبلين ينهض مسرو  
رُتبة دونها المراتب في القُر  
رُتبة أخرجت ضغائن أقوام

فسروا قوله «المودة في القربى»  
وأحاديث أنكروها وأخرى

## ثُثُونُ وَأَوَابُ

حَسَدًا مِنْهُمْ وَجَهْلًا فَلَوْلَا  
لَوْ أَحْبَبُوا أَبَاكَ حَقًّا أَحَبُّوكِ  
فَهَمُّوا مِنْ «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ» فَهَمًّا  
ضَرَبَ الْمُصْطَفَى بِكَ الْمَثَلَ الْأَع-

ثُثُونُ وَأَوَابُ

جَهْلَهُمْ بِالْمَقَامِ مَا حَسَدُوكِ  
وَيَقْلِيهِ كُلُّ مَنْ يَقْلِيكَ  
وَمِنْ جَهْلِهِمْ بِهِ انْتَقَصُوكِ  
سَلَى وَهَذَا التَّفْضِيلُ لَوْ أَنْصَفُوكِ

ثُمَّ قَالُوا أَزْوَاجُهُ «أَهْلُ بَيْتِ»  
و«حَدِيثُ الْكِسَاءِ» خَصَّصَ مَعْنَى  
و«حَدِيثُ الْكِسَاءِ» حِصْنَ مَنِيعٍ  
و«حَدِيثُ الْكِسَاءِ» تَاجٌ مِنَ الْمُخْتَارِ  
وَدَلِيلُ التَّطْهِيرِ تَاجٌ مِنَ اللَّهِ  
هَمٌّ مِنَ «الرَّجَسِ» طَهْرُوكِ فَطَهَّرَ

ثُثُونُ وَأَوَابُ

قَدَّرُوهُنَّ بِالَّذِي قَدَّرُوكِ  
الْأَلِ فِي ابْنَيْكَ وَالْوَصِيِّ وَفِيكَ  
وَهُوَ سُورٌ مِنْ كُلِّ «رَجَسٍ» يَقْلِيكَ  
يُزْرِي بِتَاجِ كُلِّ الْمُلُوكِ  
فَتِيهِي بِفَضْلِ مَنْ تَوَجَّوَكِ  
تِ، وَهَمٌّ عَنْ جَهَنَّمَ فَطَمُوكِ

قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يُتَمَّ بِكُمْ نُو  
أَنْتِ كَالْبَحْرِ فِي الْمَطَاءِ وَأَوَّلَا  
قَدْ دَعَا الْمُصْطَفَى بِأَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ  
فَكَأَنِّي بِهِ يُهَنِّهُمُ يَدْعُو  
بِدَعَاءِ الْأَبِ الشَّفِيقِ وَيُؤَلِّي

ثُثُونُ وَأَوَابُ

رَ هِدَاةً بِالرَّغْمِ مِنْ شَانِيكَ  
ذَلِكَ كَالَّذِي مَالَتْ شَاطِيكَ  
كَثِيرًا مِنْ نَسْلِكَ الْمَبْرُوكِ  
فِي لِيَالِي الزُّنَافِ إِذْ يَحْبُوكِ  
زَوْجَكَ الْمُرْتَضَى بِمَا يُؤَلِّيكَ

أَنْتِ آثَرْتَهُ بِخَبْرٍ وَقَدْ جَاعَ  
وَبَلَا خَادِمٍ صَبَرَتْ عَلَى الْبَيْدِ  
وَالزَّحَى أَثَرَتْ بِكَفِّكَ لَوْ تَدِ  
وَأَسْرَ النَّبِيُّ فِي سَاعَةِ الْكُرِ  
قَدْ أَلْفَتِ الْحَيَاةَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ  
ثُمَّ أَدْنَاكَ ثَانِيًا فَتَبَسَّمَ  
بِالْحَقِ السَّرِيعِ بَعْدَ شَهْوَرِ

ثَلَاثًا وَلَيْسَ بِالْمَنْهُوكِ  
تِ وَبِالصَّبْرِ دَائِمًا يُوصِيكَ  
رِي الزَّحَى مَنْ تَمَسُّهَا تَفْدِيكَ  
بِ فَابْكَاكِ، مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟  
فَتَأَثَّرَتْ بِالْفِرَاقِ الْوَشِيكَ  
تِ فَهَذَا أَبُوكِ يَسْتَرْضِيكَ  
كُلُّ شَيْءٍ يَهُونُ بَعْدَ أَبِيكَ

تلك والله رتبةً ومقاماً  
فهنيئاً أمّ الحسين هنيئاً  
أو تُنسيك جنةً الخلدِ أولاً  
فأسألي الله أن يَمَنَّ علينا  
واذكرينا عند النبي فإنا  
واذكرينا أمّاه في موقفِ الحشرِ  
أُنقذينا من الزّحامِ وأهوا  
غيرَ أنا نخافُ قولةً طه  
ولنا في الإله ظنٌّ جميلٌ

قد وقاكِ شُرورَ يومِ عبوسٍ  
ولكنّكم يُعَقِّدُ اللّواءُ وفي ظهـ  
فاذا رُفِرَ اللّواءُ عليكم  
واذكرينا إذا وردتِ على الحوضِ  
فعسى الله أن يَمَنَّ برؤياكِ  
وسلامٍ عليكِ في كلّ حينٍ  
ما همى ما طيرَ وما قالَ حادٍ

لايسامى، سبحانه مُعطيكِ  
وحناناً أمّاه إنا بنوكِ  
دك؟ حاشا وإن همّ قد نُسوكِ  
بالرّضى في السكونِ والتّحريكِ  
قد بَعَدنا عن سيره والسلوكِ  
وننادي ببنيكِ فليتبِعوكِ  
لي عظامِ فالله لا يُخزيكِ  
إعلمي فاطمَ فلا أُغنيكِ  
منهُ وعدّ في «هل أتى» يُنيكِ

وشروراً ونَضرةً يَجْزِيكِ  
لـ ظليلٍ إلّها يُؤويكِ  
فاذكرينا لعلّنا نأتيكِ  
لنُسقي بكفٍّ من يسقيكِ  
ومنا ما ترتضينَ يُريكِ  
هو يغشاكِ من لدنِ باريكِ  
لايطيبُ المديحُ إلّا فيكِ

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

بحث فقهي قدّمه الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وممثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجمع الفقه الإسلامي الدولي سماحة الشيخ محمدعلي التسخيري لدورته المنعقدة بين (٦ - ١١) من ذي القعدة ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م). هيئة التحرير

بيع الوفاء هو البيع بشرط ان البائع متى رد الثمن يرد المشتري المبيع اليه. ومن اسمائه: بيع الثنيا عند المالكية، وبيع المعهدة عند الشافعية وبيع الامانة عند الحنابلة وبيع المعاملة عند بعض الحنفية وكذلك سمي ببيع الطاعة وبيع الجائز، اما عند الامامية فيسمى (البيع بشرط الخيار) وربما ذكرت له اسماء اخرى.  
ما استقر عليه الرأي عند بعض المذاهب:

كان السائد قديما فساد هذا البيع عند علماء المذاهب الاربعة باعتبارات ذكرت الموسوعة الفقهية الكويتية منها مايلي:

الاول: ان من شروط صحة الشرط ان لا يخالف مقتضى العقد وعقد البيع يقتضي ملك المشتري للمبيع على سبيل الاستقرار والدوام.

الثاني: ان في هذا الشرط منفعة للبائع ولم يرد دليل معين يدل على جوازه.

الثالث: ان البيع على هذا الوجه لا يقصد منه حقيقة البيع بشرط الوفاء وانما يقصد من واره الوصول الى الربا المحرم.

وذهب بعض المتأخرين من الحنفية وكذلك بعض الشافعية الى جواز ذلك لان البيع بهذا الشرط قام عليه العرف فرارا من الربا وهو صحيح وان كان مخالفا للقواعد لان القواعد تترك

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

بالتعامل كما في الاستصناع<sup>١</sup>.

واعتبره ابو شجاع علي السعدي والقاضي ابو الحسن الماتريدي من الحنفية: من عقد الرهن ورتبوا عليه كل احكام الرهن بحجة ان العبرة في العقود للمعاني لا للالفاظ والمباني ولهذا كانت الهبة بشرط العوض بيعا.

اما ما استقر عليه الرأي - كما نقل - لدى الحنفية فهو انه عقد جديد - كما يعبر الاستاذ الزرقاء في بحثه المقدم للمجمع - ليس بيعا صحيحا من كل وجه ولا بيعا فاسدا من كل وجه ولا رهنا من كل وجه بل فيه شبه بها جميعا ولذا قرروا اعطاءه حكما من كل منهما: فاعطي من احكام البيع المطلق الصحيح ان للمشتري حق الانتفاع به واستغلاله دون حاجة الى اذن البائع بل بمقتضى العقد. واعطي من احكام البيع الفاسد انه عقد جائز للطرفين. واعطي من احكام الرهن انه لا يجوز للمشتري بيعه لانه شرط رده على البائع متى اعاد له الثمن واحكام اساسية اخرى. وقد استقر رأي الحنفية على هذا حتى قال صاحب البحر الرائق: وينبغي ان لا يعدل في الافتاء عن القول الجامع، وفي النهر: والعمل في ديارنا على ما رجحه الزيلعي<sup>٢</sup>.  
وقفه قصيرة عند الادلة:

وقبل المضي في البحث لابد من وقفه قصيرة عند الادلة التي سبقت للفساد او الجواز. اما بالنسبة لادلة الفساد فقد ذكر منها ان هذا الشرط مخالف لمقتضى العقد فما هو الموقف هنا؟ من الواضح ان سر المشكلة في هذا العقد هو وجود شرط (الرد عند الرد) في هذا العقد ولذا كان من الطبيعي ان نرجع الى قاعدة (المؤمنون عند شروطهم) واحكامها المتفرعة لتحديد الموقف من هذا الشرط. وهذه القاعدة لا يختلف حولها العلماء بعد أن جاءت النصوص المؤكدة لها وهي في كمال الاعتبار. على ان الشروط ضمن العقود هي من توابعها وحينئذ يشملها دليل وجوب الوفاء - كما هو الظاهر - اما ما قيل من ان العقود هي نفس المعاهدة الواقعة بين الطرفين دون النظر للالتزامات الاخرى فلا يبدو أمراً مستساغاً عرفاً وانما ينظر العرف الى مجموع الالتزامات ويرى شمول دليل الوفاء لها خصوصا بعد تفسير العقود بالمعهود.

(١) الموسوعة نقلا عن تبين الحقائق للزيلعي ١٨٤/٥ والبحر الرائق ٨/٦ والفتاوى الهندية ٢٠٨/٣ و٢٠٩ وابن عابدين ٢٤٦/٤ و٢٤٧ ومغني المحتاج ٣١/٢ ونهاية المحتاج ٤٣٣/٣، وبغية المسترشدين صفحة ١٣٣ والافتاح ٨٥/٣.

(٢) الموسوعة نقلا عن ابن عابدين ٢٤٦/٤ و٢٤٧ ط بولاق.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وهنا نقول انهم اشترطوا ان لا يكون الشرط مخالفا لمقتضى العقد وذلك باعتبار ان شمول دليل الوفاء لمثل هذه الحالة غير ممكن لوجود مقطعين متنافيين تماما في هذا المضمون الذي يراد الوفاء به ولا يمكن ان يقصد العقلاء مضمونين متناقضين في آن واحد. وهذا انما يقتصر على التنافي بين الشرط ومقتضى ذات العقد. اما لو كان الشرط منافيا لاطلاق العقد مثلاً فالعقد حينئذ ينعقد مقيدا ولا معنى لتصور التنافي فيه مطلقا فيشمله دليل الوفاء بشكل طبيعي ودون اية عتبة ولتوضيح الامر نقول:

ان المنافاة لمقتضى العقد يمكن ان تتصور على انحاء:

الف- ان يكون هناك تناف بين الشرط ومضمون العقد بالمعنى المصدري وهو مثلا التملك في البيع. فلو قال بتلك هذه العين بشرط ان لا يتحقق هذا التملك فهذا يعني وجود تناقض في المضمون وطبيعي ان هذا امر باطل.

ب- ان يكون الشرط منافيا لكل آثار العقد كان يقول بتلك هذا شريطة ان لا تصرف به مطلقا وهذا يكاد يرجع الى الوجه السابق.

ج- ان يكون الشرط نافيا لأهم الآثار المنظورة في العقد بحيث يكون النظر اولا الى هذا الاثر كأن يشترط في عقد الزواج ان لا يتم المس الجنسي طوال حياة الزوجين. وهنا قد يقال ان الفهم العرفي يرى المنافاة والتناقض وان لم يكن ذلك بالنظر الدقيق فحكمه حكم الوجوه السابقة ولكن يمكن القول بصحة هذا الشرط اذا افترضنا ان النظر الحقيقي في العقد منصب على الآثار كجواز النظر في مثالنا والتعاشر تحت سقف واحد اللهم الا ان يقال بانه شرط مخالف للكتاب والسنة وهو امر فيه نظر.

د- ان يكون التنافي لبعض الآثار العرفية للعقد وهنا نكرر ما قلناه ان التنافي هنا ليس بين ذات العقد والشرط بل هو بين الشرط واطلاق العقد، ولكن وجود الشرط منذ البداية يرفع الاطلاق (بالمعنى الاعم) فيولد العقد مشروطا لا مطلقا ولا يبقى تناف في البين وتشمله ادلة الوفاء - ان لم يكن هناك مانع آخر.

هـ - ان يكون التنافي بين الشرط وبعض الآثار الشرعية للعقد بمعنى الاسم المصدري كاشتراط الزوجة كون السكنى باختيارها فلا مانع منه الا ان يكون هناك مانع آخر كان يكون ذلك من الحقوق غير القابلة للاسقاط كان يشترط الزوج على الزوجة التنازل عن ليلتها لو قلنا

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

بذلك وامثال ذلك.

وهنا نعود الى شرطنا المبتلى به وهو شرط الرد عند الرد لنبحث عن كونه مصداقاً لاي من الوجوه الماضية. لا ريب في انه لا ينافي مقتضى ذات العقد لان التمليك حاصل بقصد البيع حقيقة ولا نستطيع ان ننوب عن المتعاقدين في تفسير الفاظهما بعد ان كانا قاصدين حقيقة للبيع ومستعدين لترتيب ما يترتب عليه من آثار ولكن في حدود معينة متفق عليها فلا معنى إذن لجعله رهناً لانه يقوم مقامه او اعتباره عملية ربوية لانه يؤدي مؤداها وآلاً لكان علينا ان نسد الباب على كل فار من الربا الحرام الى كل عقد صحيح يؤدي بالتالي الى نفس النتائج وهذا منحى خطير فهل نمنعه من المضاربة مثلاً اذا كانت تؤدي الى نفس النتائج؟

نعم لو اشترط في هذا العقد شروطاً تؤدي في الواقع الى نفس الالتزام باي أثر من آثار البيع وتحول العملية الى قرض معقد كما تفعله بعض البنوك التي تحاول الفرار من الربا فهذا امر يرفضه العرف ويجعله من مصاديق الربا وللعرف حقه في تشخيص المصاديق للدلالة الشرعية كما مر لنا بحث في اجتماع سابق لمجمع الفقه في هذا الصدد<sup>١</sup>.

كما انه لا ينافي كل آثار العقد، وكذلك فهو لا ينافي الاثر المنظور بالتركيز العرفي وهو التمليك وترتيب آثار الملك اجمالاً. نعم لا يبقى لدينا إلا المنافاة لاطلاق العقد في ترتيب كل اثار التمليك وقد رأينا عدم الضرر في ذلك. ومن هنا فنحن نرى ان هذا الشرط في نفسه صحيح لا غبار عليه<sup>٢</sup>.

اما بالنسبة للدالة التي ذكرت للمجيزين ففيها نظر ايضاً. فقد ذكروا ان هذا العقد رغم مخالفته للقواعد لكنه لما قام عليه العرف والتعامل خرجنا عن مقتضى القاعدة فيه كعقد

---

(١) توهم البعض ان ما قاله المالكية من (ان الشروط التي تعود على اصل العقد فتبطله تعتبر باطلة لأنها تخالف مقتضى العقد) ينطبق على هذا المورد وهو توهم باطل إذ لو صح ما قالوه فانما يقصدون به تلك الشروط التي يعتبر اشتراطها بنفسه ناقضاً لأصل العقد اما اشتراط شرط ربما يسمح بعد مدة بنقض العقد فلا مانع منه بالاجماع وذلك من قبيل اشتراط خيار الفسخ لأحدهما او كليهما مما قد يؤدي الى فسخ العقد عند الاستفادة من هذا الشرط وهو صحيح بلا ريب والحقيقة ان بيع الوفاء بمعنى من المعاني هو نوع من انواع اشتراط خيار الفسخ للبايع عند رد الثمن.

(٢) على ان هناك بحثاً مفضلاً في أداء الشرط الفاسد الى فساد العقد لا مجال لنا هنا لطرحه وانما نقول اجمالاً ان هذا الشرط لما كان محط النظر للمتعاقدين فلو فسد فان المرجح هو فساد العقد.



## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

الاستصناع فهذا امر فيه نظر كثير. إذ كيف يسوغ لنا أن نخرج عن القواعد الشرعية المقررة لمجرد حصول التعامل العرفي به؟ اتنا لا نستطيع ان نخرج عن القواعد الشرعية الا بدليل شرعي فما هو الدليل الشرعي المذكور هنا؟

انه العرف وقد ذكرنا ان العرف ليس دليلا شرعيا قائما براسه والالما احتجنا الى الشريعة وانما العرف يمكنه ان يشخص لنا مصاديق الأدلة ومداليل الالفاظ ومرادات المتكلمين كما يمكنه ان يكشف لنا عن امضاء الشارع المعصوم للقاعدة الاصولية كالاستصحاب والحكم الفرعي شريطة ان يمتد الى عصر المعصوم فيكون عرفا عاما في زمانه ومن خلال عدم نهي عنه يكتسب مشروعية التقرير طبعاً مع التاكيد من كل هذه الامور اي الامتداد الى ذلك العصر حتما وعدم صدور النهي قطعاً.

كما هو الحال في عقد الاستصناع - كما يدعى - وهذا امر يختلف عن الحال في عقد نشك في امتداده الى ذلك العصر بل يقال انه ظهر اول ما ظهر في القرن الخامس الهجري في مدينة بلخ وهو امر مرفوض خصوصا اذا لاحظنا الروايات الاتية عن اهل البيت عليهم السلام وعلى اي حال فاننا لانستطيع تحكيم العرف هنا والخروج فيه عن القواعد والقوانين الشرعية.

اما بالنسبة لما استقر عليه الرأي والذي عبر عنه الاستاذ الزرقاء بالبيع الجديد المشابه (للبيع الصحيح والفاقد والرهن) كما عبرت عنه الموسوعة بانه (مركب من العقود الثلاثة كالزرافة فيها صفة البعير والبقرة والتمر) فهو ايضا لم نستطع ان تبين الوجه في تصحيحه. إذ أننا تارة نحاول التشبيه واخرى نحاول التماس الدليل الشرعي للحكم الشرعي الذي نريد استنباطه، وهل يكفي مجرد الشبه لنقل حكم من المشبه به الى المشبه؟ كما ان وجود عنصر فاسد - وهو المفروض لديهم - في هذا العقد يفسد المجموع، كما مر ذلك<sup>١</sup>.

اشكال الفرر: ولو بقينا نحن والقواعد الاولية وقبل الرجوع الى أي دليل آخر خاص بهذا

---

(١) ولذا رابنا الاستاذ الزرقاء يكفي بنقل القول دون تاييده بل رابنا ابا شجاع والسعدي والماتريدي يعدلون عن هذا الرأي ويلجأون الى تصحيحه باعتباره عقد رهن كامل وبالتالي يمنحونه كل احكام الرهن وهذا ايضا لم نر له وجها بعد ان لم يقصده المتعاقدان مطلقا ومع هذا فلا مجال لفرض ضرورة الالتزام به كقول جامع وعدم تسويغ الخروج عليه. ولا ننسى ان نشير الى من جوزه لحاجة الناس اليه فلا نرى ذلك ايضا دليلا مسرعا اللهم الا ان يتحول الى ضرورة وللضرورات أحكامها وليس الامر كذلك.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المورد، فإن هناك إشكالا عاما قد يطرح على صور هذا العقد وهو إشكال الغرر وهو مالم لاحظ في كتب المتقدمين وإنما ذكره الامام الخميني رحمه الله في كتاب البيع وناقشه بالتفصيل<sup>١</sup>، فمهما صوّرنا هذا الشرط من قبيل: الف - ان يكون الشرط هو الخيار المتقيد برد الثمن. ب - ان يؤخذ الرد فسخا فعليا. ج - ان يشترط انفساخ العقد حال رد الثمن من قبيل شرط النتيجة ولا مانع من ذلك. د - ان يشترط الاقالة او البيع الجديد او نقل المبيع اليه (وستأتي الاشارة الى هذه الصور في بحث الفروع).

نعم في كل هذه الصور يبدو أن الجهالة حاصلة والغرر قائم فلا يعلم متى يتحقق رد الثمن ليتم رد المثل. نعم لو تم تحديد زمان الرد بالتعيين ارتفع الغرر. اما لو أطلق الامر واشترط الرد عند الرد خلال هذه المدة الممتدة فهل يتحقق الغرر لان المعلق عليه مجهول من حيث مدة حصوله؟

والذي يبدو ان الغرر بهذا المقدار لا يضر عرفا شريطة ان لا تخرج المدة المضروبة عن الحدود المتعارفة بحيث لا يصدق في التصور العرفي حصول غرر رغم كثرة البدائل فما اكثر ما يمنح العرف الفرصة لتحقيق الشروط دون ان يتصور ان هناك جهلا وغررا في البين وبهذا دفعنا اشكال الغرر في عقد الضمان بعد توفر تحديدات للاقساط والمدد وامثال ذلك. ولهذا ايضا نجد المعارضين له لا يشيرون الى عنصر الغرر هذا باعتباره مفترا بهذا المقدار.

بيع الوفاء عند الامامية:

والملاحظ انهم فرغوا عن كونه بيعا وانما ركّزوا على شرط الخيار ولذلك بحثوه غالبا في بحث (الخيارات) وفي مبحث خيار الشرط بالتحديد كما ذكره صاحب (الغنية) في امثلة الشروط الجائزة.

فهو اذن بيع خالص تنتقل فيه العين بكل تبعاتها وحقوقها الى المشتري والثمن بكل توابعه الى البائع ألا ان هناك شرطا للرد عند الرد يلتزم به الطرفان كما سيتوضح فيما يلي:

حكم بيع الوفاء وفق القواعد العامة:

وهو المنهج الذي يتبعه فقهاء الامامية المتأخرون عندما يبحثون أي مسألة فانهم

(١) البيع للامام الخميني: ٢٢٣/٤.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يطرحونها أولا على ضوء القواعد العامة فإذا كانت النتيجة ايجابية اعتبرت النصوص الواردة في هذا المورد الخاص تأكيداً وتطبيقاً لتلك القواعد أما إذا كانت سلبية اعتبرت النصوص الخاصة استثناءً ولذا يؤخذ من الاستثناء خصوص ما تم القطع بخروجه عن القواعد العامة ويرجع في الباقي إليها، على تفصيلات دقيقة تراجع في مظانها. وقد ذكرنا أنهم لم يناقشوا في كونه بيعاً تنطبق عليه كل صفات عقد البيع وبالتالي تشمله أدلة الوفاء بالعقود من هذه الجهة. كما أنهم لم يروا في هذا الشرط أية مخالفة لمقتضى العقد بل هم لم يبحثوا هذه المسألة لوضوحها لديهم وإنما ركزوا على مسائله الفرعية فقط دون المساس بأصل المشروعية<sup>١</sup>.

### الأدلة الخاصة في مورد بيع الوفاء:

وهنا يذكر الاجماع المنقول والروايات الواردة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام وقد ذكرت في الباب السابع والثامن من ابواب الخيار في كتاب وسائل الشيعة للمرحوم الشيخ الحر العاملي<sup>٢</sup>.

(١) فهذا العلامة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر يقول (في شرح شرائع الاسلام: ٣٦/٢٣): «وكذا يجوز اشتراط الخيار مدة معينة - لا مجهولة ولا مطلقة - بشرط ان يرد البائع فيها الثمن ويرتجع بالبيع ان شاء اجماعاً في اصل المسألة ... ونصوصاً عموماً وخصوصاً». فهو يرى ان النصوص العامة وهي اساس من اساس مشروعية هذه القواعد تنسجم مع هذا البيع.

ويقول الشيخ العلامة الانصاري في المكاسب صفحة ٢٢٩: «والاصل فيه بعد العمومات المتقدمة في الشرط النصوص المستفيضة» والعبارة تحمل نفس المدلول.

ويقول الامام الخميني رحمه الله عن هذا البيع: «وهو جائز اجمالاً بالأدلة العامة والخاصة بل عن التذكرة وغيرها الاجماع عليه» (كتاب البيع ٤/٢٣٣).

فهو اذن بالاضافة الى انسجامه مع الأدلة العامة يملك سند الاجماع المنقول كما تنص على صحته نصوص عن ائمة أهل البيت عليهم السلام كما سيأتي الحديث عنها.

الآن راجع يذكر صور الاشتراط ويحللها ليجد ما يوافق منها القواعد العامة وما يخالفه وقد مر علينا ذلك قبل قليل ورايناه يقبل اغلب تلك الصور على تفصيلات الآنة يرى ان إشكال الغرر يأتي في اكثرها فيقول: «ثم ان إشكال الجهالة والغرر يأتي في اكثر الصور فما فيها الغرر بالوجه الذي مر بيانه تبطل على القواعد ولا بد في صحتها من التماس دليل من اجماع او اخبار خاصة» وهذا ما يستفيده هو بعد تعرضه لتلك الاخبار الخاصة حيث يقول بعد استعراضها: «وكيف كان تدل هذه الروايات على صحة الشرط مع الجهالة في المجهول وزمان الخيار او زمان لزوم الرد او الفسخ او الانفساخ» (كتاب البيع صفحة ٢٢٦).

(٢) - محمد بن يعقوب عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن علي بن النعمان عن سعيد بن يسار قال قلت لابي عبد الله عليه السلام: انا نخالط أناساً من أهل السواد وغيرهم فتبيعهم ونربح عليهم للعشرة اثني عشر والعشرة ثلاثة عشر، ونؤخر «نوجب» ذلك فيما بيننا وبين السنة ونحوها، ويكتب لنا الرجل على داره او على ارضه بذلك المال الذي فيه الفضل الذي اخذ منا شراءاً قد باع وقبض الثمن منه فنعهده ان هو جاء بالمال الى

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وتشكل هذه الروايات محور البحث في الفروع التي طرحت في هذه المسألة وهي متشعبة نذكر بعضها ثم نعقب ذلك بخاتمة.

**الفرع الاول:** صور الاشتراك ومدى انسجامها مع القواعد العامة. وقد ذكروا له صوراً كما يلي:  
**الصورة الاولى:** ان يكون الشرط هو الخيار المقيد برّد الثمن بمعنى انه يجعل منذ البدء مضيقاً وحينئذ فله الخيار (بهذا القيد) طول الوقت المعين. (وهذا إشكال في صحته لعدم التعليق فيه وعدم الجهالة في الجعل والمجعول، والجهل بوقت الاداء خارج عن محط الجعل نظير الجهل بإعمال خيار الشرط إذا جعل ثلاثة ايام).<sup>١</sup>

**الصورة الثانية:** أن يعلّق على ردّ الثمن في الوقت المعين فلا يثبت إلا بعد تحقق المعلّق عليه وحينئذ

وقت بيننا وبينه ان ترد عليه الشراء فان جاء الوقت ولم يأتنا بالدرهم فهر لنا، فما ترى في الشراء؟ فقال ارى انه لك ان لم يفعل، وان جاء بالمال للوقت فردّ عليه. وروى هذا الحديث الشيخ الصدوق باسناده عن سعيد بن يسار ورواه الشيخ الطوسي باسناده عن الحسين بن سعيد عن علي بن النعمان وعثمان بن عيسى جميعاً عن سعيد بن يسار.

٢- محمد بن يعقوب عن ابي علي الاشعري عن فضالة عن ابان بن عثمان عن ابي الجارود عن ابي جعفر الباقر عليه السلام (وفي نسخة اخرى عن ابي عبد الله الصادق) قال إن بعث رجلاً على شرط فإن أتاك بمالك وآلاً فالبيع لك.

٣- محمد بن الحسن (الطوسي) باسناده عن الحسين بن سعيد عن صفوان، عن اسحاق بن عمار قال: حدثني من سمع ابا عبد الله عليه السلام وسأله رجل وأنا عنده، فقال: رجل مسلم احتاج الى بيع داره فجاء الى اخيه، فقال ابيعك داري هذه، وتكون لك أحب إلي من أن تكون لغيرك على أن تشتري لي إن انا جئتك بثمانها الى سنة أن تردّ عليّ، فقال: لا بأس بهذا ان جاء بثمانها الى سنة ردّها عليه، قلت: فانها كانت فيها غلة كثيرة فأخذ الغلة، لمن تكون الغلة؟ فقال: الغلة للمشتري، الا ترى انه لو احترقت لكانت من ماله. وروى هذا الحديث الصدوق باسناده عن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام. ورواه الشيخ الكليني رحمه الله عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين عن صفوان.

٤- وروى الشيخ الطوسي باسناده عن الحسن بن محمد بن سماعة عن احمد بن ابي بشر (وفي نسخة اخرى: بشير) عن معاوية بن ميسرة قال: سمعت ابا الجارود يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن رجل باع داراً له من رجل، وكان بينه وبين الرجل الذي اشتري منه الدار حاصر، فشرط إنك إن أتيتني بمالي ما بين ثلاث سنين فالدار دارك فاتاه بماله، قال: له شرطه، قال ابو الجارود: فإن ذلك الرجل قد أصاب في ذلك المال في ثلاث سنين، قال: هو ماله. وقال ابو عبد الله عليه السلام: أرايت لو أن الدار احترقت من مال من كانت تكون، الدار دار المشتري (تراجع كل هذه الروايات في كتاب وسائل الشيعة: ١٢/ ٣٥٦-٣٥٤).

٥- ويضاف اليها رواية جاءت في كتاب دعائم الاسلام عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن رجل باع داره على شرط أنه إن جاء بثمانها الى سنة أن يرده عليه، قال: لا بأس بهذا وهو على شرطه. (مستدرک الوسائل الباب ٦ من ابواب الخيار، الحديث ١).  
(١) البيع: ٢٣٢/٦.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

فلا خيار قبل تحقق الرد وتكون مدة الخيار منفصلة دائماً عن العقد كما يرى الشيخ الانصاري في حين يرى الامام انه ثابت في كل المدة لأن المعلق عليه ليس قيداً ولا إشكال فيه سوى التعليق وهو غير مضر لعدم الدليل على بطلانه شرعاً أما إشكال الفرر فقد تقدم الحديث عنه: الصورة الثالثة: أن يؤخذ الرد قيداً للفسخ بمعنى أن له الخيار طوال المدة المعينة على وجه يقارن الرد او يتاخر عنه ولا مانع منها.

الصورة الرابعة: ان يعتبر الرد فسخاً فعلياً وقد ذكر الشيخ الانصاري ان صاحب الرياض اعتبر هذه الصورة هي الظاهرة من الاخبار.

الصورة الخامسة: ان يشترط انفساخ العقد حال رد الثمن فيكون هذا من قبيل شرط النتيجة وقد اعتبرها الشيخ الانصاري هي الظاهر من رواية معاوية بن ميسرة المتقدمة وهي الصورة التي يبدو أن صاحب الغنية ركز عليها حيث انه لم يذكر هذا القسم في الخيار وانما ذكره في امثلة الشروط الجائزة في متن العقد قائلاً «ان يبيع ويشترط على المشتري ان رد الثمن عليه في وقت كذا كان المبيع له»<sup>١</sup>.

الصورة السادسة: أن يشترط البائع على المشتري أن يقيه او يبيعه من جديد أو ينقل المبيع اليه عند رد الثمن وهو الاستظهار الوارد في كتاب الوسيلة حيث قال «إذا باع شيئاً على أن يقيه في وقت كذا بمثل الثمن الذي باعه لزمته الاقالة إذا جاءه بمثل الثمن في المدة».

مايستفاد من الروايات الآتية: أما رواية اسحاق بن عمار فهي تحتمل كل هذه الصور وكذلك رواية سعيد بن يسار في حين ان رواية معاوية بن ميسرة الظاهر من لفظها شرط النتيجة (فالدار دارك) ولكنها كلها تحتمل الوجوه الماضية أما مباشرة أو بالكفاية.

الفرع الثاني: هل يكفي مجرد الرد في الفسخ؟ قيل إن ظاهر عبارات العلماء هي أن مجرد رد الثمن ليس قاطعاً للبيع. ذلك ان الذي يتبع الرد هو الخيار لا انقطاع البيع ولا ينفسخ البيع معه

---

(١) هذا وقد أشكل عليها بإشكالين: الاول - ان شرط النتيجة غير صحيح. الثانية - أنه يعني اقتضاء الشيء عدم نفسه أو انفساخ العقد بلا سبب. أما الاشكال الأول فيقال في توضيحه ان الاشتراط يعني تملك الشرط للمشروط له تماماً كما في شرط الفعل والنتائج لا تقبل الاضافة الى مالك. ولكنه غير صحيح فالحقيقة هي أن هناك التزاماً من البائع بالفعل أو بالنتيجة ولا مانع في ذلك. وأما الثاني فيقال في جوابه إن سبب الانفساخ هو الشرط نفسه وليس العقد. (مكاسب الشيخ الانصاري صفحة ٢٣٠ عنه).

## من فقه مدرسة اهل البيت عليهم السلام

إلا بالفسخ وليس الرد بنفسه فسخاً لأنه لا يدل عليه وإن كان علامة على الإرادة والارادة غير المراد.

ولكن الشيخ الاعظم الانصاري يقول «أما لو فرض الدلالة عرفاً إما بأن يفهم منه كونه تمليكا للثمن من المشتري ليمتلك منه المبيع على وجه المعاوضة وإما بأن يدل الرد بنفسه على الرضا بكون المبيع ملكاً له والثمن ملكاً للمشتري فلا وجه لعدم الكفاية لاعترافهم بتحقيق الفسخ فيما هو أخفى من ذلك دلالة.

وما قيل من أن الرد يدل على ارادة الفسخ والارادة غير المراد فيه: أن المدعى دلالة على إرادة كون المبيع ملكاً له والثمن ملكاً للمشتري ولا يعتبر في الفسخ الفعلي أزيد من هذا مع أن ظاهر الأخبار كفاية الرد في وجوب رد المبيع بل قد عرفت في رواية معاوية بن ميسرة حصول تملك المبيع برد الثمن فيحمل على تحقق الفسخ الفعلي به»<sup>١</sup>.

وخلاصة كلامه: أنه لا مانع من أن يدل الرد دلالة عرفية على الفسخ وعندئذ يكفي في إنقطاع البيع. وقد استظهر من الروايات الماضية كفاية الرد بل أن رواية معاوية صريحة في ذلك. في حين أن الامام الخميني أكد أن الظاهر هو ما يقوله الأصحاب فالرد يتبعه الخيار لا الانقطاع وهو ما نستظهره أيضاً. نعم لو خصص في العقد على أن يكون الرد فسخاً فلا إشكال في ذلك. الفرع الثالث: هل يسقط الخيار باسقاطه بعد العقد وقبل تحقق الرد؟ يرى الشيخ الانصاري ذلك وقد ذكرت لتوجيه هذا الرأي وجوه وتعبيرات:

الاول: ان تحقق العقد يعني تحقق سبب الخيار وهو كاف في صحة اسقاط الحق  
الثاني: ان المشروط له مالك للخيار قبل الرد ولو من حيث تملكه للرد الموجب له فله اسقاطه  
الثالث: ان الاسقاط هو على نحو الواجب المشروط (أي المعلق وجوبه على شيء مدخيل في اصل ملاكه كالاستطاعة بالنسبة للحج). فيكون السقوط (وهو أثر الاسقاط) بعد تحقق الخيار بتحقيق الرد. ويزاد على هذا فيقال ان العلاقة بين الاسقاط والسقوط الاعتباريين ليست كمثلهما في الامور التكوينية وهنا يرى العقلاء ان هناك وجوداً إنشائياً متداً للاسقاط يستمر حتى يتحقق الرد وبالتالي يتحقق الخيار فيتم إسقاطه.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

**الرابع:** إن البائع يملك الرد كحق من حقوقه فيصح له أن يسقط حق الرد فيسقط معه الخيار. هذا بعض ما يمكن أن يؤيد به نفوذ الاسقاط وادأؤه للسقوط<sup>١</sup>. والذي يرجح في النظر هو السقوط بالاسقاط والتعبير الثاني رغم كونه مجازياً فهو حالة عرفية يلاحظها العرف بادنئ نظر وبراء مالكا عبر تملكه لسبب الخيار دون مؤونة تذكر فهو دليل محكم.

وكذلك الوجه الثالث باعتبار أن المرتكز في العرف في نظائر هذه المعاملات هو كذلك وقد قبل الامام نفسه نظير ذلك في تصحيح بيع الفضولي وغيره بل قد قبل جريان الفضولية في الايقاعات لولا الاجماع على عدمه. فهذا هو مرتكز العرف في المعاملات وهذا المرتكز نفسه ممضى من الشارع والآلجاء النهي عنه.

وكذلك ايضاً الوجه الرابع فلا ريب في أن من حقوقه أن يشترط الخيار بمقتضى سلطنته فهي حقوق مترتبة على الملكية كما أن من حقوقه نتيجة التعامل أن يكتسب الخيار بالرد وهو بالتالي يملك اسقاط هذا الحق (والله أعلم).

**الفرع الرابع:** ماهو الموقف لو كان المردود من غير جنس الثمن أو فاقداً للقيد المعتبر كأن يكون معيباً والمطلوب أن يكون صحيحاً (ولو لأجل انصراف الاطلاق الى قيد الصحة)؟ قيل: بالتفصيل بين المردود من غير جنس الثمن والمردود الذي ظهر معيباً أو فاقداً لوصف معتبر فيه فلا يتحقق في الأول ويتحقق في الثاني مع ثبوت حق المطالبة بالاستبدال. وقد قيس هذا على باب البيع إذا وقع على غير الجنس بعنوان الجنس أو على المعيب بعنوان الصحيح حيث يبطل في الأول ويصح في الثاني مع ثبوت خيار تخلف الوصف وكذا لو وقع

---

(١) إلا أن الامام يرد على كل هذه الوجوه. اما الاول: فيقول فيه ان تحقق السبب وهو العقد لا يخرج الاسقاط عن كونه اسقاطاً لما هو غير حاصل. واما الثاني: فيرى فيه أنه صحيح من حيث الامكان إلا أننا بحاجة لاثبات وجود سلوك عقلائي يقضي ببقاء مثل هذا الاسقاط حتى يتحقق موضوعه فينفذون يتوفر هذا السلوك في عصر المعصوم عليه السلام فيمضيه ولو بعدم الردع عنه وهو أمر مشكوك التحقق آنذاك. واما الثالث: فيقول فيه انه ليس مالكا إلا على سبيل التجوز وهو لا يكفي للاسقاط المنجز. واما الرابع: فيرى أن كونه من الحقوق دعوى بلا بينة ويكفي بقاء الخيار بعد الاسقاط للشك في تأثيره بل يستظهر أنه ليس من الحقوق. هذا ما أفاده رحمه الله (البيع: ٤/ ٢٣٥ - ٢٣٧).

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

على الكلّي في الذمة وتم أداء الفاقد للوصف المذكور في ذلك الكلّي حيث أن للمشتري قبوله وإسقاط الوصف.

وقيل انه لم يتحقق الرد في كلتا الحالتين لعدم تحقق المعلق عليه (بل لو رضي الطرف به أيضاً لم يثبت لأن المفروض أن الصحة شرط ولا ينقلب عما هو عليه بتراضيهما).<sup>١</sup>

اما القياس ففي غير محله، لأن قياس المورد على البيع الشخصي، فهو مع الفارق إذ البيع وقع على الشخص، وتختلف الوصف لا يوجب تخلف البيع، في حين وقع الخيار على رد الشيء الموصوف ومع فقدان الوصف يتخلف الرد فلا يثبت الخيار، واما القياس على الكلّي الموصوف فهو أيضاً مع الفارق لأنه لا ينطبق أصلاً على فاقد الوصف إلا أن الظاهر أن القول بالتفصيل له وجه وجيه فصحيح أن الرد إنما هو للشيء الموصوف ولكنه منصب أولاً وبالذات على الشيء ويعتبر ردّاً حقيقة وإن كان للمشتري حق المطالبة بتحقيق الوصف فان عفى عنه كان ردّاً حقيقة في نظر العرف.

وكذا الامر في الكلّي في الذمة فالانطباق وإن لم يكن دقيّاً عقلياً ولكنه انطباق عرفي خصوصاً بعد العفو عن الوصف المتخلف. ولذا لا نرى وجهاً عرفياً للقول بعدم تحقق الرد حتى بعد رضا المشتري بالعين المعطاة.

الفرع الخامس: حكم التلف: والتلف قد يتعلق بالمبيع وقد يتعلق بالثمن، وهما أيضاً قد يقعان قبل الرد وأخرى بعد الرد فما هو حكم هذه الحالات؟

اما المبيع فانه لو تلف قبل الرد أو بعده فهو من المشتري لأنه هو المالك العقدي في بيع صحيح ولذا فله نماؤه أيضاً ولكن هل يبقى الخيار؟ هناك من يرى بقاء الخيار للبائع فله أن يسترد المثل أو القيمة حينما يرد الثمن او بدله وهناك من يرى سقوط الخيار، باعتبار أن مصب هذا الخيار هو الالتزام باعادة المبيع عند رد الثمن، والظاهر من هذا هو بقاء المبيع في هذا المورد فاذا تلف المبيع فلا معنى للخيار.<sup>٢</sup>

(١) البيع: ٤ / ٢٣٧.

(٢) وهذا ما يحتمله الشيخ الاعظم «الانصاري» في المكاسب صفحة ٢٣١، إلا أن الامام الخميني قدس سره يركز على خصوصية اخرى يختص بها بيع الخيار دون غيره «وهي مبهودية رجوع نفس العين برد الثمن او مثله فان بيع الخيار بحسب النوع الذي يشذّ خلافه إنما يقع على المبيع الذي يكون لصاحبه علاقة (عاطفية) به بخصوصه



## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

هذا وقد ذكر أن التلف لو تم بعد رد الثمن فإنه سيكون مشمولاً لقاعدة (التلف في زمان الخيار ممن لا خيار له) والمشتري هنا لا خيار له فالتلف منه وحينئذٍ تنفسخ المعاملة ولا معنى حينئذٍ للخيار.

وهذه القاعدة قيل<sup>١</sup> عنها أنها مسلمة لدى الأصحاب واستدل لها بالأخبار، والاجماع المنقول ثم جاء التساؤل عما إذا كان هذا الحكم على مقتضى القواعد الأولية باعتبار أن التلف يقوم مقام الفسخ أم لا باعتبار أن المعاملة تامة وإن النقل والانتقال حاصل بالفعل رغم وجود الخيار (وهو المرجح) فتكون الروايات على خلاف القاعدة ويقتصر فيها على موارد من خيار الحيوان والشرط ولا يمكن الخروج إلى التعميم إلا بقياس مرفوض. هذا وقد استظهر الشيخ الاعظم الانصاري شمولها لخيار المجلس أيضاً وعلى أي حال فلا تملك هذه القاعدة العموم المطلوب لأنها غير منصوص عليها مباشرة بل هي مستخرجة من نصوص جاءت في موارد خاصة وليس فيها تعميم. ثم أنها لو شملت المورد فالكلام الآنف يأتي هنا.

أما لو تلف الثمن الشخصي فإن كان بعد الرد وقبل الفسخ فإن قلنا بشمول القاعدة الماضية للمورد يكون التلف من المشتري باعتباره مصداق لمن لا يملك الخيار وإن كان مازال ملكاً للبائع ولكن الاشكال في شمول القاعدة للثمن هنا قوي باعتبار أنها واردة، في خصوص المبيع في الخيارات الآنفة فقط بالإضافة إلى اشكال آخر يأتي من ضم قاعدة (الخراج بالضمان) إلى الاجماع. على أن التمام مازال للبائع بالضمان عليه لا على المشتري. فلو شملته القاعدة فمعنى ذلك تلف الثمن من المشتري وانفساخ العقد وعودة المبيع إلى البائع - وقد شككنا في الشمول - والآكان التلف من البائع وتأتي هنا فروض الاستبدال وإمكانه وعدمه وقد رجح الشيخ الانصاري إمكان إرجاع البدل واسترجاع المبيع.

---

بالثمن الذي هو محل احتياجه ليصرفه فيما يحتاج إليه فيبيع داره التي هي ظل رأسه وضيعته التي هي فرة عينه، وإنما يقدم على بيعها بأقل من قيمتها لأجل العلم والاطمئنان بإمكان أداء الثمن واسترجاعها ولو كان نظره إلى ماليتها لا إلى عينها لماباعها إلا بثمن المثل لتحصيل ماليتها الواقعية ولم يكن وجه لبيعها بالشرط) (المبيع: ٤ / ٢٤٠).  
والروايات المذكورة واضحة في هذا المورد كقول البائع في رواية اسحاق «ابيعك داري هذه وتكون لك أحب إلي من أن تكون لغيرك». وعليه فالمراد بالدار هو خصوصها لا ماليتها. والظاهر أنه رأي قوي لا يمكن العدول عنه ولولا هذه الخصوصية لقلنا هنا كسائر الخيارات برجوع العين بالفسخ ومع التلف يرجع إلى البدل.  
(١) القواعد الفقهية للمرحوم السيد الجنوردي: ٤ / ١٠٩.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أما لو كان تلف الثمن قبل الرد فهل هو من البائع؟

قيل: اننا لو قلنا بوجود الخيار قبل الرد وقلنا بشمول القاعدة لهذا المورد فالحكم كذلك (أي أن التلف من المشتري وانفساخ العقد وعودة المبيع إلى البائع إلا أن الانصاف يقتضي أن لا نعم القاعدة حتى إلى هذا المورد رغم قولنا بوجود مال للخيار قبل الرد باعتبار امتلاكه للرد نفسه. وعليه فيكون التلف من البائع خصوصاً بعد ملاحظة أن النماء له وله أن يدفع البذل (على بحث في ذلك).

الفرع السادس: هل للمشتري أن يتصرف تصرفاً ناقلاً للعين؟ لا ريب في أن للبائع أن يتصرف في الثمن لأنّ التصرف هو المقصود بالعقد ابتداءً ولو تصرف به تصرفاً ناقلاً سقط خياره على النحو المتقدم هذا إذا كان الثمن شخصياً طبعاً. أما المشتري فهل يجوز له ذلك؟<sup>١</sup> إننا نلاحظ تماماً أن فقهاء الامامية فرغوا من التملك كما قلنا وأن العين في مثل موردنا هي ملك المشتري ولكن البحث كله في مانعية التزلزل الناشئة من وجود الخيار من القيام بمثل هذا التصرف، وليس هذا كالعين المرهونة إذ لا يجوز للمرتهن أن يتصرف بها أي تصرف لأنها ليست إلا كوثيقة على دينه. وما يمكن أن يذكر هناك من المنع هو ما ذكره الشيخ الأعظم

---

(١) هذه المسألة تدخل تحت بحث مهم طرحه علماء الامامية في باب أحكام الخيار تحت عنوان (عدم جواز تصرف غير ذي الخيار) وقد استعرض الشيخ الأعظم في مكاسبه (صفحة ٢٩٦ / طبعة تبريز) أقوالهم بأسباب وذكر أقوال القائلين بالمنع وتفصيلاتها ثم قال راداً عليها «هذا غاية ما يمكن أن يقال في توجيه المنع لكنه لا يخلو عن نظر فإن الثابت من خيار الفسخ بعد ملاحظة جواز التفاسخ في حالة تلف العينين هي سلطنة ذي الخيار على فسخ العقد التمكن في حالتي وجود العين وفقدائها فلا دلالة في مجرد ثبوت الخيار على حكم التلف (التصرف) جوازاً ومنعاً فالمرجع فيه أدلة سلطنة الناس على أموالهم ألا ترى أن حق الشفيع لا يمنع المشتري من نقل العين، ومجرد الفرق بينهما بأن الشفعة سلطنة على نقل جديد فالملك مستقر قبل الأخذ بها غاية الأمر تملك الشفيع نقله إلى نفسه بخلاف الخيار فانها سلطنة على رفع العقد وإرجاع الملك على الحالة السابقة، لا يؤثر في الحكم المذكور مع أن الملك في الشفعة أولى بالتزلزل لإبطالها تصرفات المشتري اتفاقاً وأما حق الرهن فهو من حيث كونه وثيقة يدل على وجوب إبقائه وعدم السلطنة على إتلافه مضافاً إلى النص والإجماع على حرمة التصرف في الرهن مطلقاً ولو لم يكن متلفاً ولا ناقلاً... والحاصل أن عموم الناس مسلطون على أموالهم لم يعلم تقييده بحق يحدث لذي الخيار يراحم به سلطنة المالك فالجواز لا يخلو عن قوة في الخيارات الأصلية. أما بالنسبة للخيارات المجعولة بالشرط فالظاهر من اشتراطها إرادة إبقاء الملك ليسترده عند الفسخ بل الحكمة في أصل الخيار هو إبقاء السلطنة على استرداد العين». وهكذا نجد رحمه الله يفرق بين الخيارات الأصلية كخيار العيب مثلاً والخيارات المجعولة بالشرط فيجيز التصرف الناقل هناك ويرفضه هنا لمنافاته لمصعب التعاقد وهو الاسترداد عند الفسخ. وهناك تفصيلات كثيرة لا يمكننا التعرض إليها.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

«الانصاري» من أن مصب العقد على إبقاء العين معدة للاسترجاع بمجرد تحقق الرد وقيام البائع بالفسخ (إن لم نقل بأن الرد نفسه فسخ) وربما كان هذا منافياً لهذا الغرض إلا أن يكون التصرف مما لا يتنافى مع ذلك كالسكنى والاجارة وخصوصاً فيما هو التعارف من الاجارة لنفس البائع بل ويمكن القول بجواز البيع مع بقاء حق الفسخ للبائع الأول متى شاء وتعود العين اليه على تفصيلات في البين.

فاذا منعنا المشتري من البيع وتخلف فباع فهناك بحث في بطلان هذا البيع وعدمه. يقول الامام الخميني قدس سره في هذا الصدد: «ثم انه على ما ذكرنا في بيع الخيار فاللزام منه وجوب حفظ المبيع لأنه مقتضى القرار والشرط في المقام، ولو تخلف وباعه فهل يقع باطلاً أو لا؟ وجهان مبنيان على ثبوت الحكم الوضعي في الشروط التي تتعلق بالأفعال وعدمه. وأما ما قيل من أن وجوب العمل بالشرط يوجب تعجيز المشتري عن بيعه فلا يرجع إلى محصل فان نفس الوجوب لا يوجب إلا الإلزام بالعمل وصيرورته موجبا لعدم تأثير البيع (لو تخلف) أول الكلام، بل ما هو مقتضى الشرط وجوب حفظه لا حرمة بيعه فلا وجه للبطلان الأدعوى كون وجوب الشيء مقتضياً لحرمة ضده الخاص وكونها إرشاداً إلى البطلان وهي كما ترى باطل في باطل<sup>١</sup>. وفي مجال الفتوى يقول: «وليس للمشتري قبل انقضاء المدة التصرف الناقل واتلاف العين إن كان المشروط ارتجاعها ولا يبعد جوازهما إن كان (المشروط) السلطنة على فسخ العقد»<sup>٢</sup>.

في حين أفنى الامام الحكيم وتبعه الامام الصدر بعدم الجواز مطلقاً. الفرع السابع: حكم الاشتراط من قبل المشتري: ذكروا أنه كما يجوز للبائع اشتراط الفسخ برد الثمن كذا يجوز للمشتري اشتراط الفسخ برد المثل.

ولو أطلق الاشتراط أنصرف الأمر إلى العين نفسها ولو صرح برد البديل مع التلف لا إشكال أما لو صرح برد البديل مع إمكان رد العين فان فيه إشكال كونه خلاف مقتضى الفسخ وهو رجوع كل من العوضين إلى صاحبه.

الفرع الثامن: هل ينتقل بالارث؟

(٢) تحرير الرسيطة: ٢ / ٥٢٠.

(١) البيع: ٤ / ٢٤٢.

(٣) منهاج الصالحين: ٢ / ٤٢.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

جاء في تحرير الوسيلة: «لو مات البائع ينتقل هذا الخيار كسائر الخيارات إلى ورثته فيردون الثمن ويفسخون»<sup>(١)</sup>.

وجاء في منهاج الصالحين للإمام الحكيم وبهامشه تعليق الإمام الصدر قوله «إذا مات البائع قبل إعمال الخيار انتقل الخيار إلى ورثته فلهم الفسخ بردهم الثمن إلى المشتري ويشتركون في البيع على حساب سهامهم ولو امتنع بعضهم عن الفسخ لم يصح للبعض الآخر الفسخ لا في تمام البيع ولا في بعضه ولو مات المشتري كان للبائع الفسخ برد الثمن إلى ورثته»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحكم هو مقتضى القاعدة.

ونريد أن نشير في الخاتمة إلى أمور:

### الامر الاول مقارنة بين حكم هذا البيع لدى الامامية مع حكمه لدى غيرهم.

من خلال ما تقدم يتضح: أن هذا البيع كان معروفا لديهم بمقتضى الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وليس عقداً جديداً عرف في بلغ في القرن الخامس الهجري كما قيل. كما أن مثل هذا البيع ليس بيعاً فاسداً كما كان السائد قديماً لدى علماء المذاهب الأربعة وليس عقداً جديداً كما تصوره أصحاب القول الجامع كما أنه ليس من مصاديق عقد الرهن كما تصوره بعض الحنفية.

وليس عقداً جائزاً من الطرفين بل هو عقد لازم وللبيع فيه أن يرد الثمن ويستعيد المثلثم ويتم انتقال ملكية العين والثمن إلى الطرفين وبالتالي يتبع النماء مالك العين أو الثمن.

### الامر الثاني: أشار الاستاذ الزرقاء في ورقته المقدمة لمجمع الفقه الاسلامي (الدورة السابعة)

إلى أن المعتاد في بيع الوفاء أن يكون الثمن أقل من قيمة المبيع بفارق كبير كما في الرهن. وقبل صدور القانون المدني المصري الجديد سنة ١٩٤٩م كانت عقود بيع العقارات بالوفاء في مصر تتضمن شرطاً أنه إذا لم يرد البائع ثمن العقار المبيع بالوفاء في الموعد المحدد ينقلب البيع باتاً فتم نهب العقارات الكثيرة وحصل ظلم كبير فراح واضعوا القانون الوضعي الجديد ينصّون على بطلان بيع الوفاء.

(١) تحرير الوسيلة: ٢ / ٥٢٢.

(٢) منهاج الصالحين: ٢ / ٤٣.

## من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

والحقيقة: هي أن فقهاء القانون الوضعي لهم أن يضعوا ماشاؤوا وحسابهم واضح. إلا أن الذي نريد التعقيب عليه هو أن تسمى عملية تحول العقد إلى بيع بات نهبا بعد أن تمت بكل رضا ورأينا أنها تحمل كل مقومات العقد الصحيح. وقد حلت مثل هذه البيوع مشاكل كثيرة وفتحت مجالات التخلص من الربا بلا ريب دون أن تشكل غطاء له ولا نريد أن نبرر سوء تصرف البعض من الأغنياء واستغلال حاجة الضعفاء، فإذا رأى الحاكم الشرعي ذلك كان له أن يتدخل في مثل هذه الموارد فيصدر بمقتضى ما يملكه من سلطات أمراً بوضع تحديدات معينة تمنع من سوء الاستغلال.

### الامر الثالث: الآثار الاقتصادية لبيع الوفاء

نعتقد - على ضوء ما سبق - أن هذا العقد يمكنه أن يشكل سبيلا شرعيا للتخلص من الربا وآثاره التخريبية فهو يحدث برغبة من كل من طرفي العقد في الانتفاع بما لدى الطرف الآخر، فالبائع بحاجة للتصرف في الثمن لسد حاجة من حاجاته من جهة فيتم العقد ولا يشعر حينئذ بأنه يدفع شيئا لقاء حصوله على الثمن ثم هو يحتاط كثيراً في تصرفه لئلا يفقد ما باعه ببيع الوفاء ليتمكن التسديد حين سعيه لرد العين، والمشتري بحاجة للاستفادة من العين المباعة والانتفاع بمنافعها مع ضمان تام لعودة رأسماله المدفوع في المدة المشترطة بل لعله أيضا يتقرب استقرار البيع عليه عند انقضاء تلك المدة وهذا مما يشكل حافزاً قويا للاقدام على التعامل.

وهكذا نجد الدوافع متكافئة والاقدام طبيعيا على مثل هذا العقد دونما حاجة للولوج في الربا المحرّم وعلى هذا فإنّ هذا العقد يمكنه أن يشكل أحد العقود التي يمكن للبنك اللاربوي أن يتعامل بها إلى جانب عقود المضاربة والمزارعة والمساواة والشركة والاجارة بشرط التملك وغيرها.

وكلّما أمكننا أن نوسع من دائرة العقود المشروعة أمام البنك استطعنا أن نعطيّه بل ونعطي المتعاملين معه الفرص الأكثر لاختيار البدائل الأفضل.

حضور وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية  
في

مجمع الفقه الدولي

أفادنا سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ التسخيري الامين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالتقرير التالي عن حضور وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية في مجمع الفقه الاسلامي الدولي للفترة بين ٦ - ١١ - ذي القعدة - ١٤١٢ هـ. ق (١٩٩٢ م).

تشكيلة الوفد :

كان الوفد مشكلاً من سماحة آية الله المؤمن وسماحة حجة الاسلام الشيخ حسن الجواهري وكنت بصحبتهما.

مجمع الفقه الاسلامي الدولي يمتاز بما يلي :

اولاً - له أثر كبير على مستوى العالم الاسلامي بالاضافة الى أن قراراته - مبدئياً - لها صفة الإلزام للمسؤولين في العالم الاسلامي.  
ثانياً - يضم ممثلين فقيهين عن كل الدول الاسلامية تقريباً بالاضافة لكبار الخبراء في هذا المجال.

ثالثاً - مجمع كل المذاهب الاسلامية.

رابعاً - يحمل شعار حرية الاجتهاد وعدم التقيد بمذهب معين ويعمل على تحقيق اجتهاد جماعي.

وهذه الامتيازات تجعله المجمع الوحيد الذي يملك هذا المقام.

## نشاط الوفد

شملت نشاطات الوفد الامور التالية :

- ١ - المساهمة بخمسة مقالات حول: (عقد الاستصناع، البيع بالتقسيط، بيع الوفاء، الغزو الفكري، العلاقات الدولية)، وقد شملت محاور كثيرة مما سبق.
  - ٢ - مسؤولية عرض كل المقالات في بحث (الحقوق الدولية في الاسلام) وابداء الرأي فيها.
  - ٣ - الاشتراك في لجنة متخصصة لصياغة القرار حول العلاقات الدولية في الاسلام واقتراح عقد ندوة في ذلك وقد تمت الموافقة عليه.
  - ٤ - اللقاءات الجانبية بمختلف الشخصيات الفكرية والفقهية والحديث حول شتى المواضيع ومنها مسائل الخلاف بين السنة والشيعة، وفتوى (الجبرين)، ولزوم مراجعة كل فريق لفقه الفريق الاخر، بالاضافة لطرح بعض القضايا السياسية للعالم الاسلامي اليوم.
  - ٥ - كانت للوفد مداخلات موفقة في مختلف المواضيع واستطاع ان يترك اثراً لا بأس به ويعطي تصحيحاً للمنهج أحياناً.
- وكمثال على ذلك، لنلاحظ ما جاء في احد المداخلات، فقد جاء فيه ما مضمونه :

## تعليق :

هناك نقاط نرغب طرحها كملاحظات وهي :

### النقطة الاولى :

- ١ - لاحظنا في الفترتين الماضيتين استناداً متواصلاً لقواعد لم يتقح معناها بعد، من قبيل (لا تبع ما ليس عندك)، فهل هو النهي عن كل ما لا يقع تحت الملكية او هو بخصوص الاعيان الشخصية التي هي في ملك الاخرين، فلا يشمل البيع بالصفة أو ما يعبر عنه ببيع الكلي في الذمة. وهل هو نهى معلل حتى إذا اطمأننا من عدم ترتب المحذور ارتفع النهي وعاد نهياً تنزيهياً، كما يقول ابن الرشد، وكذلك من قبيل النهي من بيع الكالي بالكالي؟ فهل نستند الى هذا النص رغم ضعف سنده ونجبره بعمل الاصحاب والعلماء؟ وهل نفسره بالمنع من بيع الدين بالدين؟ وإذا كان كذلك فما معنى بيع الدين بالدين هل المراد منه بيع دين قائم بدين قائم قبل البيع فلا يشمل بيع الدين بعقد ينشئ ديناً جديداً؟

## تقرير

وكذلك من قبيل دفع الثمن نقداً في بيع السِّلَم. فهل يمكن تأخيرهِ الى ثلاثة ايام عند الاشتراط والى اكثر منها اذا لم يشترط؟ بل دعنا نقول هل ينحصر البيع بالنسيئة والسِّلَم والبيع النقدي ام اننا نستطيع تصور بيع يتاجل فيه الثمن والمثمن بشكل طبيعي وما الدليل على انحصار الآنف الذكر؟ هل يمكن بيع الدين لمن ليس عليه الدين؟ وقد قال به المالكية بشروط ثم هل يجوز البيع المعلق، أو يشترط التنجيز؟

ثم ان الفرر او الجهل تكرر الاستناد اليه. ولكن ينبغي التأكيد على انه ليس كل جهل مضراً. فالجهل بنتائج المزارعة والمساقاة والمضاربة لا يضر، والجهل المتسامح به عرفاً لا يضر، فلا يعلم مثلاً كم عدد المرات التي يستفيد منها المؤمن، والجهل بتوابع العقد لا بمصبه لا يضر مادامت هناك خيارات تصلح الامر، كخيار العيب وخيار الرؤية وخيار الوصف وما الى ذلك. كل هذه بحوث يجب أن تنقحوها أولاً ثم تنطلقوا للبناء عليها وهذا ما لم تفعلوه مع الاسف.

### النقطة الثانية:

الاحظ أن السادة العلماء يكفيهم أن يصلوا الى قول لامام او مذهب ليبرروا آراءهم وهذا أمر غير منهجي ولا ينسجم مع الاجتهاد الحر الذي ندّعيه والذي يعني ان نستعرض الآراء كلها ونرجح الرأي بدليل شرعي مقبول، وهذا يقتضي العودة الى الادلة الاولية (القرآن والسنة) بكل ما لهذين من لوازم لنعرف منها الدليل الواضح.

### النقطة الثالثة:

ثم ان الملاحظ ان أهل كل مذهب يكتفون بما لديهم من أحاديث وأقوال دون الرجوع الى كتب المذاهب الاخرى، واذا توسعوا رجع اهل السنة الى كتبهم والامامية الى كتبهم فقط، وهذا امر خاطي، فالكل تراث إسلامي ويجب أن يطلع المجتهد على كل ما جاء من نصوص من مختلف الكتب حتى يطمئن الى الرأي الذي انتهى اليه من الطرق الصحيحة.. انني انتقد هذا المنهج بكل صراحة وأرى انه يفرط بالتراث الاسلامي الضخم.

وختاماً نطرح هنا بعض المقترحات:

١ - اشرنا الى اهمية هذا المجمع وحضورنا فيه ونضيف هنا أنَّ ممثلي الجمهورية



الاسلامية الايرانية هم وحدهم الذين يعرضون الفكر الامامي هناك، ولكن هذا الفكر ينتشر بين مختلف الدول وي طرح بشكل علني فيبصر المبصرون عمقه وسعته ومنطقته، وهذا المعنى له أثره الكبير في نشر الفكر الاصيل.

الأ أن هذا المعنى يجعلنا امام مشكلة كبيرة، فالأكثريّة الساحقة ليست معنا ولها مصطلحاتها وأسلوب تفكيرها ومنهجها المستقل في الاستدلال مما يجعل الطريق صعبا. هذا بالإضافة الى قلة الفرص الممنوحة وسعة الفقه الامامي وتنوع الآراء فيه مما يجعل الامر شاقا وعسيراً.

هذا بالإضافة الى أن هذه المسائل المستحدثة غير مبحوثة تقريبا ولذا نقترح مايلي :  
اولا - تشكيل مجمع فقهي يهتم بدراسة المسائل المستحدثة باستمرار.  
ثانيا - تشكيل لجنة تقوم بدراسة كل هذه المواضيع المطروحة واعداد الدراسات المستمرة فيها.

ثالثا - توسعة الوفد المرسل للجمع بشكل خبراء، شريطة أن يكونوا فقهاء قادرين على التكلم باللغة العربية جيدا وعارفين باصول هذه المؤتمرات.

ثالثا : قرر المؤتمر عقد ندوة موسعة لإعداد لائحة للحقوق والعلاقات الدولية في الاسلام. وهذه ندوة اقترحتها الجمهورية الاسلامية الايرانية في دكا وأكدها في هذه الملتقى. وأعتقد أنها ندوة مفيدة خصوصا بعد ملاحظة انعقاد ندوة سابقة عن الحقوق الإنسان في الاسلام. كما تقرر عقد ندوة حول حقوق الأطفال كما يصورها الاسلام.

ولذا فأني اقترح أن تتبنى الجمهورية الاسلامية عقد هذه الندوة في طهران.  
رابعا : ان من المناسب ان تقوم لجنة الموسوعة الفقهية باعداد كتاب مقدمات توضح فيه المصطلحات الشيعية الفقهية والاصولية مع بيان مايقابلها من مصطلحات الفقه السني فانه كثيراً ما لا يفهم الفقهاء منهم ما نقول نتيجة اختلافات المصطلحات.

## من وجهة نظر الامام الخميني قدس سره

(١)

### بناء الانسان أساس بناء المجتمع

الاستاذ عبد اللطيف عبادة

الجزائر

#### مقدمة

يصعب الإمام بفكر إمام مجدد - مثل الإمام آية الله العظمى الموسوي الخميني طيب الله ثراه ورضي عنه - في عجلة قصيرة كهذه. أجل يصعب ذلك؛ وقد أصبح الإمام رمزاً إنسانياً عالمياً بمستوى ما يحمل من رسالة حضارية كونية تستهدف انقاذ البشرية جمعاء من ظلمات الكفر والجهل والفساد والتبعية والاستعباد، وإخراجها إلى نور الإسلام والعلم والفضيلة والتحرر وخلافة الله على الأرض. غير أن عمق وشمول فكر الإمام واصطبائه بالصبغة الإسلامية الأصيلة وخلوه من اللفظية والرومانسية اللتين يصطبغ بهما الفكر الإسلامي الحديث، كل ذلك شجعني على المضي قدماً.

#### ١ - أساس النصر والفشل:

فهو يهدف قبل كل شيء إلى تغيير الإنسان وتزكية نفسه. ذلك «أن جميع الانتصارات والهزائم تنطلق من الإنسان، الإنسان أساس النصر وأساس الفشل. ما يحمله الإنسان من أفكار

وتصورات هو أساس كل شيء<sup>١</sup> لذلك يطلب الإمام من كافة الشعب أن «يغيروا ما بأنفسهم... يغيروا نفسياتهم التي كانت لهم في زمن الطاغوت الى نفسيات اسلامية»<sup>٢</sup> وكان ذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>٣</sup>.

## ٢- ضرورة تحقيق النمط الاسلامي للحكم:

ويهدف ثانياً الى إرساء قواعد ثورة شمولية تمس كيان المجتمع كله. لذلك يطلب «من الحكومات أن تطهر البقية الباقية من النظام الطاغوتي التي امتدت جذورها في جميع شؤون البلاد، وذلك بالاستقلال والعزم والفكر، دون خشية من الغرب والشرق، وأن ينفضوا عن المؤسسات النمط النمط الغربي والصبغة الغربية ويتحلوا بالنمط الاسلامي، ويظهروا للعالم العدالة الاجتماعية والاستقلال الثقافي والاقتصادي والسياسي»<sup>٤</sup>.

ويطلب ايضاً من المشرفين على الحكومة الاسلامية أن يبينوا للناس: «برامج الاسلام في حكومته، وضّحوا ذلك للعالم، فلعل حكام ورؤساء المسلمين أن يقتنعوا بصحة هذا ويتبعوه، ونحن لاننافسهم على الكراسي، بل تترك من كان منهم تابعاً وأميناً على التنفيذ في مكانه. علينا أن نشكل الحكومة الأمينة التي يركن الناس إليها ويشقون بها، ويسلمونها أمورهم كلها. نحن نريد من ينهض بالأمر بأمانة واخلاص ليعيش الناس في ظل حكمه آمنين واللّٰه يعلم أنّ أهليّتكم وجدارتكم لتولي أمور الناس لا تنقل عن الآخرين، سوى أننا لانملك الإقدام على القتل بغير حق، وعلى الجور والتعسف لأن ذلك ليس من اختصاصنا»<sup>٥</sup>.

وبشأن الاعتناء بالطبقات المحرومة يقول: «وأوصي الجميع بالسعي من أجل رفاه الطبقات المحرومة؛ إذ خير دنياكم وأخراكم في الاهتمام بحال محرومي المجتمع الذين كانوا طوال تاريخ سيطرة النظام الشاهي وسيطرة الخوانين في مشقة وعذاب. وما أحسن تطوع

(١) توجيهات الامام الخميني إلى المسلمين. ترجمة محمد جواد المهري. اصدار وزارة الارشاد الاسلامي. طهران. ط. ١٤٠٣ هـ. صفحة ٢٤٧.

(٢) ن.م. صفحة ٢٠. (٣) سورة الرعد الآية ١١.

(٤) توجيهات. صفحة ٢٧.

(٥) آية الله الخميني. الحكومة الاسلامية. دار الطليعة بيروت ط. ١٩٧٩م. صفحة ١٣٥ و١٣٦.

## دراسات

ذوي اليسار لبناء مساكن لسكنة الأكواخ والصرائف وتوفير سبل الرفاه لهم، وليثقوا أن في ذلك خير الدنيا والآخرة، وليس من الانصاف أن يفقد فرد المأوى وأن يملك فرد آخر الابنية السكنية.<sup>١</sup>

وبكلمة موجزة أراد الإمام أن يصطبغ المجتمع كله بصبغة الاسلام: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾<sup>٢</sup>.

### ٣- ضرورة الوحدة والثورة على الظالمين :

ويهدف ثالثاً إلى تحسيس المسلمين بضرورة الوحدة والثورة على الظلم وإمامة المستضعفين إذ تتكامل قضيتا المسلمين والمستضعفين لطرد المستكبرين من مسرح التاريخ. ولذلك كان نداؤه «يا مسلمي العالم، يامستضعفي الأرض... هيا الى النظام الذي جاء من قبل الله تعالى لنموكم وتكاملكم، ولساعدكم في الدنيا والآخرة، ولإزالة الظلم وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم، ولأجل التربية والتعليم الانسانيين، ولأجل حرية واستقلال أقطاركم»<sup>٣</sup> كان مطابقاً للوعد الإلهي وللسنة الإلهية كما ورد في القرآن الكريم: ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾<sup>٤</sup>. «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها»<sup>٥</sup>.

ولذلك يوصي الإمام المستضعفي العالم والبلدان الإسلامية ومسلمي العالم بما يلي: «انهضوا واستعيدوا حقكم بكل ما تملكونه من قوة.. واطردوا من بلدانكم الحكام المجرمين.. سيروا حثيثاً نحو إقامة دولة اسلامية بنظام جمهوري حر مستقل، فبتحقق ذلك سوف تلقموني مستكبري العالم حجراً، وسوف توصلون كل المستضعفين إلى إمامة الأرض ووراثتها. على

(١) الامام الخميني صحيفة الثورة الاسلامية نص الوصية الالهية السياسية للإمام. مترجمة.

(٢) سورة البقرة. الآية ١٣٨.

(٣) الإمام الخميني. مختارات من أقوال الامام الخميني. الترجمة العربية وزارة الارشاد الاسلامي طهران.

(٤) سورة القصص الآية ٥.

١٤٠٢ هـ. الجزء ٤. صفحة ١١٤.

(٥) سورة الاعراف الآية ١٣٧.

أمل تحقق ذلك اليوم الذي وعد به الله تعالى.<sup>١</sup> إن هذه الثورة الثلاثية الأبعاد - مثلها مثل نظيرتها منذ صدر الإسلام - انطلقت من المسجد فكانت مباركة وكانت آثارها طيبة بإذن الله على أوضاع إيران الداخلية وعلى الصحوة الإسلامية بأسرها. «إن المسجد هو الذي أوجد القوة الموحدة ضد الكفار والمشركين... وانتم مسجديون لابد أن تبنوا المساجد على أساس الاسلام والحركة الإسلامية لأجل قطع أيادي الشرك والكفر ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين.»<sup>٢</sup>

#### ٤ - الاسلام دين السياسة:

لقد كان شغل الإمام الشاغل إعادة ربط الإسلام بواقع المسلمين الاجتماعي والسياسي. لذلك صب جام غضبه على أولئك الذين «أبعدوا الاسلام عن السياسة، فقطعوا رأسه وسلموا لنا بقيته وجرونا إلى الوضع الذي نعيشه اليوم، ومادام المسلمون على هذه الحالة فلن يستعيدوا مجدهم.»<sup>٣</sup>

#### ٥ - كيف فصل الدين عن السياسة:

ويؤكد من جهة أخرى أن المؤسسات الاستعمارية هي التي «وسوست في صدور الناس أن الدين لا يلتقي مع السياسة. علماء الدين ليس عليهم أو ليس لهم أن يتدخلوا في الشؤون الاجتماعية. ليس من حق الفقهاء أن يعملوا لتقرير مصير الأمة. ومن المؤسف جداً أن بعضنا صدق بتلك الأباطيل، وقد تحقق بهذا التصديق أكبر أمل كانت تحلم به نفوس المستعمرين.»<sup>٤</sup> ويفضح مكر الماكريين من أبناء جلدتنا الذين ألقوا «في روعكم أن السياسة خبيث ومكر ودهاء، ليصرفوكم عنها، وليبعثوا بامور الأمة ماشاءت لهم أنفسهم، ولينفذوا ما يريدون بوحى من سادتهم الانكليز والأمريكان الذين تزايد نفوذهم في بلادنا في الآونة الأخيرة.»<sup>٥</sup>

(١) صحيفة الثورة الاسلامية صفحة ٥٨.

(٢) توجيهات. صفحة ٣١.

(٣) من حديث الإمام القائد إلى الطلبة السعوديين المقيمين في إيران ٢٤ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ. نقلاً عن دور الحج في المسيرة التاريخية لمحمد علي حسين. قسم الاعلام الخارجي لمؤسسة البعثة. طهران ١٤٠٢ هـ. صفحة ٤٤.

(٤) الحكومة الاسلامية. صفحة ١٣٨.

(٥) ن.م. صفحة ١٣٦.

## دراسات

ويذكرنا مراراً وتكراراً بأن «كثيراً من الأحكام العبادية تصدر عنها معطيات اجتماعية وسياسية. فعبادات الاسلام عادة تؤام سياساته وتدابيره الاجتماعية، فصلاة الجماعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة تؤدي -بالاضافة إلى ما بها من آثار خلقية وعاطفية - إلى نتائج وآثار سياسية، استحدثت الاسلام هذه الاجتماعات وندب الناس إليها والزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية وتعم العواطف الأخوية والتعارف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشاكل السياسية والاجتماعية وحلها»<sup>١</sup>.

فالمسلمون الأوائل الذين كانوا يسرون على تعاليم القرآن وهدي السنة الشريفة كانوا أوفر حظاً منا في جني أحسن الثمار من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجهم. وفي هذا المعنى يقول رائد نهضة الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس: «فعلى أهل العلم أن ينفخوا في المسلمين روح الاجتماع الثوري في كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم حتى لا يستبد بهم مستبد ولا يتخلف منهم متوان، وحتى يظهر الخاذل لهم، ممن ينتسب إليهم فينبذ وي طرح ويستغنى عنه بالله وبالمؤمنين»<sup>٢</sup>.

وينحو الامام باللائمة على الدول والبلاد الاسلامية: «فلو أنها بدل اعتمادها على الشرق والغرب اعتمدت على الاسلام.. ووضعت تعاليم القرآن النيرة التحررية نصب اعينها وعملت بها، لما أصبحت اليوم أسيرة الصهاينة المعتدين، مرعوبة بالفاتنوم الأمريكية ولعبة بيد السياسة السوفياتية الشيطانية... قوموا من أما كنكم، واحملوا القرآن الكريم بأيديكم واخضعوا لأمر الله تعالى لكي تعيدوا مجد الاسلام العزيز وعظمته، قوموا لله جميعاً قياماً فردياً لمواجهة جنود الشيطان في باطنكم، وقياماً جماعياً أمام القوى الشيطانية، فإذا كان القيام إلهياً وكانت النهضة لله فإنها منتصرة»<sup>٣</sup>.

(١) من محاضرات الإمام في منقاه بالنجف الأشرف عام ١٣٨٩ هـ. نقلًا عن كتاب دور الحج السالف الذكر. صفحة ٣٥.

(٢) الإمام عبد الحميد بن باديس. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. دار البعث فسنطينة. ١٤٠٢ هـ. صفحة ٢٢١.

(٣) نقلًا عن الإمام الخميني (قدس سره) تجسيد الخلق الاسلامي للسيد فاضل النوري. مطبعة العلامة الطباطبائي طهران. ١٤١٠ هـ. صفحة ٦٥.

## ٦- الوحدة رمز النصر:

بالإضافة إلى إعادة ربط الاسلام بالسياسة وإلى ربط واقع المسلمين بمصدر قوتهم السماوي القرآن الكريم، يوصي الامام الشعوب والمجتمعات الاسلامية واتباع مبدأ التوحيد بوحدة الكلمة ونبذ الخلافات: «ان سبب كل المشاكل في البلاد الاسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم التعاون، ورمز الانتصار هو وحدة الكلمة وايجاد التعاون طبقاً لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾<sup>١</sup>، «كونوا جميعاً للاسلام وتوجهوا إلى الاسلام ولصالح المسلمين، وابتعدوا عن التفرقة والخلاف الذي هو أساس كل مشاكلنا وتخلفنا»<sup>٢</sup> «أيها المسلمون وأيها المستضعفون في العالم: تعاضدوا وتوجهوا إلى الله العظيم والجأوا إلى الاسلام وانتفضوا ضد المستكبرين ومتهكي حقوق الشعوب»،<sup>٣</sup> «علينا جميعاً أن نجتمع تحت لواء الاسلام وتحت راية الاسلام، ولكن ليس على سبيل الشعار بل على سبيل الحقيقة والواقع»<sup>٤</sup>

يولي الإمام وجهه دائماً شطر صدر الاسلام ويوصي المسلمين بذلك: «يا مسلمي العالم! ماذا دهاكم؟! لقد استطعتم في صدر الاسلام بعددكم القليل أن تحطموا القوى الكبرى، وتشيدوا صرح الأمة الاسلامية العظيمة، والآن.. أصبحتم أدلة ضعفاء»<sup>٥</sup>.

## ٧- المؤامرة ضد القرآن:

ويشير الإمام في وصيته القيمة بأسف كبير إلى المؤامرة التي حاكها اعداء الأمة وطواغيتها ضد القرآن فقصروا دوره على «التلاوة في المقابر ومجالس الأموات، وبدل أن يكون وسيلة جمع المسلمين والبشرية ونهج حياتهم، أصبح وسيلة تفرقة واختلاف، أو أنه أخرج من الساحة نهائياً» ويدعون الإمام إلى اعتبار القرآن «اعظم وصفة انقاذ للبشرية من جميع ما يكبل يدها ورجلها وقلبها وعقلها من قيود ويدفعها نحو الفناء والإبادة والزقيّة والخضوع للطواغيت»<sup>٦</sup>.

(٢) توجيهات. صفحة ١٠٥.

(٤) ن.م. صفحة ٢٣٨.

(٦) الوصية صفحة ١٠٩.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٣) ن.م. صفحة ١١٠.

(٥) ن.م. صفحة ١١٠.

## دراسات

ولا يرى بداً من التساؤل «لماذا لا يطبق المسلمون آيات القرآن الكريم؟ ولماذا لا يعتنون بالأحاديث النبوية الشريفة التي جاء فيها: «المسلمون يد واحدة على من عاداهم».<sup>١</sup>

### مواصفات الفكر الاجتماعي للإمام:

إن فكر الإمام الاجتماعي شامل بقدر ما هو عميق، ويصور الحلول الناجمة لمشاكلنا بقدر ما هو أصيل مبني على القرآن والسنة وسيرة السلف في صدر الاسلام والعبرة الأطهار، ويتوخى الفعالية بقدر ما يتوخى الوفاء لمنايع الاسلام وأصوله. ويهدف فكر الإمام إلى استنهاض الهمم ونفث الروح من جديد في جسم الأمة التي كادت تصبح جثة هامدة: «يا مسلمي العالم الغياري استيقظوا من سبات الغفلة وحرروا الإسلام والبلدان الاسلامية من مخالب المستعمرين وعملائهم»<sup>٢</sup>

وحتى يستيقظ عامة الناس يجب أن يستيقظ طليعتهم، وفي هذا الصدد يقول الامام: «قيادة الأمة إلى الصلاح، ومعرفة الاسلام على وجهه الصحيح، تستلزم صلاح أهل العلم وحملة الشريعة.. وطردها الفقهاء القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا، وابعادهم عن زيننا، وتعريتهم وفضح أعمالهم».<sup>٣</sup>

وأغراني على مواصلة هذا المجهود المتواضع فقرة تكاد تكون جامعة مانعة لمضمون فكر الإمام الخميني (ر) وأعجب ما فيها إيجازها الشديد ودقة تعابيرها وشمولها لكل المحاور الارتكازية لفكره. وردت هذه الفقرة في كتاب «دروس في الجهاد» في شكل وصية توجه بها الإمام إلى الشباب المسلم: «يجب عليكم - اتم شباب الاسلام الواعي وأمل امتكم الاسلامية - توعية الجماهير وفضح أدوار المستعمرين وخططهم المشؤومة. ابذلوا مزيداً من الجهد في سبيل معرفة الاسلام وأدرسوا تعاليم القرآن المقدسة جيداً، وطبقوها، وزيدوا من سعيكم واخلاصكم من أجل نشر الاسلام وأهدافه الكبرى وتعريف الأمم الأخرى بها ومزيداً من الاهتمام بمسألة الدولة الاسلامية والمسائل المتعلقة بها... كونوا مهذبين ومدربين... اتحدوا

(١) نقلاً عن صوت من أقصى المدينة لمحمد علي حسين مؤسسة البعثة طهران ١٤٠٢ هـ. صفحة ٣١.

(٢) نقلاً عن الإمام الخميني. تجسيد الخلق الاسلامي السالف الذكر. صفحة ٦٤.

(٣) الحكومة الاسلامية صفحة ١٣٢.



وتنظموا ورضوا صفوفكم، واسعوا لتكوين الانسان المضحى المتوافق معكم فكراً.<sup>١</sup>

### اسس الانقلاب الاجتماعي :

يتفرع الانقلاب الاجتماعي الشامل حسب فكر الامام إلى ثلاثة فروع أساسية :

١ - تكوين الانسان المضحى بالرجوع إلى العلوم الاسلامية المستمدة من تعاليم القرآن المقدسة. ولا يقوم بهذه المهمة إلا اشخاص مخلصون في نياتهم متخلقون بأخلاق الاسلام ومتنورون بأنوار العلم الصحيح المستوحى من مصادره.

٢ - إحداث ثورة شاملة في بُنى المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مرجعها الاسلام.

٣ - إحداث ثورة عالمية عن طريق تبني قضايا المستضعفين ودحر المستكبرين وفضحهم وعلى رأسهم «الشیطان الأكبر» الولايات المتحدة الأمريكية، وعن طريق توحيد كلمة المسلمين حول مهمتهم الرسالية وقضاياهم العادلة وعلى رأسها قضية فلسطين وبها أولى القلبتين وثالث الحرمين وبها الأرض المباركة.

### تغيير الانسان واصلاح الأنفس :

إن استاذنا (مالك بن نبي) هو الذي قال هذه الكلمات منذ أكثر من عشرين سنة : «لاستطيع الثورة الوصول إلى أهدافها إذا لم تتمكن من تغيير الانسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته»<sup>٢</sup> ولعل كمال التغيير هذا هو الضالة المنشودة للامام في كل كتاباته. وقبل إبداء أى اقتراح بهذا الشأن يلاحظ الإمام مايلي :

١ - يسجل الإمام في البداية مسلّمة مفادها: أن منشأ جميع الهزائم والانتصارات هو الانسان نفسه وأن الانسان أساس الانتصار وأساس الهزيمة، وأن الايمان أساس جميع الأمور ومحركها. وبناء عليه يوجه خطابه إلى المسلمين في ايران ومن خلالهم إلى كل المسلمين في العالم فيقول : «إذا اعتقدتم أنكم لاتستطيعون إقامة الصناعات الكبيرة أو الصغيرة وصناعة

(١) الإمام الخميني. دروس في الجهاد. الترجمة العربية. منشورات فلسطين المحتلة. ايران ١٣٩٨هـ. صفحة ١٢٧.

(٢) مالك بن نبي. بين الرشاد والتبیه. ترجمة عمر مسقاوي. دارالفكر. دمشق ١٩٧٨م. صفحة ٤٦.

## دراسات

الأشياء التي كان الغرب يؤمنها لكم ولاتستطيعون تأمينها بأنفسكم. فعليكم أن تصلحوا أنفسكم أولاً وتعتقدوا أننا بشر ولدنا قدرة التفكير ولنا نحن أيضاً قدرة التصنيع. إنها قدرة موجودة بالفطرة في جميع أفراد النوع البشري.<sup>١</sup> ومن يطبق هذه التوصية يتخلص من دون أدنى شك يذكر من كل عقدة نقص وذهان استحالته<sup>٢</sup> كما يسميه أستاذي مالك بن نبي.

٢ - ويؤكد الامام أن عظمة الانسان تتعلق بروحه وأخلاقه وأفعاله لا بماله ومركزه الاجتماعي. ويستخلص بهذا الصدد العبرة كل العبرة من سير الأنبياء والسلف الصالح في صدر الاسلام.<sup>٣</sup> ويلح أيضاً على ضرورة المطابقة بين الأقوال والأفعال، بين السلوك والقيم الاسلامية والأخلاقية<sup>٤</sup> كما أكد ذلك القرآن الكريم.

٣ - وإجابة عن السؤال «كيف يرقى الانسان من حضيض شهواته ونزواته وأهوائه نحو الكمال المطلق؟» يوضح الامام أنه إذا كان الانسان سائياً لا عنان له يكون أكثر الحيوانات ضراوة وضرراً.. إذ لا يشيع الانسان شيء إلا أن يرى ويهذب ليصل بهذه التربية إلى منتهى المسيرة.. إلى الكمال المطلق، فإذا وصل تحصل له هذه الثقة، فالثقة هي حدود الوصول إلى الله الذي لا هادي سواه.<sup>٥</sup> «ولا يتيسر السبيل إلى الكمال المطلق ولا إلى الجلال والجمال اللامتناهيين» إلا ببذل التضحيات والزهد والمجاهدة من أجل المدرسة الالهية وعقيدة التوحيد.<sup>٦</sup>

٤ - ورداً على من يزعم بأن الاسلام دين عدواني يؤكد الامام: أن القلم والعلم والبيان هي التي تصنع الانسان لا الرشاشات وسائر القوى المدمرة. وهذا لا ينفي أهمية الجهاد في رد العدوان؛ واجتثاث بؤر الفساد، وجذور الطواغيت وصروح المستكبرين وحماية

(١) توجيهات. صفحة ٢٦٨.

(٢) ذهان إستحالته: اصطلاح مركب اطلقه الاستاذ مالك بن نبي للإشارة الى نوع من الانحراف في ادراك المصاب به يرى فيه استحالته حصول بعض الاشياء الممكنة... والذهان (psychosis): اصطلاح يستعمل في علم النفس للإشارة الى نوع من المرض العقلي، منه العضوي ومنه الوظيفي، والمقصود به هنا الثاني. (نقلاً عن «موسوعة علم النفس والتحليل النفسي» انجليزى - عربي / تأليف دكتور عبد المنعم الخفني صفحة ٥٦٤).

(٣) مختارات ٣ / ٤٩.

(٤) ن. م. جلد ٢ صفحة ٨٦.

(٥) ن. م. صفحة ٥١.

(٦) الوصية. صفحة ٥٨.

المستضعفين.<sup>١</sup>

٥- تنطلق التربية في الاسلام من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة» وهي فطرة الانسانية والصراط المستقيم والاسلام والتوحيد، والتربية إما أن تؤثر في تفتح الفطرة أو تمنع من نضجها، وهذه التربية هي التي توصل البلاد والعباد إلى الكمال المطلوب.<sup>٢</sup>

وبناءً على ما سبق يقترح الإمام ما يلي:

١- على الانسان أن يبدأ من نفسه فيلاحظ إنحرافات الشخصية إذ لاشك أن كل إنسان يرى في نفسه عيوباً... على الانسان أن يتربى وأن تكون تربيته بتزكية نفسه.<sup>٣</sup>

٢- يدعو إلى تزكية النفوس ومجاهدتها إذ لا يستطيع أن يربي غيره من لم يتمكن من تربية نفسه وبالعكس فإن المجاهد الواحد يستطيع أن يحكم أمة ويربها، ولقد كان الرسول انساناً كاملاً فاستطاع أن يهذب عالماً. وإن فاسداً واحداً يستطيع أن يفسد أمة، ويذكرنا الإمام بأن القرآن كتاب تربية الانسان، وبأن الاسلام يصنع الانسان، وبأن الطواغيت يخشون الانسان ويقاومون الاسلام لأنه مدرسة لتربية الانسان.<sup>٤</sup>

٣- يطلب من كافة الشعب أن يغيروا ما بأنفسهم، أن يغيروا نفسياتهم الموروثة من عهد الطاغوت إلى نفسيات إسلامية، مفعمة بمثل الخير وقيم الاسلام النبيلة.<sup>٥</sup>

٤- وحرصاً منه على جعل التعليم أساس البناء الحضاري يرى ضرورة جعله مرادفاً للتربية: تربية الانسان. ويجب أن يتوجه المعلمون حسب توجيهه إلى الله، ويكون عملهم لله وفي طاعته، إذ العلم في الاسلام من العبادات الكبرى، إذا كان التعليم من أجل الله وابتغاء مرضاته فإنه سيرتبي الأدمغة تربية إلهية وإن كان الأمر خلاف ذلك فإنه سيخرج للمجتمع أدمغة طاغوتية مغرورة.<sup>٦</sup>

٥- وعلى غرار علماء الأمة الذين أكدوا -على مر العصور الزاهرة- «أن المرء لا يكون عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً» يوصي علماء المسلمين بقوله: «كلما خطوتم خطوة علمية عليكم أن

(١) مختارات ٣ / ٢٧ و ٢٨.

(٢) ن.م. صفحة ٣٦.

(٣) ن.م. صفحة ٥٠.

(٤) توجيهات صفحة ١٢.

(٥) ن.م. صفحة ٢٠.

(٦) مختارات ٣ / ٣٠ و ٣١.

## دراسات

تقرنوها بخطوة في تهذيب النفس وإصلاحها واستئصال أهواء النفس الخبيثة وتنمية القوى الروحية واكتساب مكارم الأخلاق وتحصيل التقوى.. حاربوا هوى أنفسكم، يجب أن تظل هذه المحاربة مستمرة في بواطنكم وراقبوها وصونوها»<sup>١</sup>

هكذا يتضح لنا كيف ركز الإمام على مسألة تغيير الإنسان ليصبح إنساناً مضحياً مختلفاً في نفسه وقيمه وتصوراتهِ عن إنسان المجتمع الطاغوتي.

وقد لمسنا في نظريته هذه شبهة كبيرة مع ما أكدته استاذي [مالك بن نبي] الذي ذهب إلى أن نجاح الثورة مرهون بمدى نجاحها في تغيير الإنسان تغييراً جذرياً لا رجعة فيه. وإن الثورة لا تتم من تغيير الإنسان إن لم تكن لها قاعدة أخلاقية قوية.<sup>٢</sup>

ولا غرابة في التقاء المفكرين الكبيرين فكلاهما ينتمي إلى مدرسة النبوة، ينهل من مناهلها العذبة. ونحن نلمس في الواقع كيف نجحت الثورة الإسلامية في إيران في تغيير الإنسان ليتمكن من مواجهة الشيطان الأكبر وأذنا به بنجاح باهر بعد أن كان فريسة لأطماع الطواغيت. وعن قوة القاعدة الأخلاقية التي تركز عليها الثورة الإسلامية في إيران فحدث ولا حرج.

غير أن الإمام بقي دائماً وإلى أن وافته المنية يتوق إلى تحسين هذه القاعدة والمزيد من الجهود في المسير نحو معرفة الذات ونحو الاكتفاء الذاتي والاستقلال بكل أبعاده.<sup>٣</sup>

وخلاصة القول أن الإمام يهدف إلى تكوين الإنسان الإلهي، الإنسان المضحي، الإنسان الصحيح، الإنسان الكامل. لذلك نجده يستقرىء الكتب السماوية فيتضح له أنها ترمي كلها إلى الرقي بالإنسان - هذا الموجود الذي يحمل نوازع الشر والتدمير بين جنبيه - تحت إشراف التربية والتعليم الإلهي إلى أن يكون «أحسن الموجودات وأفضل الخلائق كلها، وكانت النهضة الإسلامية لنفس هذا الغرض، فإن جميع الأمور في الإسلام هي مقدمة لصنع الإنسان»

لو أطلق العنان لنزوات هذا الموجود؛ ذي الساقين؛ لجركل العالم إلى الفناء، وقد جاء الأنبياء للحد من غلوائه ولهداية البشر إلى الطريق الذي لو سلكه البشر لصاروا أناساً أصحاب

(١) نقلاً عن الإمام الخميني تجسيد الخلق الإسلامي. صفحة (٢٠ - ٢٣)

(٢) مالك بن نبي مرجع سابق. صفحة ٢١ و٤٦. (٣) الوصية. صفحة ٥٩.

كاملين «إذا أصبح هذا الموجود؛ ذو الساقين؛ موضع عناية وتربية، تحققت جميع حوائج البشر في الدنيا والآخرة... من هنا فإن جميع الأمور في الاسلام هي مقدمة لصنع الانسان...ولذا كان جميع الأنبياء معلمين، وجميع البشر طلبة. فالعالم كله جامعة واحدة، وجميع البشر طلبة «وواجب المعلم هداية المجتمع إلى الله» وواجب الطالب الاستقامة وبذلك يتكون مجتمع يتوجه كله إلى الله تبارك وتعالى ويسير الكل في طريقه، وإذا سار الكل في طريقه فسيكون الاقتصاد إلهياً، والثقافة إلهية والجيش إلهياً، والدرك إلهياً أيضاً، ويكون الطالب والمعلم الهيين أيضاً. فإما طريق الله أو طريق الطاغوت ولا ثالث لهما. وإن طريق الله طريق يجعل الانسان مهتدياً بكليته: بفكره وإرادته فإذا سار الناس على الصراط المستقيم فهم إلهيون. وكل من سلكه صار إلهياً وصار كل شيء فيه إلهياً: عمله وحركاته وتخيلاته وأفكاره وعلى العكس من ذلك فإن الانحراف ذات اليمين أو ذات اليسار هو طريق الطاغوت.<sup>١</sup> قال الله تعالى:

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.﴾<sup>٢</sup> وقال أيضاً: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾<sup>٣</sup>.

(٢) البقرة الآية ٢٥٧.

(١) مختارات ٢ / ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨.

(٣) الانعام. الآية ١٥٣.

## المستقبل الاسلامي لشعوب دول آسيا الوسطى

اسلوب نتجول من خلاله في عالم الواقع والافكار، يتم فيه استفهام عام للراء في مسائل محددة، يهدف الى إثارة إهتمام أبناء الاسلام ورجاله بما يجرى حولهم من احداث، وما يتداول في اوساطهم من أفكار وادوار لتظهر حصيلة ذلك على صفحات هذه المجلة.

### \* موضوع الاستطلاع:

شهد العالم في سنواته الاخيرة انهيار الايديولوجية الماركسية وتفكك الكيان السياسي لها والذي كان متمثلاً بالاتحاد السوفياتي السابق، وبروز ظاهرة العودة الى الدين لدى شعوبه، وفي المقدمة منها شعوب دول آسيا الوسطى ذات الغالبية الاسلامية. ولما لهذا الحدث من أثر بالغ واهمية كبيرة على مستقبل حركة الاسلام وموقع المسلمين في العالم من جهة، وحصول الاهتزاز الايديولوجي والسياسي لاسس الاتجاه المادي وقواعد الحركة العلمانية في دول اوربا ومن يدور في فلكها من جهة أخرى، رأينا أن يكون موضوع استطلاعنا لهذا العدد في دائرة هذا الحدث، ويمكننا تحديده بالسؤال التالي: كيف نقرأ المستقبل الاسلامي لشعوب دول آسيا الوسطى في مقابل التوجه الغربي لتحجيم الظاهرة الاسلامية فيها واحتوائها بعيداً عن صورتها السليمة؟ وهنا نقترح مثلاً لفهرسة موضوعية يتم تسطير الرؤية المطلوبة ضمنها كالاتي:

اولاً- اسباب انهيار الايديولوجية الماركسية.

ثانياً- شواهد بارزة تحكي التاريخ الديني لشعوب الاتحاد السوفياتي وخصوصاً الاسلامي منه لشعوب آسيا الوسطى.



## استطلاع

ثالثاً- مفردات المخطط الغربي وأدواته لتحجيم الظاهرة الاسلامية واحتوائها بعيداً عن صورتها الأصلية.

رابعاً- اساليب مواجهة المخطط الغربي، وطريقة ترشيد الظاهرة الاسلامية باتجاهها المحمدي الاصيل.

خامساً- مفردات الواقع الفعلي الحاكية عن تطلعات شعوب آسيا الوسطى.

\* ضوابط تراعى في بيان الرؤية وتسطيرها:

- ١ - تكتب الرؤية في كل مسألة باختصار غير مغل.
- ٢ - تدعم الرؤية في كل مسألة بالادلة والوثائق.
- ٣ - تذكر مصادر المعلومات المتضمنة في الرؤية.
- ٤ - ان لا تزيد مضامين الرؤية في كل مسائلها عن (١٥) صفحة مطبوعة - او ما في حكمها - من الحجم المتوسط.
- ٥ - ان تكون مكتوبة بخط مقروء.

\* تقدير للمشاركين:

ستقدم هيئة التحرير هدايا تقديرية لمن يشارك بافضل رؤية كالآتي:  
اولاً: اشتراك مجاني في مجلة رسالة الثقلين لمدة سنة واحدة لكل مشارك برؤية مقبولة.  
ثانياً: هدايا لافضل خمسة آراء.

\* وتجدون في هذا العدد من المجلة:

الترجمة العربية لرسالة الامام الراحل قائد الثورة الاسلامية ومؤسس جمهوريتها المباركة  
في ايران السيد الخميني «درس سر» الى رئيس جمهوريات الاتحاد السوفياتي جوزيف  
غورباتشوف مع مقدمة شرح حامل الرسالة سماحة آية الله الشيخ الجوادى الأملي، للاستهداء  
بها في تكوين الرؤية المطلوبة عن هذا الاستطلاع.

التحرير

## من حديث اهل البيت عليهم السلام

١ - محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبي حفص الأعشى عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه<sup>١</sup> فقد خان الله ورسوله<sup>٢</sup>.

٢ - ابن الصلت عن ابن عقدة عن أحمد بن يحيى المنذر عن الحسين بن محمد عن أبيه عن إسماعيل بن أبي خلف عن صفوان بن مهران عن أبي عبد الله «الامام الصادق عليه السلام قال:

أيتما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها عيّرهُ الله يوم القيامة تعبيراً شديداً، وقال له: أتاكَ أخوك في حاجة قد جعلت قضاها في يدك فمنعته إياها زهداً منك في ثوابها، وعزتي لا أنظر إليك في حاجة معذباً كنت أو مغفوراً لك<sup>٣</sup>.

---

(١) أي لم يبذل الجهد في قضاء حاجته ولم يهتم بذلك ولم يكن غرضه حصول ذلك المطلوب - عن بحار الأنوار: ٧٥ / ١٨٢.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٦٢.

(٣) أمالي الطوسي: ١ / ٩٦.



## من حديث اهل البيت عليهم السلام

٣ - الصدوق عن أبيه عن سعد عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن فرات بن احنف عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

أَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَنَعَ مُؤْمِنًا شَيْئًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ أَقَامَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْودًّا وَجْهَهُ مَزْرَقَةً عَيْنَاهُ مَغْلُولَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَيَقَالُ: هَذَا الْخَائِنُ الَّذِي خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ<sup>١</sup>.

٤ - روى الكليني بسنده عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد وأبي علي الأشعري عن محمد بن حسان جميعاً عن إدريس بن الحسن عن مصباح بن هلقام قال أخبرنا ابوبصير قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا اسْتَعَانَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ يَبَالِغْ فِيهَا بِكُلِّ جُهِدِهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ<sup>٢</sup>.

٥ - روى الكليني بسنده عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن بعض أصحابه عن حسين بن حازم عن حسين بن عمر بن يزيد عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مَنْ اسْتَشَارَ أَخَاهُ فَلَمْ يَمَحْضْهُ مَحْضُ الرَّأْيِ سَلَبَهُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَأْيَهُ<sup>٣</sup>.

٦ - عن الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن أحمد بن محمد بن عبد الله عن علي بن جعفر عن أبي الحسن «الامام الرضا» عليه السلام قال سمعته يقول: مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مُسْتَجِيرًا بِهِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ فَلَمْ يَجْرِهِ بَعْدَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ قَطَعَ وَلَايَةَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ<sup>٤</sup>.

(١) الخصال الممدوحة والمذمومة للشيخ الصدوق: ١ / ٣٣.

(٢) الكافي للكليني: ٢ / ٢٦٢.

(٣) الكافي: ٢ / ٢٦٣.

(٤) الكافي: ٢ / ٣٦٦.

## \* كتاب المناقب للخوارزمي

المؤلف: الموفق ابن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي.

طبع ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي.

عدد الصفحات: ٤١٢.

القطع: الوزيري.

تأريخ: ١٤١١ هـ. ق

الطبعة: الثانية.

### أهمية الكتاب:

ان كتاب «مناقب الامام أمير المؤمنين» المعروف بمناقب الخوارزمي يعتبر من المصادر العريقة المعتبرة عند السنة والشيعة في فضائل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام. وقد اكتسب شهرة عظيمة بين المحدثين. فرواه عدة من الاعلام عن المؤلف بلا واسطة كما نقله عنه عدة آخرون مع الواسطة. كالشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلبي، ومحمد علي بن شهر

---

(١) نسبة إلى مدينة خارزم من بلاد ماوراء النهر من خراسان، وتكتب بالواو وتقرأ بالآلف لا بالواو.

اشوب المازندراني والسيد ابن طاووس وابن الوزير اليماني وابن حجر العسقلاني، وغيره.

### حياة المؤلف وشخصيته:

ولد المؤلف في حدود سنة اربع وثمانين واربعمئة للهجرة (٤٨٤) هـ وتوفي بخوارزم في صفر سنة ثمان وستين وخمسماية للهجرة (٥٦٨) هـ

كان المؤلف فقيها غزير العلم، حافظا طائل الشهرة، محدثا كثير الطرق، خطيباً طائر الصيت، متمكناً في العربية، خبيراً في السيرة والتأريخ، أديباً شاعراً له خطب وشعر مدون. وله تأليف عديدة في الفضائل والتأريخ وردت اسمائها في المعاجم والكتب قضى الدهر على اكثرها ومنها:

- ١- رذة الشمس لأمر المؤمنين عليه السلام.
- ٢- الاربعون في مناقب النبي الأمين ووصيه امير المؤمنين عليه السلام.
- ٣- كتاب قضايا امير المؤمنين عليه السلام.
- ٤- الكفاية في علم الاعراب.
- ٥- فضائل الامام امير المؤمنين عليه السلام - المعروف بالمناقب.
- ٦- وله ديوان شعر ذكره الجلبلي في «كشف الظنون».

### موضوع الكتاب:-

يحتوي الكتاب على الاحاديث الواردة في فضائل امير المؤمنين عليه السلام ويشتمل ايضاً على بعض الجوانب من تأريخ حياته، وكان عدد الاحاديث الواردة في الكتاب حسب ترقيم المحقق (٤١٦) اربعمئة وستة عشر حديثاً. واليك تفاصيل الموضوعات والعناوين التي اوردها المؤلف في الكتاب:-

الفصل الاول:- في بيان أساميهِ وكناهه والقابهِ وصفاته عليه السلام.

الفصل الثاني:- في بيان نسبه من قبل أبيه وأمه.

الفصل الثالث:- في بيان ما جاء في بيعته.

الفصل الرابع:- في بيان ما جاء في اسلامه وسبقه إليه، وبيان مبلغ سنه حين

تقريف

أسلم.

الفصل الخامس:- في بيان أنه من اهل البيت.

الفصل السادس:- في محبة الرسول إياه وتحريضه على محبته ونهيه عن بغضه.

الفصل السابع:- في بيان غزارة علمه وانه اقضى الاصحاب.

الفصل الثامن:- في بيان ان الحق معه وانه مع الحق.

الفصل التاسع:- في بيان أنه افضل الأصحاب.

الفصل العاشر:- في بيان زهده في الدنيا وقناعته منها باليسير.

الفصل الحادي عشر:- في بيان شرف صعوده ظهر النبي (ص) لكسر الاصنام.

الفصل الثاني عشر:- في بيان تورطه المهالك وشراء نفسه ابتغاء مرضاة الله.

الفصل الثالث عشر:- في بيان رسوخ الايمان في قلبه.

الفصل الرابع عشر:- في بيان انه اقرب الناس من رسول الله وانه مولى من كان

رسول الله مولاه.

الفصل الخامس عشر:- في بيان أمر رسول الله إياه بتبليغ سورة براءة.

الفصل السادس عشر:- في بيان محاربته مردة الكفار ومبارزته ابطال المشركين

والناكثين والقاسطين والمارقين.

الفصل السابع عشر:- في بيان منازل من الآيات في شأنه.

الفصل الثامن عشر:- في بيان انه الاذن الواعية.

الفصل التاسع عشر:- في فضائل له شتى.

الفصل العشرون:- في تزويج رسول الله إياه فاطمة.

الفصل الحادي والعشرون:- في بيان انه من اهل الجنة، وان الجنة تشتاق اليه، وانه مغفور

الذنوب.

الفصل الثاني والعشرون:- في بيان انه حامل لوائه يوم القيامة.

الفصل الثالث والعشرون:- في بيان ان النظر اليه وذكره عبادة.

الفصل الرابع والعشرون:- في بيان شيء من جوامع كلمه وبوالغ حكمه.

الفصل الخامس والعشرون:- في بيان من غير الله خلقهم واهلكهم بسببهم إياه.

الفصل السادس والعشرون:- في بيان مقتله.

الفصل السابع والعشرون:- في بيان مبلغ نسبه وبيان مدّة خلافته وبيان ما جاء من الاختلاف في ذلك.

تحقيق واخراج الكتاب:-

قام المحقق الشيخ الفاضل مالك المحمودي بتحقيق واخراج الكتاب وبذل الجهود التالية في سبيل اخراج الكتاب بصورة فنية مضبوطة:

١- قابل المحقق نسخته مع نسختين مخطوطتين، احدهما نسخة مكتبة الوزير في مدينة يزد والاخرى نسخة المكتبة الرضوية في مدينة مشهد المقدسة.

٢- وقد قام ايضاً بتطبيق ما ورد في الكتاب من احاديث مع مصادرها في كتب الحديث.

٣- تصحيح رجاله حسب ماورد في الموسوعات الحديثية والكتب الرجالية.

٤- شرح مفرداته والتعريف بالاماكن الواردة فيه وترقيم احاديثه وتفسير مفاد الحديث فيما يحتاج اليه مع الاشارة الى مواضع الآيات في المصحف الشريف، وربما تستدعي صحة العبارة وجود لفظ في الحديث وهو غير موجود أشير اليه على وجه لا يختلط معه بالمتن ووضع بين المعقوفتين.

وقد تصدت مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة لطبع الكتاب ونشره بصورة رائقة فنية.

## سؤال وجواب

هذا باب مفتوح بين المجلة وقرائها، اختيرت له طريقة السؤال والجواب لما تتسم به من شدّ وجاذبية.

\*دواعيه:-



١- دور السؤال في تحريك الفكر واكتساب العلم.

٢- اشباع حاجة القراء في جانب من جوانب المعرفة.

٣- توفير الفائدة العلمية للقراء بواسطته.

٤- إحكام العروة وتمتين الصلة بين المجلة وقرائها من محبي الثقلين، والراغبين

في المزيد من التعرف على ابعادهما وأدوارهما وخيراتها.

٥- التنبيه الى جوانب من البحث وعناوين الموضوعات في المجلة، تُتلمّس حاجة

القراء الى طرحها ومعالجتها.

٦- تحفيز القراء على الفهم والمناقشة والتدقيق.

\*السؤال: وهو علامة الفكر الحي وباب المعرفة الأول:-

١- طبيعته:-

١- اما أن يتعلق بالمعرفة الانسانية والدينية.

## سؤال وجواب

- ب - أو ينطلق في آفاق الثقلين «القرآن وأهل البيت عليهم السلام».
- ج - أو يدور حول محور من محاور المجلة.
- د - أو ينصبّ حول موضوع من الموضوعات المطروحة في المجلة لاستجلاء نقطة أو استيضاح فكرة.
- هـ - أو يهتم بأي شأن من شؤون الاسلام والمسلمين.
- ٢- ضوابطه:-

- أ- الضوابط الفكرية:-
- ١- أن يتضح من السؤال أنه لطلب الحق.
  - ٢- تجنب موارد الإثارة السلبية وما به تفريق الامة.
- ب - الضوابط التعبيرية:-
- ١- أن يدور السؤال حول نقطة محددة.
  - ٢- ان يكون المقصود من السؤال جلياً بعبارة بعيداً عن الإجمال والغموض.
- ج - الضوابط الكتابية:-
- أن يكون مكتوباً بخط مقروء.

### \* الجواب:-

- ١- تلتزم المجلة بالإجابة عن اسئلة القراء المنطبقة على الضوابط المذكورة.
  - ٢- يختار من الاسئلة ما يعم نفعه وأهميته ليطرح في الباب.
  - ٣- يقوم بالجواب على الاسئلة علماء أعلام متخصصون.
  - ٤- يُجتهد في الجواب أن يكون مستوفياً للمطلوب دون إخلال أو إسهاب.
- \* دعوة اليك... ايها القارئ العزيز لطرح اسئلتك، فالمجلة مجلتك، وهي لك وبك ومعك، لنرتوي جميعاً من المنهل الصافي للثقلين، فنعسى أن نكون معهما في الدنيا والآخرة.
- التحرير

## دعوة خاصة لأصحاب الأقلام والفنون

ندعو الفنانين والكتاب المسلمين للإسهام في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام عن طريق مختلف الفنون: كالأفلام والقصص وامثالها في إطار الموضوعات التالية:-

- ١- اصول عقائد أهل البيت عليهم السلام من قبيل: ضرورة الإمامة، ولزوم الامام المعصوم للمجتمع الاسلامي والانساني، وما إلى ذلك.
- ٢- تاريخ حياة أهل البيت عليهم السلام.
- ٣- سيرة وفضائل أهل البيت عليهم السلام.
- ٤- سيرة أصحاب أهل البيت عليهم السلام وابتنائهم.
- ٥- علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- ٦- ثورات اتباع أهل البيت في التاريخ.
- ٧- شعائر اتباع أهل البيت وسائر السنن الشائعة في اجوائهم لإكرام أهل البيت عليهم السلام.

- ٨- انتظار فرجهم ودوره المعنوي والثوري.
- ٩- الجانب العلمي لأهل البيت عليهم السلام ودورهم في إحياء علوم الدين.



- ١٠- الجانب الاجتماعي والسياسي والجهادي لأهل البيت عليهم السلام.
- ١١- مكارم اخلاقهم وكراماتهم في حال حياتهم وبعد مماتهم في أساليب:-
  - أ- القصص والأفلام التاريخية أو الخيالية او لما يشبه ما وقع في ادوارهم لاستجلاء حقائق التاريخ المتعلق بهم.
  - ب - إعداد المواضيع التي يمكن إخراجها في الأفلام السينمائية، الطويلة أو القصيرة.
  - ج - الإعلان عن الاستعداد لأداء الادوار الفنية أو اخراجها.
  - د- التعريف بالأماكن والمواقع المناسبة لإعداد الأفلام السينمائية المذكورة.
  - هـ - الإعلان عن الإستعداد لكتابة السيناريوهات أو الافلام على اساس الأسناد والمواضيع التاريخية التي تقدم الى الكاتب.

### قسم دراسات الفنون الجميلة

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

# قراءة في العدد الماضي

\* ويشتمل الباب على نحوين من التقييم:-

- ١- التقييم الإجمالي لموضوعات العدد الماضي.
- ٢- التقييم التفصيلي لمختارات من موضوعات العدد الماضي.

\* ويهدف إلى:-

- ١- التواصل بين المجلة وقرائها من أصحاب الفكر والقلم.
- ٢- سبر قيمة ما يطرح في المجلة من موضوعات نوعاً وعمقاً وتأثيراً من خلال انعكاسه لدى زبدة القراء مما يساعد على تطوير المجلة والسير بها في مدارج التكامل.
- ٣- التعرف أو الاكتشاف للمواهب والطاقات والاستفادة منها لرفد المجلة.
- ٤- عرض الموضوع الواحد بوجهات نظر متعددة سيما على صعيد التقييم التفصيلي والإغناء التخصصي.

\* أما التقييم الاجمالي فمن جوانبه:

## قراءة في العدد الماضي

١- إبداء الرأي في المجلة تبويماً وإخراجاً وما يمكن أن يضاف ويطوّر على هذين الصعيدين.

٢- تقويم موضوعات المجلة عموماً من حيث المستوى والحجم واسلوب المعالجة.

٣- البراعة والابتكار في المضمون وطريقة العرض.

\* وأما التقويم التفصيلي فمن ركائزه:

١- اختصاص القاريء في مجال ما يعالجه على أن يتضح ذلك من خلال تناوله للموضوعات التي قرأها وناقشها.

٢- التزام الموضوعية واجتناب الجدل ما أمكن.

٣- إثراء الموضوعات المتناولة وإضافة الجديد والمفيد إليها.

\* دعوة وتثمين:

وإنّ المجلة إذ ترحب بما يفيض به يراع اهل العلم والفكر في كل مكان وتفتح ذراعيها لاستقبال مساهماتهم بقراءاتهم فإنّها ستثمن الجهد المبذول في التميز منها بما يناسب من المكافأة المائيّة. سائلين المولى سبحانه أن تظللنا جميعاً الظلال الوارفة للثقلين وتشملنا رحمته ورضوانه في الدارين.

## عَبَقُ الثَّقَلَيْنِ

أبو فراس

لا يزال عَبَقُ الخطاب الإلهي يذيع، وغمامة عطر تهمي، فإذا أرض الزمان تخصب،  
وإذا الأفق نديان يردّد ويفرّد:

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

وينطلق من أعماق وجدان الأمة تلهف ظاميء يستزيد ويستزيد: خبّزني أيها العَبَقُ

المحيي: ما محور الأمة الواحدة؟

فتنسكب دفقة أخرى من المعين الإلهي ترتل:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾

وينبض في عروق الأمة عطش وامق يبتهل:

ومن الأدلاء الهداة؟ تجتمع الأمة من حولهم فلا تتفرق، ويشدّون أو اصبرها فلا

تمزق؟

فإذا دفقة ثالثة يَأْرَجُ بها الأفق وهي تنادي:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾

ويتحرك في كيان الأمة توقّ وشوق يستشرقان ويستطلعان:

ومن أهل البيت؟

## خاتمة

فإذا كساءً يمانى تحمله راحة يطأطيء لها الكون، وخمسة تحت الكساء وسادسهم  
جبرائيل، وصوت نبوي يشرق ويغلق:

«هؤلاء هم أهل بيتي وخاصتي»

وينسكب صوت التشهد في صلاة كل مسلم يناغي ويناجي:

«اللهم صل على محمد وآل محمد»

وتلتحم الأمة، وتلتحم الصفوف، والبنیان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، وإذا فجر  
المسيرة ينبجج، وليل الكبر ينسحق والمآذن في كل مكان يتجاوب فيها نداء:  
«الله أكبر».

وحجر في فلسطين.. وحزام نأسف في لبنان.. فحضارة تولد.. وبغي يوءد..  
ومن مشرق أرض الإسلام إلى مغربها ينهل عبق عالم من التدوين، ليزهر عالم من  
التكوين.

إنها الأمة الواحدة في المسيرة الواعدة، وقد انتقش في البصر منها والبصيرة:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

فعين رسول الله - حبيب الله - بها قريرة، ترعن المسيرة، وهو الشاهد على الشهداء:

«فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً».

# انا لله وانا اليه راجعون

بمزيد من الأسى والأسف - والمجلة ماثلة للطبع والنشر - نُشر خبر وفاة المرجع الاسلامي الكبير، زعيم الحوزة العلمية وصاحب المدرسة الفقهية الاصولية الحديثة آية الله العظمى المجاهد الكبير السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي «رضوان الله تعالى عليه» في النجف الأشرف في العراق.

وبهذه المناسبة الأليمة نرفع تعازينا إلى ولي العصر الحجة بن الحسن «عجل الله فرجه»، وإلى ولي أمر المسلمين آية الله السيد علي الخامنئي «حفظه الله»، وإلى علمائنا ومراجعنا العظام وكافة المسلمين في العالم الاسلامي ولاسيما اتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

لقد كان عمره الشريف - رغم كل المحن والفتن وكيد الطغاة الذي استقبله بصبر وأناة - زاخراً بالعلم والعطاء الغزير في أبواب المعرفة الاسلامية العالية، وكان بحق نموذجاً فريداً في تاريخ علماء اهل البيت العظام.

نبتهل إلى الله العزيز الحكيم أن يخلف عليهم وعلى الحوزات العلمية بخير خلف يسد الثلمة ويعلي الكلمة انشاء الله تعالى.

هيئة تحرير مجلة رسالة الثقلين

المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام

الاسم .....			
العنوان .....			
المدينة .....			
البلد .....			
المهنة .....			
مدة الاشتراك .....	٢٠٠٠	٤٠٠٠	<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية
ابتداء من .....	في ايران (بالريال)		
عدد النسخ .....	١٥	٣٠	<input type="checkbox"/> باقي دول العالم (بالدولار)
	(او مايعادله)		

يرافق اشتراكي: ☐ صك صك بريدي بحواله بريدي  
 أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى احد العنوانين التاليين:  
 الجمهورية الاسلامية في ايران . قم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٩٤  
 الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران ص.ب ١٥٨١٥ / ٣٥١٦

#### الاشتراكات:

- ☐ في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٤٠٠٠ ريالاً) بحواله مصرفية على العنوان التالي:
- الجمهورية الاسلامية في ايران قم بنك تجارت شعبه مركزى رقم الحساب الجاري ٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
- ☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً امريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله مصرفية على العنوان التالي:

ACCOUNT NO.03563 33268 BANK TEJARAT IRAN  
 6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC4N 7 AP/ENGL ENGLAND.

**THE AHL UL BAIT (AS)  
WORLD ASSEMBLY**

AL-QADIM

**A General Islamic Periodical**

*Year 1, No.1, July - September, 1992*